الإستنارة الكاملة

..PUSH YOUR BOUNDARIES..



أحمد المَشَدْ

الإستنارة الكاملة

..PUSH YOUR BOUNDARIES..

أحمد المشَدْ

True.Estinara@gmail.com

❈ سنة النشر: 2024 ❈   ❈ رقم الطبعة: الطبعة الأولى ❈   ❈ الرقم الدولي: 9789777834056 ❈

-هل وصلك كتابي؟

=نعم!، هل تُريد شيأً؟

-إنه من دواعي سروري أن وَصَلك الكتاب..

=حسناً.. مالذي سأحصُل عليه من كتابك؟

-بإتمامك هذا الكتاب وتطبيقك مافيه، ستمتلك ما يلي:

- أسرار وأدوات الإستنارة الكاملة، لتُسرِّع من عملية اكتشافك لذاتك واكتشاف رسالتك التي يجب عليك إنجازها على الأرض.
- القُدرة على اقتحام عقباتك الشخصية والمجتمعية.
- القُدرة على تحطيم أصنامك، وأصنام الأعراف المُجتمعية الضّارة، التي تُقيدك وتعوق حركتك.
- ستُصبِح أكثر قوةً وتحكُّماً في غرائزك ورغباتك.
- ستتمكن مِن التَغَلُّب على الأفكار السلبية تجاه واقعك الذي تود تغييره، ومن ثَم تغييره نحو الأفضل بشكلٍ مَرِن.
- ستمتلك مجموعة فريدة من المعارف والعلوم القرءانية العميقة والمُتشعِّبة.
- ستحصُل على إجاباتٍ وافية لأغلب التساؤلات الوُجُودية المعقّدة، والتي سترفع وعيك لمُستوياتٍ جديدة.
- ستتمكن من تطوير ودعم علاقتك بالله الخالق بخُطة عملية. لِتطرَح ثمارها عليك وعلى من حولك بإذن الله.

This page is intentionally left blank

بسم الله الرحمن الرحيم

تشهد الفترات الأخيرة تطوراً سريعاً في الأحداث، وتغيُّراتٍ على مُختلَف الصُعُد، السياسية والإقتصادية والإجتماعية. رأينا الكذب والتدليس وعدم احترام المواثيق. وشاهدنا المواثيق الحقوقية يُضرَب بها عرض الحائط. حتى الغرب الذي زَعَمَ تبنّي مبادئ الحُرِّية والمُساواة، نجده يُفَرِّقُ بين مُواطِنِيه بناءً على عِرقِهِم ولون بشرتِهِم بشكلٍ مكشوف.

وفي ذات الوقت..

انفتحت علينا الإتجاهات الفكرية والأيديولوجية المُتنوعة، الجيّد منها والضار.

وأصبح الضار أكثرَ جُرأةً ودعماً من قِبَل مراكز السُلطَة والنُفوذ على حساب الجيِّد منه،

إنه يتسلّل إلى صغيرنا قبل كبيرنا، وباتَ يَفْرِض نَفسهُ بالقوة مؤخراً.

ومع زيادة تدهور الأحوال السياسية والإقتصادية والإجتماعية. أصبحنا مُعرَّضين في أي لحظة لحتمية المُواجهة والصِدام مع هذه المنظومات التي غَيَّبت الإنسان وَشَتَّتَت اهتماماته، وصَرَفَتْهُ عما ينفعهُ.

إننا بحاجة مُلِحَّة لإعادة بناء الإنسان الحُر من جديد.

الإنسان المُستخلَف على هذه الأرض ليكونَ سيِّداً لكُل شيء عليها. لا لِأنْ يكونَ أسيراً لأفكارٍ هدَّامة أوخُرافاتِ حركةِ العصر الجديد، أو أسيراً للإستبداد السياسي أو المُجتمعي أو الأُسري.

هذا الإنسان الحُر، هو كلمة السر التي ستقضي على هذا الفساد، بمُستوياته المُختلِفة.

فبِناء الإنسان:

- المُتحرِّر من قيود الفِكْر الضالّ،
- المُتحرِّر من سيطرة وسائل الإعلام المُوجَّهَة،
- القادر على التحكُّم في رَغباته وغرائزِهِ،
- القادر على ضبط احتياجاته النفسية والمادية،
- القادر على اقتحام العَقَبات،
- القادر على إحداث التغيير في نفسه وفي مَنْ حَوله،
- القادر على توجيه الأحداث، لا من تُوجِّهُهُ الأحداث

هو موضوع هذا الكِتاب.

هذا الكتاب.. هو بوْصَلتك، في مواجهة هذا العصر الجديد، الذي كَشَّرَ لنا عن أنيابه، وظَهَرَ أمامنا على حقيقته.

هذا الكتاب.. سيُعيد لك مجدكَ من جديد، لتكون الإنسان الذي يُريده الله.. الذي استخلفهُ في أرضه.

حينها.. سننتصر ▼

This page is intentionally left blank

ماذا لديكم؟

لدينا خمسة أبواب.. كُل بابٍ منها يهتم بزاويةٍ من زوايا التغيير والإرتقاء الخمس.

تم تصميم أبواب الكتاب لتكون مُترابطة. فكُل بابٍ يُمَهِّدُ للباب الذي يليه..

وكذلك الباب بِناؤهُ مجموعةٍ مِن الفَقَرات.. كُل فقرةٍ تُمَهِّدُ للفقرة التي تليها.

لِذا ننصحك بِقرائته بالترتيب، لتتمكن من ربط أفكارهِ ومَعانيه..

استُخدِمَت نصوص القرءان الكريم في بناء وتدعيم أغلب فقرات هذا الكتاب.

فَنُصوص القرءان قد ذَهَبت لغاياتٍ أبعد من كُل الغايات التي ذهبت إليها كتابات الفلاسفة على مرِّ العصور. فلم نجد ما هُوَ أدقّ مِنها لتدعيم أفكار الكتاب.

المُلخَّص

الباب الأول "القِصَّة"

يبدأ الباب الأول بوضع حَجَر الأساس، المُتمثِّل في المفاهيم المُتعلقة بماهية وغاية وجودنا، ورحلتنا على الأرض، وفلسفة الإبتلاء والفتنة، وحياة مابعد الموت، ويوم البعث.

فيبدأ بتناول نشأة الخلق، ومُلابسات قصِّة إبليس ومَبْعَث عَداوته للإنسان، وتحليل سُلوكهِ ومنهجهِ وأفكاره.

ويتناول مسيرة الإنسان على الأرض بالتحليل والإسقاط. و يُجيب على الكثير من الأسئلة الوجودية المُعقَّدة، ويكشف ضلال أفكار المُتنوِّرين الجُدد وأتباع حركة العصر الجديد.

الباب الثاني "اضبِط الترددُّات"

بعد تثبيت حَجَر الأساس في الباب الأول. يبدأ الباب الثاني بتوطيد علاقتك بالكتاب الأعظم. فيكشف لك أسرار وكنوز القرءان المَخْفيَّة عنك. والتي ستُعيد تموضعه من جديد ليكون دستورك وصاحبك في هذه الحياة.

يتناول الباب الثاني بعض أدوات وأساليب تدبُّر القرءان الكريم. ويقوم بتحليل وربط ومُقارنة المشاهِد والأحداث، واستنباط المعاني واستخلاص الدروس بشكلٍ مُتميِّز.

سَتكتَسِب مهاراتٍ عديدة، وستتغير نظرتك للقرءان. وعندها.. تتغير نظرتك للحياة.

الباب الثالث "مُقابلة الحكيم الأكبر"

بعد مُصاحبتك للكتاب الأعظم، وهو الوحي الذي انتقل إلينا بواسطة الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام.

ستكون مؤهلاً للدخول على الحكيم والمُرشِد الأكبر مِن بينِ بَنِي البَشَرْ.

ستقترب منه أكثر في هذا الباب، وستُدرِك مكانته وبعض شمائله.

حينها.. تُشرِق عليكَ أنواره، لِتُغيِّر كيانك، وتُعيد توجيه اهتماماتك،

وتُحسِّن أخلاقك، وتزيد وَقارك، ويستنير قلبك.

الباب الرابع "الدخول على المَلِك"

هذا الباب يقوم بالتركيز على مفهوم التَطهُّر والإتصال بالله المَلِك.

ستُدرِك الفرق بين صلاة الجماعة والصلاة الفردية.

ستتعلّم كيف تُعزِّز وتَبني الخشوع المطلوب بشكلٍ عملي.

ستَفهَم المقصود بالعَقبَة، وبعض أشكالها، لتَتَعرَّف على العَقَبة الخاصّة بك،

ثُمّ كيفية اقتحامها عَبر خُطّةٍ عمليةٍ مُتكاملة.

ستتعرَّف على السبيل المؤدي إلى الطريق المُستقيم،

وعلى سُبُل التَّفرُّق عن هذا السّبيل، وهي مَدارِس الطاقة الضالَّة وإخوانهم النورانيين.

سترى كيف أفسدت تلك السُبُل، العبادة والعقيدة وأضَلَّت الناس، فلا ننخدِع بها.

الباب الخامس "احصل على ما تُريد"

ستتعلم في هذا الباب فلسفة الدُعاء وطلب الحاجات. ومُلابسات عدم استجابة الدُعاء.

ستتعرَّف على الفرق بين ما تُريده أو ماتطلُبُه، وبين ما أنتَ بالفِعل بحاجةٍ إليه.

سنتقترب من أهدافك الحقيقية، ونقوم بوضع نموذج مُتميِّز كطبيق عملي يُحقِّق هذا الهدف.

ثُمَّ نشرح ونُفصِّل جميع أجزائه لنضمن تحقيق الإستفادة الكاملة.

This page is intentionally left blank

الفهرس

القِصَّة

اضْبِط التردُّدات

مُقابلة الحكيم

الدخول على الملك

احصل على ما تريد!

This page is intentionally left blank



القِصَّة

ماذا حدث؟ ومالذي يحدُث؟ وماذا سوف يحدُث؟

-حسناً..

ماذا تقصد بهذه الأسئلة الثلاثة؟، تبدو فضفاضة!

=نعم، أنت مُحِق..

هذه الأسئلة هي خُلاصة ما سيتم تناوله في هذا الباب..

ويُمكن تفكيكها في ما يلي مِن نِقاط:

1. لماذا نحنُ هنا؟	7. لماذا يُفسِد ابن آدم فالأرض؟
2. وكيف أتينا إلى الأرض؟	8. لماذا لا تَتَدخَّل السّماء لتحقيق العَدْل؟
3. من هو إبليس؟، ولماذا يُعادينا؟	9. وماهو مصيرنا بعد انتهاء الحياة؟
4. وماهي خُطتهُ لإضلالنا؟	10. هل هُناك حيوات مُتعددة؟
5. هل نَجَح إبليس في إثبات أفضليته علينا؟	11. هل مشروع استخلاف ابن آدم أثبت جَدْواه؟
6. ماهو المطلوب منا على الأرض؟	12. وغيرها الكثير من الأسئلة التي سيتم تناولها..

هذه الأسئلة ربما تبدو لأغلب الناس بسيطة ومُباشرة.

لكنها فالحقيقة ليست كذلك..

سنحاول التعمق قدر المستطاع.. وتأكد أنك ستصل معنا إلى حالة الإشباع المعرفي التي تُرضيك بإذن الله.

فالإنسان بِطبعِه دائم البحث عن الحقيقة..

فكما سافرنا إلى القمر وإلى الكواكب المجاورة لإشباع فضول المعرفة، فكيف لا نحاول البحث عن أجوبة منطقية لتلك الأسئلة!.

-حسناً.. لا بأس.. ولكن بعد معرفة هذه الأمور الوجودية، ماذا سأستفيد؟

=ستُدرك غاية وجودك هُنا.

-جيد.. ثم ماذا؟

=ثم تتبلور أمامك رسالتك، التي عليك إتمامها قبل أن تنتقل إلى عالم البرزخ.

فكلما ازدت فهماً ومعايشةً لهذه القصة التي سنحكيها لك، كلما أصبحتَ أكثر انشغالاً بتحقيق رسالتك وهدفك.

-ثم ماذا بعد ذلك؟

=ثم عندما يأتيك ملك الموت ليقبض روحك،

سترى حينها نتائج سعيك والتي سينبني عليها الكثير في حياتك في عالم البرزخ ومابعدها.

-حسناً.. لن أسئل كثيراً..

هات ماعندك. احكي لنا هذه القصة..

=جيد!

لنبدأ إذاً.

-لنبدأ من الصفر.. من هو الله؟

=الله تعالى هو الذي ليس كمثله شيء.

-نعم.. لكن ماذا يعني هذا؟

=بما أنّ الله تعالى هو خالِق كل شيء، فهو تعالى لا تجري عليه قوانين الزمان والمكان ولا الإستهلاك كما هو حال جميع المخلوقات.

-لا بأس، أعلم أنك ستقول هذا الكلام.. أجبني إذاً..

لماذا يخلق الله البشر والجن والملائكة وغيرهم مما لانعلم؟

=لأن الله تعالى لا يُسأل عما يفعل، وهُم يُسألون.. أو لأنهم خُلِقوا للعبادة ولتئدية أدوارهم التي تم تهيئتهم لها.

-هذه إجابة تقليدية وليست ما أبحث عنه.. هل لديك إجابة أُخرى؟

=نعم، يمكنك النظر إلى الأمر من زاوية مُختلفة.

أنَّ الله تعالى يُشركنا في هذا الوجود، ليكون لنا شأن، فكما ترى كيف أنّ الملائكة لها درجات ومراتب ومهام متنوعه، ونحن أيضاً في عالم الدنيا تختلف قدراتنا ومهاراتنا ومراتبنا. وهنا يعطينا الله الفرصة لنجتهد ونرتقي ونختار بأنفسنا سبيل الرشاد أو الهلاك، فنحن من نضع لأنفسنا بَصْمَةً في هذا الوجود، ثُم نُكمِل الرحلة بعد الموت في عالم البرزخ، ثُم إلى ما بعده وهكذا.. فاصنع لنفسك مقاماً عالياً لحياتك الخالدة، التي قد بدأتها بالفِعْل!

-كيف أصنع لنفسي هذا المقام المُرتفِع؟

=باختصار كن صالحاً مُصلِحاً فالأرض، مُطيعاً لربك أومتماشياً مع نظام الكون الذي أوجده الله، الذي خلق هذا الوجود ومنحك هذه الفرصة.

فقط استثمرها ولن تندم.

فَكُلما اشتغلت أكثر بالعلم وتطوير ذاتك وسَعْيك وقُربك من الله ومن فَهْمِ صِفاته، ونَفَعْتَ الآخرين من حولك،

كلما ارتفع مقامك عند أهل السماء، وكُلما ازداد دعمهم لك، لِنواياك بتحقيق النفع والإصلاح في هذه الأرض ولأهلها.

حسناً..

-ماذا إن قام الإنسان بعكس ذلك؟

أيّ قام بالإفساد فالأرض؟

=هُنا يتم التخلُّص منه واستخلاف غيره وفق مشروطيات تُقررها السماء..

الأرض يرثُها الصالحون فالنهاية، وإن طال أمد المُفسدين.

يبدو أننا بدأنا نفهم بعض أسباب هلاك الله للأمم السابقة والتي جاء ذكرها فالقرءان..

باختصار، لأنهم أفسدُوا فالأرض.

-عفواً.. تتلكم عن إفساد وإصلاح..

لكني لم أختر أن آتي لهذا الوجود من الأساس!. لم يأخذ أحد رأيي في هذا الأمر!

=لا يا عزيزي، لقد اخترت، لقد جِئتَ هُنا بإرادتك واختيارك..

-لابد وأنك تمزح!.. اشرح لي إذاً كيف تم ذلك؟

=أكمل معنا المسيرة وسنعود للإجابة على هذا السؤال في نهاية الباب..

تعال نأخذك في رحلة نُحلل فيها الأحداث منذ بدايات الخلق، وصولاً إلى وقتنا هذا.

فكما يقولون أنّ دراسة الماضي تجعلك أكثر فهماً للحاضر وتعطيك القدرة على استقراء المستقبل.

رحلة الخلق

الله تعالى هُو خالِق كُل شيء. من مخلوقاته السماء، والأرض، والإنسان.

لا يعنينا بالتحديد مَنْ مِنهُم جَاء قبل الآخر، بقدر ما يعنينا الإنسان.

فما يُهمنا أن الله خَلَقَ الإنسان من بين تلك المخلوقات.

-حسناً.. لن أدخل في جدال حول خلق السماوات والأرض، لكن كيف تم خلق الإنسان؟

=خُلِق من طين.

-يا رجُل!.. العلم أثبت أنَّ الإنسان تَطَوَّر ولا يُخلَق من طين.

=العلم لم يستقر على شيء بعد. كما أنه مؤخراً أصبح يخضع لمصالح جعلت الأبحاث لاتبدوا مُتجرِّدة.

لكن لابأس.. فأنا وأنت لم نأتي من طين على أي حال.. بل أتينا من أرحام أمّهاتِنا.
يقول الله تعالى في سورة السجدة

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (7)

الله تعالى بدأ خلق الإنسان الأول أو النُسخة الأولى منه من طين، وهذا الطين ربما يُقصد به المادة الحية لهذا الإنسان.
والله تعالى يخلُق في أي ظرفٍ يُريده، وبأي مُكونات يُريدها، لأنه تعالى هو خالِق الظّرف نفسه والمواد وخصائص المواد.

مثلاً.. يُخبرنا الله في سورة الزمر أنه يخلقنا في بطون أمهاتنا أيضاً..

يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (6) – الزمر

في نفس الوقت، تَكَلّمَ القرءان عن التطور. فأخبر أنّ الله يَخلُق مايشاء ويختار، بينما لايُفترض أن يكون الإنسان

"آدم وذُريته" من بين هذه الكائنات التي تطورت، والله أعلم.

في نفس الوقت، يأمُرنا الله أن نسير فالأرض ونبحث وندرس نشأة وبداية الخلق وغيرها من العلوم، فلا مشكلة من البحث ودراسة النظريات المتنوعة لمحاولة فهم مايدور.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20) – العنكبوت

فالقرءان يُشجِعنا على القيام بذلك..
يُشجعنا على الدراسة بتجرُّد. لا أن نُخْضِعَ العِلْم أو بعض النظريات لسياسات تخدم المصالح والأهواء كما رأينا مؤخراً.

سنتحدث بمزيد من التفصيل لاحقاً في هذا الباب عن تساؤلات وأبحاث مُشابهة، قام بها الأولون من الخلق، وكيف أنها لاتتعارض مع الإيمان بالله،
فقد قام بها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ابتداءً وتِبعه العديد من بعده إلى يومنا.

هذا جيد.. لنكتفي بالحديث عن بدء الخلق.

هيا ننتقل إلى جدوى هذا الخلق..

كما هو معلوم لنا أنّ الله تعالى قرّرَ أنّ يجعلنا خُلفاء فالأرض، وعندما عرض هذا الأمر على ملائكته، كان ردهم كما يلي:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30) – البقرة

هُنا وجدت بعض الملائكة عدم استحقاق بني آدم لهذا الإستخلاف بما رأوا من إفساده وسفكه للدماء، وهُم فالمُقابل يُسبِّحونَ بِحَمْد الله ويَعْبُدونه.

لكننا أيضاً نُسَبِّح الله ونَحْمَدهُ في صلواتنا.

ولعل الإختلاف بيننا وبين الملائكة في أننا نُسبِّح بحمد الله وقتما نشاء بإرادة حُرة.

المُهم..

الملائكة كانت ترى أننا نُفسِد في الأرض ونتقاتل، وبالفعل حدث هذا الأمر!.

فيُجيبهُم الله تعالى بأنّه يعلم ما لا يعلمون. لكنه لم يوضح هذا الأمر الذي لم تعلمه الملائكة!

وعموماً.. سنأتي لهذا الأمر ونُحاول الإقتراب منه في نهاية هذا الباب.

لِنعود..

مع وجود المفسدين من بني آدم على الأرض، يوجد أيضاً مُصلحين، ومِنهُم مَن ضَرَبَ أروع الأمثلة في محاولات الإصلاح هذه.

وقد كتب الله أنّ الأرض يرثها عباده الصالحين ولو بعد حين.

-أين تحقق هذا الوعد الإلهي بوراثة الأرض من قبل؟

=تحقق مع بني إسرائيل بصبرهم على البلاء المُتمثِّل في بطش فرعون وتسلطه عليهم، فتم القضاء على فرعون بعد أن وصل لمرحلة من الطُغيان استحق معها عقوبة السماء العادلة.

وأورث الله بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها. ليبدأ اختبارهم بعد منحهم الحُرية والسُلطة.

وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (137) الأعراف

حسناً.

لنعود لموضوعنا..

بعد أن خلق الله آدم، عَلَّمَهُ الأسماء كُلها..

وهنا يظهر شيء ما تَمَيَّزَ بِهِ آدم على الملائكة كما جاء في آيات سورة البقرة:

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (33) – البقرة

-ماهيَ هذه الأسماء؟

=يظهر فالآيات السابقة أنه طَلَبَ مِنهم أنه ينبؤوه بأسماء هؤلاء، حيث هؤلاء تعني مجموعةٍ ما، أو مجموعاتٍ من الأشياء، فلم تعرف الملائكة الإجابة، وعرفها أو استنتجها آدم.

وهُنا يظهر أنّ الأمر لم يكُن مُجَرَّد إسم لشيءٍ ما، فالملائكة تَعْلَم أسماء الأشياء أيضاً كالشَّجَر والبحر والحَجَر وغيرها..

-إذاً مالأمر؟

=ربما أراهم الله تعالى مجموعة من الأشياء مُجتمِعة، اشتركت في صفة ما، كما تُشير كلمة "هؤلاء".

فاستطاع آدم أن يجمعهم تحت إسم يصفهم جميعاً بهذه الصفة التي اشتركوا فيها. كأن يكون أراهم مجموعة مُعيَّنة من الحيوانات، فاستطاع آدم أن يقول "هؤلاء زواحِف"، "وهؤلاء ثَدِيَّات"، من باب تقريب المعنى..

أيّ أنه استطاع تفعيل مَلَكة الإستنباط التي علمها الله إياه، والتي لا تمتلكها الملائكة.

-كيف هذا؟

كيف لاتمتلك الملائكة هذه الخاصية أو المَلَكة أيضاً؟

=لأنّ الملائكة كما فَهِمْنا مِن سِياق القُرءان والأحاديث النبوية، أنها مُتخصِّصَة فيها خُلِقت لأجلِه، فمِنهُم مَن يَكتُب أعمالنا ومِنهُم الحَفَظة، ومنهم من يختص بالطاقة وتحويلاتها إلى كوبكنا، كالطاقة الكهربائية وتفعيل القوانين الفيزيائية، ومنهم من يقبض الأرواح. وغير ذلك مما لانعلم..

أخبرتنا بعض السور فالقرءان ببعض مهام الملائكة. يُمكنك ملاحظتها في سورة النازعات والذاريات والصافات..

-هل لاحظت هذا معي؟

لاحِظْ أسماء السُور التي ابتدأت بتوضيح مَهام الملائكة، أنها مُشترِكة فالقافية.

هذا من مظاهر دقة القرءان!.

سنُعطيك مزيدا من مظاهر هذه الدقة القرءانية فالباب الثاني، والتي ستُدهِشُك بإذن الله.

حسناً.. لنعود.

اقتنعت الملائكة أنّ آدم لديه شيء مُميز، وجاء أمر الله بالسجود لآدم.

-كيف كانَ هذا السُجود؟

=ليس هُناكَ وصف مُحدَّد لِهذا السُجود، لكن من أشكاله أنَّ الملائكة ستبدأ بالعمل لهذا المخلوق الجديد..
تُهيِّء لهُ الأرض، وتقوم بالأمور التي تدعم مشروع استخلاف آدم وذريته هُنا على الأرض.

بِاختِصار، يُمكِنُكَ اعتبار استخلاف ابن آدم على الأرض أنّهُ مشروع، وأن الملائكة سَتَعمَل في هذا المشروع إلى أن يشاء الله تعالى بانتهاء مُدة هذا الإستخلاف.

وهُنا يظهر لنا إبليس..

إبليس رَفَضَ هذا المشروع ورفض الإمتثال لأمر ربه استكباراً منه وحقداً على آدم.
فقد رأى هكذا بكل غرور، أنَّ ابن آدم لايستحق هذا الإستخلاف،
بالتالي قرَّر رفض السُجود بألّا يَعْمَل في مشروع استخلاف هذا المخلوق..

ورُبما نَسِيَ إبليس أنَّ وجوده هُو في حد ذاته سببهُ أنَّ أحدا ما عَمِل لأجلِهِ مِن قَبل.
فاللهُ تعالى أوجدهُ ابتداءً وقد كانَ عَدَماً. وبَدَلاً مِن أن يَشْكُر الله ويَصْنَع شيئاً نافعاً في هذا الوجود،
جَحَدَ وجَدَّف بكِبْرٍ وغُرور.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (34) – البقرة

-مَنْ إبليس هذا؟.. هل هو مِن الملائكة أم من الجِن أم ماذا؟

=ليس مهماً أن نَعْرِف إلى أيٍّ الفريقين ينتسِب، مِثلما هو مُهِم أن نَعْرِفَ أنّهُ طُرِدَ مِن رَحْمَة الله.

و يبدو أنه كان من الملأ الأعلى على أي حال.. أيْ مِن أهل السماء، الذين مِن بَينِهِم الملائكة وبعض المُصطفين من الجِنْ وغيرهم مِما لا نَعلَم.

ثُم يَتِم سُؤال إبليس عَن سَبب رفضه للسجود.

ويبدو أنها فرصة لإبليس كي يتراجع ويستغفر لذنبه..

لكنه أَصَرَّ عَلى مَوْقِفه، وزادَ في كِبرهِ، فعلَّلَ رَفضهُ بأنه خيرٌ مِن آدم، أو أفضل منه، بأنه مخلوقٌ من نار، بينما آدم مخلوقٌ من طين!.

ونسيَ، أو تناسى أنَّ الملائكة مخلوقة من نور، وهي رُتبَة أعلى مِنهُ.

ورغم ذلك سجدت. فإن صحّ منطقهُ، فالملائكة خيرٌ منه. وهُمْ أجدر ألا يسجدوا بصفتهم أرقى منه، في كونهم من نور.

وهنا تم طرده من الملأ الأعلى بعد إصراره على كِبرِهِ وعدم رجوعه عن ذنبه.

هذا الحوار تَجَسَّدَ لَنا بِشَكلٍ رائع في أواخر سورة ص..

تعال نُلقِ نَظْرَة عليه.

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ (71) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (72) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (73) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (74) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (75) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (76) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (77) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ (78) – ص

وبعد طَرْد إبليس مِن الملأ الأعلى،

يطلُب إبليس من الله أن يُمهله إلى يوم بَعْث آدم وذُريته كما يلي:

قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (79) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (80) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (81) – ص

ويبدو أن إبليس يعلم مستقبل آدم بأنه سيُبعَث أو سيعود للحساب بعد انتهاء رحلة استخلافه على الأرض.

ثُمّ يعود إبليس ليقع في خطأ آخر!

ليتضح أنهُ طَلَبَ هذه المُهله كي يُغوي آدم وذُريته، ويقعُدَ لهم صراط الله المستقيم.

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83) – ص

فيأتيه الرد كما يلي:

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (84) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (85) – ص

وهذا جزاءٌ عادل.. فلكل فِعل ردة فِعل.

-ستُلاحظ أنّ المَشَاهِد فالقرءان تُكْمِل بعضها، وأنها ليست مجرد تكرار.

سورة البقرة ركزت على جوانب من القصة.

وسورة ص ركزت على جوانب أخرى من القصة كما رأينا بالأعلى.

سنقوم بتفكيك مواضع التكرار القرءاني هذه بشيء من التفصيل فالباب الثاني بإذن الله..

-حسناً.. مارأيك؟ ألا يستحق إبليس هذا المصير؟

=نعم.. يستحق.

لأنه لو افترضنا مثلاً، أنَّ إبليس لديه من الحِكْمَة ما لَمَ تصِل إليه الأفهام، ورأى عَدَم استحقاق آدم لهذا الإستخلاف، فلا يجب أن يعدو ذلك أكثر من رأي!، والأجدر أن يطلُب مِن ربه أن يُريه بعضَ جَوانِب الحِكمة من قرار الإستخلاف، فليس من مقام إبليس أن يسير ضد أمر ربه فالنهاية.

ثُم قارِن تَصَرّفه بِتَصرُّف الملائكة الذين تَساءلوا كذلك ورأوا أنهم أحق بهذا الإستخلاف.
فقد كان لديهم أيضاً إشكال في استخلاف آدم، لكن شتان بَين تَصرُّف إبليس وتَصرُّف الملائكِة.

حسناً..

لنعود إلى آدم عليه السلام..

أسكَنَ الله آدم الجنة.

-كيف كانت هذه الجنة؟

=كانت جنة بِدائية إلى حدٍ ما.

-كيف عرفت ذلك؟

=عرفنا من خلال سياق الآيات، فقد أخبره الله بأنّ لك في هذه الجنّة ألا تجوع ولا تَعرَى، وألا تظمئ ولا تضحى.

أيّ أنك يا آدم سَتسْكُن جَنّة بها احتياجاتك الأساسية.

هي أفضل من الأرض بالطبع، لكنها لازالت بدائية مُقارَنَة بالجنات التي سيدخلها من نجحوا في ابتلاءات الحياة على كوكب الأرض.

-ولماذا جنة بدائية؟

لماذا لم تكن جنة تجري من تحتها الأنهار وبها من الخيرات ما تقرُّ به الأعين؟

=لأن آدم عليه السلام لم يكن قد تعرَّض لابتلاءات بعد واجتازها كي يرتقي لينال جنة مُتقدِّمة.

ثُم يُوسوس إبليس لآدم فيأكل من الشجرة المحظورة.

لكن هنا يعترف آدم بالخطأ فيتحمل المسؤولية ويطلب المغفرة.

لاحظ الفرق بين آدم و إبليس..

إبليس يمتنع عن طاعة ربه ويستكبر بدلاً من التراجُع ومُحاولة إصلاح الأمر.

-مهلا مهلا.. دعنا نفترض أنّ إبليس هو من كان فالجنة، وأكل من تلك الشجرة المحظورة.

كيف كان سيتصرف؟

=حسناً.. دعنا نُخَمِّن..

سيأكل إبليس من الشجرة،

فيناديه ربه: ألم أنهك عن تلك الشجرة؟

فيُجيب إبليس.. أنت خلقتني ضعيفاً وهذه نتيجة طبيعية.. لامشكلة إذاً!،

ثُم أنّهُ قد حلف لي أنها شجرة الخُلد ولم أتوقع أنّ أحداً يحلف كذبا،

وأخيراً لماذا تنهاني عن الأكل من تلك الشجرة من الأساس؟ لماذا تنصُب لي الفِخاخ، لِأقع بها، وأدفع الثمن وحدي؟

والآن مارأيك مرة أخرى؟ ألا يُمثِّل إبليس جذور الكبر والغرور؟

الأمر ليس مُتعلقاً برفضِهِ للسّجُود، يبدو أنّ قَلْبه لم يكُن سليماً من الأساس، وجاء هذا الإختبار أو الإبتلاء ليكشف له ذلك.

سنتكلّم في نهاية هذا الباب عن فلسفة الفتنة والإبتلاء هذه بمزيد من التفصيل..

حسناً..

-لماذا يكون مصيره النار؟

=لأنّ عَمَلهُ قادهُ لهذه النتيجة.

فالأعمال السيئة فالجحيم، والأعمال الصالحة فالجنات.

فإبليس لم يكتفي بخطيئته التي ارتكبها.. بل إنه جعل نفسه جذراً لكل الشرور في هذا العالم، فصَنَعَ بذلك لِنفسِه جحيماً لم تره عين ولم تسمع به أُذن.

ونحنُ أيضاً بِما أننا مُخيرون هُنا، فنحنُ نختار أن نعمَل الصّالحات أو الخبيثات من الأعمال.

وبعد الموت تأتي هذه الأعمال وتَزِن نفسها بشكلٍ مُتناهي الدقّة، ونَرَى كُلّ شَيء بِوضوح.

هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (29) - الجاثية

سنتحدث عن دقة الموازين والحساب لاحقا في هذا الباب.

العجيب أنكَ لاتزال تَسْمَع مَن يَقول عَن إبليس "المجد للشيطان.. قال لا في وجه من قالوا نعم"

فنقول له لا بأس.. خذه معك إلى جهنم لتتمتعوا بقول لا سوياً بداخلها.

هيا لنُكمِل قصتنا مع آدم عليه السلام.

-انتظر لحظة..

قبل أن نُكمِل القصة، هُناك سؤال مهم بشأن إبليس.

دعني أرتب لك الأحداث من منظور مختلف أولاً..

=تفضَّل..

=خلق الله آدم.

جَمَع الملائكة والملأ الأعلى وأخبرهم بشأن استخلاف آدم على الأرض.

رأى فريق من الملائكة إفساد ابن آدم على الأرض وعبرت عن رأيها بشأن هذا القرار.

جاءَ إبليس ورأى أن ابن آدم هذا لايستحق هذا الإستخلاف، ورفض العمل في هذا المشروع.

وليُثبت عدم استحقاق آدم لهذا الإستخلاف، استطاع الإيقاع بكثيرٍ من ذريته.

لماذا لانقول أنّ إبليس أثبت صِحَّة مَنطقهِ بشأن عَدَم استحقاق آدم للإستخلاف واستطاع إغوائهم، وتَبِعَهُ كثير منهم بالفعل، ولم ينجحوا في مشروع الإستخلاف، وأفْسَدوا فِالأرْض!.

=حسناً.. لابأس.

أولاً:

الأمر عند الله لايُقاس بالمنطق الإحصائي. فالله تعالى يتعامل مع كل فرد بشكل مُستَقِل. كُل فرد مُهِم عند السماء.

فلا يتم قياس نجاح المشروع أو فشله بمنطق النسب المئوية.

فلو كانَ الأمر كذلك لما أرسَلَ الله رُسُلاً لأقوام وهُو يَعْلَم أنّ رَجُلاً واحداً فقط من هذه القرية سيؤمن!

ومع ذلك اصطفى له هذا الرسول وجهزه وأرسله لتلك القرية ليؤمن ذلك الرجل.

ثانياً:

الله تعالى عَدلهُ مُطلَق، وقد كَفَلَ حُريّة الإختيار لنا. وكانَ إبليس مِنَ الكائنات المُخيَّرة أيضاً.

فاختارَ إبليس ألّا يسجُد، فلم يقضي الله عليه، ولم ينسفه من الوجود.

فقط تركه يتحمل نتيجة قراره ويصنع جحيمهُ الخاصّ بما يقوم بِهِ مِن أفعال الشرّ.

وكذلك كل من ينتهج نهج إبليس، فهو أيضاً يصنع جحيمه الخاص، ويكون شريكاً مع إبليس فالنار، لأنه قامَ بِدَسّ نفسه بكامل إرادته واختياره الحُر.

فالله تعالى كَفَلَ حُرّية الإختيار لنا.

لا إكراه..

لا إجبار..

بالتالي نتحمل نتيجة أفعالنا.

وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (13) – الإسراء

وأخيراً..

هذا السؤال تمت صياغته بشكل مُضلل بعض الشيء. فإبليس لم يكن هذا مبعثهُ من الأساس.

لم يكن باعِثهُ الشخصي لعدم السجود في أنه رأى عدم جدوى مشروع الإستخلاف. بل كانَ باعِثهُ الكِبْر والإستعلاء.

سنعاود الحديث عن إبليس في أكثر من موضع لاحقاً، لأنه من الشخصيات المُهمة لدينا في هذا الباب.

هيا.. لنعود لإكمال قصة آدم بعد أكلهِ من الشجرة المحرمة واستغفاره لذنبه..

حسناً..

بعدها يُخبرنا الله أنه تاب على آدم ثم جاء وقت الإستخلاف على الأرض.

ومن المعلوم أنّ الأرض أقل رُتبةً من تلك الجنة التي كان يسكُنها آدم.

"قُلنا اهبطوا مِنها"، فكلِمَة اهبطوا توحي بأنها تأخذك لمرتبةٍ أدنى،

هيا ننتقل إلى حياة آدم وذريته بعد نزوله للأرض

رحلة الأرض

تبدأ رحلة آدم على الأرض..

يتعرض آدم وذريته للابتلاءات التي ستُحدد قراراتهم وسلوكاتهم تجاهها مصيرهم في حياة البرزخ ومابعدها.

يقُصّ علينا القرءان حادثة قابيل وهابيل ابني آدم عندما قَتَلَ أحدهم أخاه.

وتأمَّل دِقة القُرءان بوصفهِ الأمر، بأنَّ نَفْسه هيَ التي طوعت له قتل أخيه، أيّ أنه قرَّرَ قَتْلَ أخيه بإرادته الحُرّة. ولم يكُن واقعاً تحت أي تأثير خارجي.

حسناً..

لسنا بحاجة للخوض في تفاصيل قصة قابيل وهابيل، فكُلُنا نعلمها..

لنُكمِل..

يُنشئ الله قروناً من بعد آدم.

ذكَرَ القرءان بعضهم ولم يذكرهم كلهم..

فبدأ بقوم نوح، حيثُ كان الإنسان حينها لازال بدائياً في تفكيره وسلوكه،

دعاهم نوح عليه السلام للرقي واحترام انسانيتهم وأن يكُفّوا عن الإفساد فالأرض.

فمن سُنَن الله، ألا تستمر للمُفسدين حَضارة. فمَهما عَلَت، يأتيها الإنهيار ولو بعد حين.

وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (58) – الإسراء

وهكذا، فأي حاضرة لا تقوم على أساس العدل والإصلاح فإن مصيرها هو الهلاك والعذاب ولو بعد حين، وذلك لِظُلمِهم وإفسادِهم.
كُلٌ بِقدْرِ إفساده، و وِفْقَ التوقيت الذي تُقرِّرُهُ السّماء.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (19) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (20) – إبراهيم

ثُم جاء توقيت إفناء قوم نوح. فأُهْلِكوا بالغرق، باستثناء من آمَنَ مَعَ نوح منهم.

أنشأ الله بعدهُم خلق آخر، اتّسَمَ بالبِنْيَة القوية والبسطة فالجسم، فكانت لديهم قُدُرات بدنية عالية. استثمروها في بناء مدائن عظيمة.

–لكن لماذا خُلِقُوا كذلك؟

=طبيعة خَلْقهم بهذه البِنْيَة في حد ذاتها، ابتلاء من الله تعالى. فالله يخلُق ويُنوع فالصفات والإمكانات. وكُلٌ مُبتَلى في ما آتاه الله.

لكنهم تجبَّرُوا في الأرض، وهُم الذين عمَّروا وسكنوا بَلدَةِ إرَمْ، كما جاء فالقرءان.

فأرسل الله لهم نبياً منهم، يتمتع بخُلُقٍ رفيع ونسبٍ كريم، يدعوهم إلى التوحيد وحسن الأخلاق، لكنّ القوم كفروا به وكذّبوه واتّهموه بالسفاهة والكذب، حتى لحق بهم عذاب الله تعالى.

ويظهر فالآية التالية من سورة الأعراف كيف كانَ يحاورهم نبيهم هود ويُذكِّرهُم بِنِعْمَةِ الله عليهم بِأن جَعَلَهُم أقوياء فالبنية، ويُذكِّرهُم بأنهُم خُلفاءَ مِن بعد قوم نوح الذين تم إهلاكهم بإفسادِهِم فالأرض.

أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ – الأعراف

ويبدو أنّ قوم عاد كانوا يتمتعون بقوة استثنائية والتي تجسدت في بناء مدينة عظيمة البنيان، واغترُّوا بأنفسهم.

نقرأ في سورة الفجر أسلوب التعجب الإستفهامي "ألم تر كيف..!" والذي يوحي بقوتهم وعظمة حاضرتهم.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) – الفجر

فأهلكهم الله بطغيانهم.

ثم أنشأ من بعدهم قوم ثمود، والذين لم يختلفوا كثيراً عن قوم عاد، فلم يُوفقوا إلى شكر نعمة الله عليهم والإنسجام مع نظام الكون.

بعث الله فيهم صالح عليه السلام، يدعوهم إلى الإصلاح فالأرض وشُكر نِعَم الله.

وبدلاً من الإستجابة لدعوته التي فيها الخير للجميع، طلبوا منه آية أو معجزة تُثبت نبوته.

وهُنا تبدأ المشكلة..

فبمجرد خروج الآية، تكون بمثابة إقامة الحُجّة الواضحة عليهم،

وتأخُذ الأمور مَنحَى الجدية إذا ماستخفوا بها.

-كيف فهمنا ذلك؟

=من خلال موقف مُشابِه، عندما طلب الحواريين من عيسى عليه السلام مائدةً من السماء تكون لهم آية، فكان رد ربهم كما جاء في سورة المائدة..

قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (115) – المائدة

وهكذا، فعندما تطلب الآية، عليك أن تُفكّر جيداً في دوافعك، هل أنت جاد وصادق في بحثك عن الحقيقة؟

أم أنك تعبث وتضيع الوقت؟

لنعود إلى قوم ثمود..

جائتهم ناقة الله آية، فعقروها استخفافاً واستهتاراً.

فاستحقوا عقوبة السماء العادلة.

وتصف الآيات التالية خُلاصة ماتمَّ بحق تلك الأُمم..

تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ * وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ – الأعراف

حسناً..

كانت هذه مُقدمة خفيفة قبل أن ندخُلَ إلى المواضيع الأكثرَ عُمقاً..

سنبدأ أول هذه المواضيع بتجربة إبراهيم عليه السلام الفريدة،

والتي ستمتد معنا لمجموعة من الفقرات المُتتالية.

هيا بنا!

مِلّة إبراهيم

جاء من بعد تلك الأقوام، إبراهيم عليه السلام..

ويمثل إبراهيم عليه السلام ثورة عقلية فريدة من نوعها في عالمنا هذا، لاسيّما عند أخذنا فالإعتبار الفترة الزمنية والمجتمعية التي نشأ فيها، وكيف كان إبراهيم عليه السلام مُتقدماً فكرياً وفلسفياً وفطرياً عن أهل زمانه.

ومُتجرداً، طاهراً، نقياً، يقول الحق، لايخش المجتمع، ولا يأبه بالأعراف السائدة إذا ماخالفت الفطرة السويّة.

فأصبح إماماً للناس كافّة،

مؤسساً للمِلّة السليمة، التي أُمِرَ نبينا الحبيب عليه الصلاة والسلام باتِّباعِها،

ونحنُ كذلك، بل ليسَ نحنُ فحسب..

فإن كُل من يرَغِبَ عن مِلّة إبراهيم، فقد سَفِه نفسه، أيّ أهان نفسه.

حسناً..

لحظة!.

-ماهو تعريف المِلة؟

كيف تختلف عن مفهوم الدين؟

=سؤال جيد..

لم نجد تعريفاً واضحاً لها في مُحركات البحث..

لكن يُمكننا تعريف المِلة من خلال تحليلنا للآيات التي قصّت علينا قصة إبراهيم عليه السلام..

بِأنها مجموعة من القواعد الأساسية أو المنطقية، التي تنطلق منها في تعاملك مع الدين، ومع مجتمعك، ومع الحياة بشكل عام.

وهذا ما فعله إبراهيم عليه السلام.

-لا بأس، لكن ماهذه القواعد المنطقية التي سأنطلق منها؟

=يُمكن استنباطها من السلوك الذي قامَ به إبراهيم عليه السلام أثناء رحلة بحثه عن الله، أثناء ملاحظته للكوكب ثم القَمَر ثم الشمس.

فقد قامَ بالمُلاحظة أو المراقبة، والشك في النتائج، وإعادة التجربة وهكذا..

ثُم يقوم بعملية ترتيب لما استنتجه من أفكار ثُم الإستنباط، ولامانعَ من تحديثها باستمرار كُلّما تَبَدّى لهُ مِن فضل الله عليه من عِلمٍ وفهم.

ولعل القرءان قد أشار لعملية البحث هذه والتي يُطلب منك فيها بالاستماع أو النظر فالأفكار المطروحه حولك، ثُم تَبنّي واتباع أحسَنها.

<u>الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ</u> ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (18) – الزُمر

ومن يَتَّبع هذه المِلّة بصدق فإنهُ بالقَطع يجد السبيل والصراط المستقيم.

فهذا وعد الله لعباده بتمهيد السُبُل لهم وهدايتهم للصراط المستقيم إذا ما اجتهدوا وأبدوا الإستعداد لتقبُّل الحق.

بتلك المِلّة أصبح إبراهيم عليه السلام إماماً للناس كافة.. وليس فقط للمسلمين.

أُنظر كيف يدعوك الله تعالى إلى تبني ملة أبيك إبراهيم عليه السلام في بحثك عن الحقيقة والتي لن يختلف عليها أحد يعيش بيننا يريد أن يصل إلى ربه.

فمن يرغب عنها بعد كل ماسَمِع، فقد سَفِه نفسهُ دون أدنى شَك!.

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (130) – البقرة

-مهلاً..

لكني أجد البعض يزعم أنه تبنى هذه المِلَّة، ثم هو يخرج بنتائج ضالّة أو غير سليمة!

=هذا نقول له راجع بواعثك ونواياك واسأل نفسك..

- هل أنت مُتجرّد من أهوائك في بحثك ودراستك للأمر؟

- هل أنت مُتحيز أو مُتخَندِق ضد فِكرٍ ما؟ أو جماعةٍ بعينها، أو مذهبٍ ما؟
- هل أنت متزن نفسياً، لاتعاني أي صراعات داخلية، ربما بسبب الأهل أو المجتمع أو البلد الذي تعيش به؟
- هل تربيت على الإستقلالية واحترام الرأي الآخر؟
- هل تُدرِك تماماً أنك مُتجرِّد وصادق في بحثك عن الحق؟

إن كانت الإجابة بنعم، مع أننا نستبعد ذلك..

نقول له لابأس..

كُن على يقين بأنَّ الله يعلم حقيقة مابداخلك فانتبه إن كنت غير جاد، أو إن كنت تُخادع نفسك.

ففي النهاية، الحساب عند الله تعالى الذي لايَظلِم مِثقال ذرَّة..

هل رأيت هذا المقياس شديد الحساسية من قبل؟

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (40) – النساء

لنعود إلى إبراهيم عليه السلام..

بدأ إبراهيم عليه السلام رحلة البحث عن الله، الخالق الأعظم لهذا الوجود.

تأتي الآيات لتوضح لنا الخطوات المنطقية التي قام بها إبراهيم عليه السلام، والتي لابد أن توصلك إلى الله تعالى،

الخالق الأعظم، رب العالمين.

وعندما جاهدَ إبراهيم عليه السلام في بحثه.. هداه الله وأراه ملكوت السماوات والأرض.

وأنت أيضا يخبرك الله بأنك إن جاهدت في البحث عنه، فسوف يهديك السبيل.

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا – العنكبوت

يدخل في مُعادلة الهداية أيضاً مفهوم "الإنابة"، وهي الإستعداد لتقبُّل الحق واتِّباعه، أو الإستعداد للإمتثال لما يُريده الله مِنَّا.

فالله وعد بهداية من يُنيب كما يلي:

قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ (27) – الرعد

اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (13) – الشورى

وقد اتصف بها إبراهيم عليه السلام من قبل.

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (75) – هود

فمن يُريد إقناعنا أنهُ يبحث بصدق عن الحق، ثُم نراه يسْتَقِر على مُعتقداتٍ شِركِيّةٍ أو باطلة، فهذا أمره عجيب!.
وكأنه يقول أنّ وعود الله لاتَعمَل! حاشاه جلّ وعلا..

بالتالي نقول له أنك ببساطة تكذِب على نفسك. فأمامك طريقان واضحان: طريق الإنابة، وطريق المِلَّة الإبراهيمية.
إن كُنت مُنيباً كما تقول، فقطعاً سيهديك الله السبيل.
أو كُنتَ مُتّبِعاً لِمِلّة إبراهيم عليه السلام، أيضاً ستصل لربِّك --> وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ.

-ما هذا السّبيل الذي سيهديني إياه ربي؟

=السبيل يُشير إلى الفِكْر.. أيّ أنَ الله سيأخُذ بيدك ويُرشِدك إلى المنهج الفكري السليم المُتناسب مع مستوى إدراكك.
والذي يتفّق مع الصراط المُستقيم.

فكما أنّ هذا السّبيل يؤدي إلى الصراط المُستقيم. هُناك أيضاً سُبُل تُشتت وتُفرِّق عن هذا الصراط،
وهي سُبُل إبليس، وسُبُل اتباع الأهواء.

الآية التالية تُحذِّرنا من اتباع أي سُبُل أُخرى تُخالف السبيل المؤدي إلى الصراط المُستقيم.

وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ - الأنعام

سنُفرِدُ حديثاً مُفصَّلاً عن تلك السُبُل فالباب الرابع بإذن الله.

المُلك والملكوت

بعد رحلة إبراهيم عليه السلام في بحثه عن الله، بدايةً بتأمله فالسماء والكواكب والنجوم والشمس، وانتهاءً بإدراكه بوجود خالقٍ مُهيمنٍ على كل شي.

جائت الآية تُخبرنا بدخول إبراهيم عليه السلام عالم الملكوت.

وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75) - الأنعام

-ماهذا الملكوت؟ و ما الفرق بينه وبين المُلك؟

=هذا سؤال جيد!

جائت نتائج البحث أن الملكوت هو عالم الأرواح والغيبيات التي تتنزل منها الأقدار إلى عالم المُلك، ثم يأتي فوقه عالم الجبروت.

أما عن المُلك..

فالله وحده بيده المُلك، وهي القوة أو القدرة المُطلقة على كل شيء.

وأي مخلوق آخر ذُكِر معه لفظة المُلك، سبقها ذِكر إتيانه لهذا المُلك، أيّ إتيانه هذا الملك النسبي أو المحدود من عند الله تعالى. وهو مُلكٌ محدودٌ يتناسب مع طبيعته البشرية.

بينما نجد أنَّ الله تعالى هو المتفرد بالمُلْك المُطلَق.

تأمّل آية المُلك في سورة الإسراء والتي يعلوها الجلال والعظمة:

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿111 الإسراء﴾

حسناً..

لنعود لإبراهيم عليه السلام وقصة البحث عن الله.

الثورة على الموروث

رفض ابراهيم عليه السلام موروثات مجتمعه ومعتقداتهم الوثنية، فهو ببساطة بدأ رحلة البحث عن خالق هذا الكون بصدقٍ وتجرد.

وهُنا يُعتبر إبراهيم عليه السلام قدوة للناس، فيُعلمنا ألا نقبل بالأعراف والموروثات إذا ماخالفت الفطرة السليمة، حتى وإن اعترض الأمر علاقاتنا بأحبائنا وأقاربنا وأصدقاءنا.

وما أكثر الأعراف والموروثات الضارة في مجتمعاتنا، كأمثلة طقوس الزواج والمُغالاة فالمُهور وطُغيان الأعراف على بساطة الشرع، وغيرها من الآفات المُجتمعية.

هذا مافعله إبراهيم عليه السلام.. بَذَلَ ما بوسعه، وحاوَلَ تغيير قناعاتهم أو إقناعهم بوجوب ترك عبادة الأوثان أو الإعتقاد في نفعهم وضرهم.

نقرأ الآية التالية، التي تصف جزاء من يعتقد في نفع الأوثان أو ضررها.
جزاؤه أن يتم إلقاءه هو وأوثانه التي اعتقد فيها النفع من دون الله، في حفرة من حُفر النار.. ولُيرينا كيف سيُخرِجه صنمُه من تلك الحُفرة.

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (99) – الأنبياء

–ولكن مالأمر؟ لماذا كان يعبد قومه هذه الأصنام من الأساس؟

=لاندري ولكن ربما كان آباءهم يتعاملون مع الجن مثلاً، أو كانوا يقدمون القرابين لهم في محاولة للحصول على بعض المنافع الدنيوية، كما كان يعتقد القدماء بتعدد الآلهة، كُلٌ له اختصاصه وكلٌ له قرابينه.

وهذا بالطبع عَبَث. إنه مشروع إبليسي لإفساد خُطة استخلاف ابن آدم على هذه الأرض.

فكيف لمن جعله الله خليفةً على الأرض وأطلق يده فيها وأمر ملائكته بتسخير قوانين الكون له ليتحقق استخلافه على أكمل وجه، كيف به يترك كل هذا ويجلس أمام مشعوذين أو أصنام يطلب منهم الغيث أو الرزق أو دفع الضُرّ أو إلحاق الضرر بأعداءه بينما هو جالس في مكانه لا يتحرَّك!.

المهم..

يبدو أن قومه لم يعجبهم هذا الفكر الجديد وازداد تمسكهم بمعتقداتهم وأصنامهم.

وعندما حطمها إبراهيم عليه السلام ليُريهم كيف أنها لا تنفع ولاتضر!.

لأنها لو نفعت، لنفعت نفسها بدفع الضرر الذي وقع عليها، ولو أنها تضُر، لألحقت الضرر بإبراهيم عليه السلام أو لأصابته بِلعنَة على مافعله بهم.

لكن القوم فكروا برجعيتهم ورأوَّ أن يحرقوه وينصروا آلهتهم وموروثاتهم.

–لكن مهلاً.. لماذا لم يهلكهم الله بهلاكٍ عام عندما رفضوا ملة إبراهيم عليه السلام كما فعل بعادٍ وهود؟

=ربما لأنّ إبراهيم عليه السلام لم يتم تكليفه بمهمة تبليغ رسالة من الله إلى قومه كي يترتب على تكذيبهم الإفناء كغيرهم من الأمم.

لكن هذا لايعني أنهم لم تلحقهم عقوبة.. رُبما أصابتهم لعنة من السماء لا نعلمها.

فقد جاء فالقرءان الكريم ذكر قوم إبراهيم مع الأقوام المكذبين للرسالات وأعقبها ذكر أنّ الله تعالى لم يظلمهم ولكنهم كانوا هم الظالمين. أيّ أنهم نالوا عقوبةً ما، أو سينالوها بعد موتهم.

أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (70) – التوبة

–ولماذا لم تَلحَق قُريش عقوبة السماء عندما كذبوا نبيّ الله محمد عليه الصلاة والسلام؟

=لأنّ حِكمة السماء قضت بأن يتأجل حساب البقية الباقية من الخلق إلى قيام الساعة.

وأيضاً لأنّ الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام لم يُبعث وكيلاً أو حفيظاً على الناس، ليقتضي عند تكذيبهم به إنزال عقوبة السماء أو فناءهم، بل كان بشيراً ونذيرا، وحسابهم مؤجل ليوم الحساب.

وقد طَلَبَ منهُ بعض كُفَّار قُريش إسقاط حِجارة عليهم من السماء، إن كان الحق مع رسالتِهِ، عليه الصلاة والسلام..

فجاءت الآيات توضح أنه لن ينزل هذا العذاب وأنت بينهم يا رسول الله –عليه الصلاة والسلام–

كما أنه لن ينزل عليهم العذاب وفيهم قومٌ يستغفرون الله.

وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (32) وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33) - الأنفال

وفي يوم القيامة، ستجتمع الأُمم، ويُؤتى بالرُسُل، ليكونو شُهداء على أقوامهم في مشهدٍ مهيب.

هذه الآية تصف حال من كذبوا بما جاء به الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام:

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (41) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (42) - النساء

-إنها حقاً آية مُخيفة في حق مَنْ كذَّبوا الرسول عليه الصلاة والسلام!

لكني لازلت أريد أن أفهم.. لماذا لم ينالوا عقوبة تكذيبهم لرسول الله عليه الصلاة والسلام فالدنيا كعادٍ وثمود؟

=هي أسباب ومشروطيات مُعقَّدة لا نعلمها.

ربما يتعلق بعضها بمُستوى النضج الإنساني الذي وصلت إليه البشرية، لاسيما من بعد عيسى عليه السلام.

ارتقت البشرية لمستوى من النضج لا تحتاج معه لمعجزاتٍ بصرية قوية كمعجزات موسى وعيسى عليهما السلام.

هُم فقط بحاجة لرؤية وسماع الحُجّة والبيّنة المُتمثلة فالقرءان الكريم، والجدال بالتي هي أحسن.

-كيف فهمنا ذلك؟

=جاء هذا بشكل صريح في سورة العنكبوت عندما طلبت قريش معجزة أو آية، فكأنهم بهذا الطلب الساذج عادوا لمستويات أكثر بدائية لاتليق بهم.

تأمَّل كيف جاء الرد عليهم:

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ (50) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (51) - العنكبوت

هذا ممتاز!

لقد تشعبنا بما يكفي..

لنعود من جديد لإبراهيم عليه السلام،

-عفواً..

لماذا يأخُذ إبراهيم عليه السلام هذا الحيِّز الكبير من الفقرات؟

=لأنهُ إمام الناس، وأبو الأنبياء. اصطفاه الله وجعله خليلاً له.

وتتعجب عندما تقرأ قول الله تعالى عنه بأنه سيُخلِّد ذكراه، فترى جميع الأُمم على اختلافها مُحِبة لإبراهيم عليه السلام ومُوقِّرةً له.

وهذا دليل على قوة مصداقية القرءان.. فهو يتكلم بالحق.

إبراهيم ولوط

-ماذا حدث بعد إعراض قوم إبراهيم ونجاته من ظُلمِهم ومحاولتهم لحرقه بالنار؟

=تُخبرنا سورة العنكبوت مشاهد من حوار إبراهيم عليه السلام مع قومه وهو يحاول إقناعهم بما وصل إليه من وعي وفهم لحقيقة وجوب توحيد الله تعالى.

ثم تُكمل الآيات المشهد لتُخبرك بأنّ لوط ابن أخيه، قد آمن لهُ.

وهاجر لوط إلى القرية التي كانت تعمل الخبائث ليدعوهم إلى الفضيلة والإصلاح فالأرض.

لكنهم رفضوا دعوته، ثم لم يكتفوا بذلك فحسب!،

بل إنهم قاموا بمنع أي أحد يريد أن يختار منهج أو توجُّه مختلف عن اختياراتهم.

وهُنا بدأت المُشكلة.. أو بدأوا بتسطير نهايتهم.

-أين جاء هذا الأمر فالقرءان؟

=تامَّل مايلي:

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ - النمل

جاء كذلك في سورة العنكبوت سُخريتهم منه واستعجالهم بعذاب السماء!

أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (29) - العنكبوت

وهذا أمرٌ عجيب! فكيف لقرية أو مدينة بأكملها يشترك أهلها في فعلٍ يختل به الميزان، ويهدد خطة الإمتداد البشري الطبيعي.

يتفاقم الأمر ويُهددوا بطرد نبي الله لوط وأهله لأنهم لم يوافقوا أهل تلك القرية على أفعالهم.
يتقرر تحقيق سنة الله في عباده بأن يتم إفناء هذه القرية بما كانت تُفسِد فالأرض، ومَنْعِها الناس من أبسط حقوقهم في ممارسة الدعوة، أو في اختيار السبيل الذي يريدونه.

حسناً.. هيا نخرج لِفاصلٍ صغير ثُم نعود..

سنبدأ بعمل تَدبُّر سريع، نقوم فيه بتجميع وربط الآيات التي تحدثت عن زيارة الملائكة لإبراهيم عليه السلام وحوارهم معه بشأن قوم لوط.

تأتي الرُسُل إبراهيم عليه السلام لتُبشره بالذرية الصالحة:

وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (51) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (52) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (53)

-لكن البشرى هُنا جائت بغُلام فقط دون تفصيل!

=بعد قليل، سَنَجِد آية تُوضِّح أنّ هذا الغُلام هو إسحق، ومن وراءه يعقوب عليهما السلام.

حسناً..

-لماذا يوجل منهم إبراهيم عليه السلام؟ "قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ"

=لأنه قدم لهم الطعام فلم ير لهم أيدي تمتد إلى هذا الطعام. فتعجَّب من ذلك كما جاء في سورة هود:

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69) فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ

-ولماذا جاء التعجُّب بصيغة الجمع؟ "إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ"

=لأنه كان يتحدث عن نفسه وزوجه.. فيما يبدو أنها كانت حاضرة لهذا المشهد.

يأتي تدبرك وربطك للآيات ببعضها ليُريكَ المشهد بأكمله، ولعل هذا ما أشار إليه القرءان عندما تسائل البعض:

لماذا لا ينزل القرءان جُملةً واحدة؟

فجاء الرد في سورة الفرقان أنَّ نزوله على فترات هدفه تثبيت فؤاد النبي الحبيب، فكان يتنزَّل بما يُناسب الأحداث والمواقف حينها. ثم يُخبِرنا أنَّه مُترابط بعضه ببعض "ورتلناه ترتيلا"

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (32)

-كيف فهمت أنَّ "رتلناه ترتيلا" تعني ذلك؟

=ربما تعني ذلك في هذا السياق، حيث كان السياق أنَّ الكتاب نزل على فترات، فمثلاً نزلت قصة إبراهيم عليه السلام على فترات ومواضع مُنفصلة، ولم تأتي كلها جملةً واحدة.
وفي هذه المواضع المُتفرِّقة، جائت القصة بمشاهد جديدة أو بمعانٍ جديدة.

سنُفصِّل هذا الأمر أكثر فالباب الثاني.

حسناً..

بشّرت الرُسُل إبراهيم عليه السلام بالذرية الطيبة، ويظهر في موضع آخر من سورة هود ذِكر يعقوب عليه السلام من بعد إسحاق.

وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) - هود

ثُم يُظهِر إبراهيم تعجُّبه من تلك البُشرى..

قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (الحجر - 54)

فترد عليه الملائكة كما جاء في سورة الحجر:

قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ – الحجر

فيُصادِق على قولهم:

قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (56) – الحجر

ثُم يسألهم إبراهيم عن سبب نزولهم.

فيُخبروه بأمر إهلاك قرية لوط عليه السلام:

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (57) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (58) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (59) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا ۙ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (60) – الحجر

ونعود لسورة العنكبوت لنرتب الأحداث..

فنرى إبراهيم عليه السلام يخشى على لوط وأهله.

أو أنه يمتلك قلباً رحيماً بالعباد فيُظهِر شفقته على تلك القرية من هذا المصير الذي سيلقوه عما قليل،

فترد عليه الملائكة كما يلي:

قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (32) – العنكبوت

-لكن كيف عَرَفْتَ أنَّ إبراهيم عليه السلام أظهر شفقته على قرية لوط، وليس لنبي الله لوط فحسب؟

=وجدنا هذا في سورة هود..

تأمل معي:

فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (74) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ (75) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (76) – هود

والآن تعال ننتقل مع الملائكة إلى لوط عليه السلام ونُشاهد ماحدث..

وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (33) إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (34) وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (35) – العنكبوت

يُمكنك أيضاً وضع أحداث قصة لوط عليه السلام بجانب بعضها وتقارن وتربط بينها لتُشاهد الصورة الكاملة.
ستجد أغلبها مذكور في سورة هود والعنكبوت والحجر..

كان هذا مثال يوضح طريقة قراءة قصص القرءان من خلال ربط الآيات ووضعها بجانب بعضها لتكشف لنا المشهد بشكلٍ كامل.
سنُطلِعك على بعض هذه الأسرار فالباب الثاني، والتي ستُمكنك من فهم و تدبُر القرءان بشكلٍ أكثر دقة و روعة.

حسناً. انتهى الفاصل..

جدير بالذكر أنَّ هلاك قوم لوط كان استثنائياً، ومختلف عن هلاك الأمم الأخرى.

-كيف فهمت ذلك؟

=من سياق الآيات وطبيعة العذاب الذي يُظهِر قوة البطش التي لم نُشاهدها مع بقية الأمم.

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (73) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (74) - الحجر.

ويبدو أنها قاعدة..

عندما تَصَل القُرى لمرحلة قمع حريات التعبير بمنع الرُسُل من تبليغ رسالاتهم واضطهاد أتباعهم،

تبدأ بالتوازي عقوبة السماء بالإقتراب أكثر منهم.

وقد جاءت هذه العقوبات إما مُباغته كما حدث مع قوم لوط.

أو بميعاد واضح كما حدث مع قوم صالح، عندما قال لهم تمتعوا في داركم ثلاثة أيام.

أو بشكلٍ متدرج كما حدث مع فرعون، بتسع آيات انتهت باستدراجه إلى اليَمّ وإغراقه.

حسناً.. هيا ننتقل لأفكارٍ جديدة.

النمرود وتحدي الزمان

استوقفتنا بعض المشاهد في أواخر سورة البقرة، جائت مُرتَّبة، وكانت كُلها عن إحياء الموتى!

-لكن عفواً.. هل يُمكِن لبشر أن يُحيي ميت؟

=نعم، يبدو أنه ُممكن ذلك..

وهو إما أن يكون عن طريق عِلم تتعلمه وتُطبقه فتُحيي مَيّت، كما كان يفعل بعض أفراد بني إسرائيل ممن خصهم الله بهذه العلوم، أو أن يكون هذا الإحياء بتأييدٍ مِن السماء بشكل مباشر كما تجلى لعيسى عليه السلام، وهو الأقوى والأوضح والأسرع.

-هذا عجيب!.. وماهذه الآيات أو المواضع التي استنتجت منها ذلك؟

حسناً..

انظر معي كيف أتت تلك الآيات في عدة مواضع، كلها تتحدث عن الإحياء بعد الموت..

فتجد النمرود يجادل إبراهيم عليه السلام ويقول له أنه يُحيي ويُميت..

ونجد إبراهيم عليه السلام يطلب تعلُّم طريقة إحياء الموتى بشكل عملي..

ثُمَّ رجُل يمُر على قرية ويتعجَّب كيف يُحييها الله بعد موتها، فيُريه الله عملية الإحياء بعد الموت.

وأخيراً عيسى عليه السلام الذي يُبعَث لبني إسرائيل بمجموعة من المُعجِزات، من بينها إحياءه للموتى بشكلٍ يفوق كل علومهم وإمكاناتهم. لأنها كانت تَتِم بتأييد السماء له.

بعد كل ماسَبَق..

يتبين لنا أنَّ عملية إحياء الموتى كانت موجودة بالفعل في ذلك الزمان. وكانت مَحَلّاً للإهتمام والإجلال.

لنعود لإبراهيم عليه السلام.

لَفَتَ انتباهنا أنهُ في أواخر سورة البقرة، يتم الحديث عن عملية إحياء الموتى بشكل مُلفِت.

بدأ الأمر بمحاجَّاة إبراهيم للنمرود، ويُخبرنا القرءان أنَّ النمرود هذا قد آتاه الله المُلك كما يلي:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)

– البقرة

قال إبراهيم عليه السلام للنمرود وهو يُحاجِجْهُ "ربي الذي يُحيي ويُميت".

فرد عليه النمرود بأن قال: "أنا أفعل ذلك!".

لم يعترض إبراهيم عليه السلام على ادعائه سواء كان قد صَدَّقَهُ فيما يَدَّعِي أم لا،

وانتقل لمستوىً أعلى من التحدي..

وهُنا أفحمهُ إبراهيم عليه السلام بأن طَلَبَ مِنهُ شيء يُثبِت محدودية مُلْكِه هذا.

ففي النهاية ليس أمامك إلا أن تُقِرّ وتعترف بأنَّ الله وحدهُ هو مالك المُلك.

فقال له أنَّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأتِ بها من المغرِب.

وهذا تَحَدٍ يدخُل فيه التحكم بالزمان والمكان معاً!.

فكأنما يُخبره إبراهيم عليه السلام بأن الله جعل أيامنا تبدأ بالصباح، فتُشرِق الشمس، ثُمَّ يمضي اليوم حتى تغرُب الشمس..

فَبِما أنّكَ رَبٌ كذلك..

هل تستطيع السير عكس اتجاه الزمان أيها النمرود؟

هل تستطيع إعادة اليوم بعد أن انقضى وغربت شمسه، لِيرجع مرةً أخرى إلى الصباح؟

مممممم.. هل لاحظت شيء؟

نُلاحِظ أنَّ الطلب الثاني الذي طلبهُ إبراهيم عليه السلام مُشابه للطلب الأول من حيثُ الميكانيكية.

فكلاهم إعادة للشيء إلى ما كانَ عليه قَبلَ أن يَنقَضي، أو يَذهَبَ إلى السُكون.

فالميّت قد مات وسَكَن.. فهل تستطيع إحياءه؟

فقال، أو زَعَمَ أنه يفعل ذلك..

حسناً..لابأس..

هذا نطاق ضيق من السير عكس الزمان بأن أحييت ميت.

كما أنه لابد أن يموت أولاً كي تُحييه، وربما تنجح العملية، وربما تفشل.

انتقل إبراهيم عليه السلام بالنمرود إلى الإختبار الأصعب..

هل تستطيع أن تعود بالزمان إلى الوراء ليوم واحد مثلاً؟

لِنطاق أكبر مِنَ المخلوقات وهُم أحياء، أيَّ ليسوا أموات، وأنت أيضاً منهم!

هيا.. قُم بإعادة الزمان الذي مضى علينا إلى الوراء لبضع ساعات.

فبُهِت الذي كَفر!.

-لكن لدي سؤال..

نستطيع اليوم السفر بالطائرة لنتقدم أو نتأخر اكثر من عشر ساعات مثلاً فما المشكلة؟

=المُشكلة أنك أنت الذي انتقلت لمكان آخر لتحتال على مرور الزمان عليك بينما لايُمكنك العودة به للوراء وأنت في مكانك.

ورغم ذلك لاتقلق، فلو توفرت تلك الطائرة للنمرود حينها لكان التحدي مُختلف، فكُل زمان وله خصائصهُ.

المسألة ليست مُتعلقة بما تمتلكه من علوم أو إمكانات عالية، ففوق كل ذي علمٍ عليم.
لكن المُهِم ألا يَدفَعَكَ عِلمك هذا أو ما أوتيت من مُلك، لِأن تكفُرَ بِمَن قّنَّنَ لك هذه القوانين في الأصل، وأنشأها، وذلّلَها لك لتكتشفها وتستثمرها.

وأَمَرَ ملائكته بالعمل لتهيئة هذه القوانين كي تعمل لأجلك.
فلا يليق بك بعد كل هذا أن تجحد وتُنكِر فضل الله، أياً كان الزمان الذي تعيش فيه. فالإنسان سيظلّ محدود دوماً، والله مُطلَق.

-هذا ممتاز.. لدي سؤالٌ آخر..

=نعم، تفضل.

-هل نقوم اليوم بعملية إحياء للموتى؟

=هذا سؤال جيد..
نعم نقوم بذلك.

نرى كيفَ أن العديد من الموتى بعد دخولهم إلى الإنعاش، يعمل الأطباء على مُحاولة إنعاشهم أو إحيائهم، إما بِصعقِهِم بالصَّدمات الكهربائية، أو بوضعهم على صفائح معدنية لتبريد أجسادهم في مُحاولة لحمايتها من التلف، وذلك لتهيئة الجسد لاستقبال الروح إذا ماعادت، وغيرها من عمليات الجِراحَة المُعقَّدة، كُلها تُعَد مِن علوم إحياء الموتى..
فقد عاد هؤلاء الموتى بالفعل إلى عالمنا بعد أن كانوا قد انتقلوا لعالمٍ آخر، وقصوا علينا تجاربهم بينما كانت قلوبهم وأدمغتهم في حالة توقفٍ كامِل.

تحكُّم فالزمن باحتراف!

نعود لسورة البقرة وإحياء الموتى..
لفت انتباهنا أيضا ذِكْر مشهد لرجُلٍ مرَّ على قرية فأثار فضولهُ سؤال "كيف يُحيي هذه الله بعد موتها!؟"

جائت هذه القصة عَقبَ مَشهد إبراهيم عليه السلام مع النّمرود مُباشرةً، لِتُرِيَك عَظمة قُدرِة الله سبحانه وتعالى في تنفيذ ماهو أبعد وأعقَد مِن مُجرد عَملية الرجوع بالزمن إلى الوراء كما جاءَ في طَلَبِ إبراهيم عليه السلام من النمرود.

فالله تعالى قدرته لاحُدودَ لها، وهُنا يُعطيكَ القُرءان جانب جديد مِن هَذه القُدْرة المُدهِشة في التحكُّم بالزمان بِشَكلٍ جديد، بحيث يجعلُهُ "نِسبياً"..
أيّ يختلِف تَوقيتُه لمجموعة من المخلوقات أو الأشياء، حتى وإن تواجدت في مكانٍ واحد، مع مراعاة خصائص المادة الخاصة بكل مخلوق أو عُنصر.

-ماذا يعني هذا الكلام؟ لم أفهم!

=تعال نقرأ الآيات ونستخرج المعاني..

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259) – البقرة

هُنا يتسائل هذا الرجُل مُتعجباً من قدرة الله.. كيف يُحيها الله بعد فناءها وفناء أهلها؟..
فيأتي الرد فيما هُو أبعد وأعقد مِن مُجرّد إحياء لقرية أو لمخلوقات بعد موتهم، ليكون درساً للعالمين مِن بعده.
يَرَوْ جانب مِن قُدرة الله تعالى التي لا حُدودَ لها.

مرَّ الرُجل على القرية وكان معه حِمار وطعام،
أيّ أنهم ثلاثة عناصر، سيدخُلون في معادلة الزمان، لنُشاهِد مُعجِزة جديدة.

هُنا يموت الرُجل مئة عام. يموت بمعنى الموت،

بينما إذا قارنتهُ بفتية الكهف،

ففتية الكهف لم يموتوا، بل ضُرِبَ على آذانهم "ناموا"، فتغيرت ملامحهم لدرجة أنك إن نظرت إليهم، تخاف وترتعِب.

المُهِم.. بَعَثَهُ الله من جديد ولم يَشْعُر أنه مرَّ عليه مِئة عام، فشَعَر وكأنه نامَ يوماً.

بَعَثَ الله هذا الرّجُل مِن جَديد بعد مِئة عام.

وهذا مستحيل في عالم البشر!

فأقصى مايستطيعوا فعله، أن يقوموا بإحياء من كانَ بين الموت والحياة، وفي نطاق زمني ضيق يمتد من ساعات لبضع أيام من تاريخ الموت المؤقت.

ثُم نُلاحظ شيء أخر..

يُقال للرجُل انظر إلى طعامك وشَرابِك، ليرى كيف أنهُما لم يتأثرا قط بمرور تلك المئة عام عليهم!

أليس هذا عجيباً؟

كيف يحفظ الله الطعام والشراب بنفس خصائصهم البيولوجية لمئة عام دون أن تتغير!

فمهما تَقَدّمَ بالإنسان العلم، لايُمكِنُهُ الحفاظ على جميع خصائص الطعام إذا قامَ بتخزينه. إذْ لابُد أن يتغير بعضها بمرور الزمن وطبيعة العملية حيث يتطلب إضافة بعض المواد الحافظة والتي تُغير خصائص هذا الطعام.

-إذاً فما الأمر هُنا؟

=الأمر ببساطة أنّ الله تعالى أوقف مرور الزمان على الطعام فظلَّ الطعام على حالته طازجاً.
وفالمُقابل، أجرى الزمان على الرجُل وحِماره فمات الرجُل وتحلل وانتهى حِماره.

ثُم بعث الله الرجُل، ولكي يُريه كيف تمت هذه العملية "أيْ هذا البعث"، بعثهُ هو أولاً، ثُمّ أحيا لهُ حِماره أمامهُ ليُشاهد بعينيه كيف يتم الأمر.
فأراه العظام وهي تتجمع وتتكون ثُم تكتسي باللحم، وهكذا إلى أن أصبح الحمار كما كان قبل موته.

فلما رأى ذلك ماكان منه إلا أن قال "أعلم أن الله على كل شيء قدير"، أيّ آمنت أنَّ الله على كل شيء قدير.. إيماناً بالغيب، لِما هو أبعد مما رأت عيني، وهو إيمانه بقدرة الله على كل شيء.

-سبحان الله الخالق!
ولكن كيف استنتجت أنهُ قَصَدَ هذا المعنى عندما قال "أعلم أن الله على كل شيء قدير" ؟

=هذا سيتطلب بعض التفصيل..
لكن لا بأس.. هيّا نُوضحها ونختم بها هذه الفقرة.

السبب في ذلك، أنها جائت في عدة مواضع فالقرءان الكريم وكانت تُشير لهذا المعنى..

فجائت في سورة البقرة بشكلٍ واضح من السياق أنها تُشير إلى الإيمان بأمرٍ غيبي كما يلي..

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (118) – البقرة

طَلَبَ هؤلاء القوم آية غيبية وعلقوا عليها إيمانهم وهي أن يُكلمهم الله أو تأتيهم آية أو مُعجِزة، فوصفتهم الآية بأنهم لايعلمون، أيّ لايؤمنون بالغيب.

فما قيمة إيمانهم إذاً عندما يطلبوا مثل هذا الطلب الذي ينُم عن وقاحة وكِبْر، فالإيمان هو أن تؤمن بالغيب!.

يؤكد لنا القرءان على فساد نوايا أصحاب مِثل هذه الطلبات، فَذَكَرَ لنا تَشابُه قُلُوب كُفار قُريش عندما طَلبوا شيء مُشابه بقلوب قوم موسى الذين طلبوا رؤية الله كي يُؤمنوا. فتشابهت قلوبهم، وهي القلوب الجاحدة الرافضة للحق.

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا (153) – النساء

لنعود لكُفار قريش والطلب ذاته..

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ – البقرة

كما ترى فقد قال الذين لا يعلمون – أيّ لا يؤمنون بالغيب – قالوا للرسول الحبيب عليه عليه الصلاة والسلام لماذا لايُكلمنا الله كما يُكلمك؟ أيّ لماذا لا ينزل علينا القرءان كما ينزل عليك؟.

وجاء في تفسير ابن كثير عن مُناسبة نزول تلك الآيات أنّ رجُلا اسمه رافع بن حريملة قد قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد، إن كنت رسولا من الله كما تقول، فقل لله فليُكلمنا حتى نسمع كلامه. فأنزل الله في ذلك من قوله: (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية).

إبراهيم وإحياء الموتى

نعود لإبراهيم عليه السلام وإحياء الموتى..

جائت الآيات في سورة البقرة، والتي أعقبت قصة الرجل الذي مرّ على القرية أيضاً لِتتكلم في نفس الموضوع، وهو إحياء الموتى..

ويبدو أنه كان من الأمور المُميزة في تلك الفترة، أو أنه قد شَغَلَ اهتمام بني إسرائيل.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (260)

تأتي الآيات لتُخبرنا بطلب إبراهيم عليه السلام من ربه أن يُريه كيف يُحيي الموتى.
جاء السؤال صريحاً فالآيات "بكيف تُحيي" ويعني طلب معرفة أوتعلُّم الميكانيكية التي يتم بها هذا الأمر.

-ولماذا يطلب إبراهيم هذا الطلب؟

=لأنَّ إبراهيم عليه السلام دائم التفكُّر والبحث كما جاء في تعريفنا للمِلّة سابقاً.

فيأتيه الرد من ربه.. أولم تؤمن؟
أيّ ألا تؤمن بالغيب؟ فإحياء الموتى قَبْل هذا الطلب كان أمراً غيبياً لدى إبراهيم عليه السلام.

فيُؤكد إبراهيم قضية إيمانه بالغيب ثم يذكُر السبب وراء السؤال، وهو اطمئنان القلب، والذي يتحقُّق بالإشباع المعرفي تجاه ذلك الأمر.
فيأمره الله بالقيام بعمل بعض الخطوات التي تكشِف كيفية حدوث عملية الإحياء هذه.

بهذا نُنهي فقرات إحياء الموتى والتحكُّم بالزمان..
لننتقل لموضوعٍ جديد.

ديانة إبراهيمية

بما أننا نتكلم عن إبراهيم عليه السلام ومِلّته السليمة التي أوصلته لله رب العالمين،

نود أن نُعلِّق على فلسفة انتشرت مؤخراً وهي الديانة الإبراهيمية. ومفادها أنّ الله تعالى موجود في كل مكان، يكفيك أن تتوجه إليه أياً كانت طريقة توجُّهِك.. فكل الطرق تؤدي إليه فالنهاية..

وكما لاحظنا أنه تم توظيف مثل هذه الشعارات والعناوين لأغراضٍ غير سويِّة،

لنأخُذ مثال بهذا المنشور:



Dada Atman updated his profile picture.
April 17 ·

عش تجربتك كاملة صلي مع مسلم و أحضر قداس مع مسيحي ردد أسفار
مع يهودي وارقص مع صوفي أغطس بالماء وتعمد مع صابئي وتبادل
التعاليم مع طاوي تحدث حكم مع كونفوسشي وإستحم بالنهر وتطهر مع
هندوسي راقب مغيب الشمس مع أزيدي وأشعل النار مع زرادشتي تأمل
مع بوذي و طوف وارتحل مع سادهو تحرر وادرك الصمادي مع معلم تانترا
فالله موجود في كل الوجود
تتغير تجربتك بإزدياد وعيك

نُحب أن نقول له:

لقد نسيت شيئاً مُهماً..

الله تعالى موجود حسب إدراكك وصدقك مع ذاتك، فإن كان إدراكك محدود، فالله تعالى أعلم به، وسيتعامل معك وفق نيتك وبواعثك وأعمالك.

أما إن كنت تُخادِع نفسك، فأنتَ في ورطة.

هذا لايعني أن نذهب للناس ونقول لهم لابأس.. لاتقلقوا أيها البوذيون (على سبيل المثال).. سيحُاسبكم الله وفق نواياكم.. اطمئنوا، أنتم بخير..

هذا عَبَثْ!.. الأولى أنه عندما تأتي فُرصة للحوار حول المعتقدات، أن نقول لهم أنّ الله واحد، خالق كل شيء. وهُم أحرار بعد ذلك. مصائر العباد فالنهاية لايعلمها إلا الله.

لكن لا ننسى أنّهُ إن تبيَّن لأحدهم أنّ الحق عند الديانة الفُلانية، ولم يتَّبِعها، فسيتم حسابهُ وسؤاله، لِماذا لم تتَّبع الحق؟.

أيضاً.. نسيَ صاحبنا أنه ليست كُل الديانات تدعو إلى الله..
فقد رأينا مِلل تُعلنها صراحةً أنها تتقرب لإبليس وجنوده من الجِن.. ولسنا بحاجة لذكر أسماء تلك الأرباب والتعاويذ فالكل يعلمها.
تجدهم يُقدِّمون لهم القرابين، ويتلونَ التعاويذ في تأمُّلاتهم، ويَرَوْن الشياطين، ويعلمونَ أنهم شياطين. لكن لا بأس فهم يتبادلون المنافع فيما بينهم.

هؤلاء تكلَّم عنهم القرءان. فكما أنهم اتخذوا الشياطينَ أولياء، فجزاؤهم العادل هو أن يلحقوا بأوليائهم يوم القيامة. فلا تُحاول وضع أمثال هذه المِلل في نفس السَلَّة.

تأمَّل الآية:

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (98) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (99) – الأنبياء

هُنا تُخبِرهم الآية، أنَّ هذه الأصنام والأوهام التي تعبدونها، سيتم إلقائها معكم فالنار. فإن كانت آلهةً بحق، لَما سقطت فالنار. ولأنكم انحدرتم لهذه الدرجة، وظننتم أنها تنفعكم. وقدَّمتُم القرابين، ورضيتم بسُلطة الجن وإبليس عليكم. بالتالي تستحقون هذا المصير.

الآية التالية تشمل أنواعاً أخرين من الناس، وتصفهم بشكل دقيق..

وهم الذين تبادلوا المنافع مع الجن.

يبدو أنها تشمل المُشعوذين والسَحَرَة ومُدرِّبوا الطاقة أتباع حركة العصر الجديد.

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128) – الأنعام

يحضُرني هُنا مَشهَد مُثير للسُخرية..

يقول أحد المتدربين في مدارس الطاقة الحديثة، أنَّ مُعَلِّمهُ أخبرهُ بضرورة أن يعمل فالمجال معهم، كأن يقوم بعمل جلسات وخدمات طاقيّة للناس بمُقابل مادي. وكُلُنا يعلم أنَّ هذه الجلسات تتم بوسيط من الجن.

فقال هذا المُتدرِّب أنه سيقوم بهذا العمل دون مُقابل، من باب تقديم المنفعة للناس.

فأخبره المُعلِّم بضرورة أخذ مُقابل مادي، وأنَّ هذا مذكورٌ فالقرءان.. أنَّ الإنس والجِن بإمكانهم الإستعانة ببعضهم والإنتفاع ببعضهم. وتلا عليه هذه الكلمات:

"رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ"

والعجيب أنَّ هذا المُتدرِّب لو بَحَثَ عن باقي الآية، لوجدَ أنها تُبشِّره هو والجن الذي يُعينُه بالنار.

وجدنا أيضاً الآية التالية..

وكنّا نتعجَّب، ماذا تعني؟ وعلى من تنطبق؟

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (40) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (41) – سبأ

وَجَدْنا أنَّ أغلب أتباع حركة العصر الجديد، يوهمون مُتدرِّبيهم أنَّ الذي يأتيكم بالليل من أطياف وكينونات، هُم مِنَ الملائكة. وهكذا، خدعوا أنفُسَهم وظنوا أنهم يتعاملون مع الملائكة.

فأدركنا أنها تصف حال هؤلاء وهُم يُحاسبون يوم القيامة على كَذِبِهِم وضلالِهِم.

حسناً.

لنعود..

نقول للمُوحِّد الذي وصل لدرجةٍ جيّدةٍ من النُضج بتوحيده الله:

عندما يصطفيك الله بِعِلمٍ وفهم فترتفع بها لمرتبةٍ أعلى من غيرك، فلا ننتظر منك أن تهبط لمرتبة أدنى منها، حينها يختلف حسابك تماماً عن غيرك ممن هُم أقل منك في درجة الفهم والإدراك.

وقد ذكر الله لنا أمثلة عديدة عن هذه النوعية من الشخصيات.

فمثلاً..

اصطفى الله قوم موسى وأورثهم مشارق الأرض ومغاربها ونجاهم من فرعون بمُعجزة واضحة صريحة.

ثم بعد هذا الرُقي والنُضج الروحي، وبعد هذه التجربة العميقة بصحبة رسول كريم يكلمه الله بنفسه..

مَرُّوا على قومٍ يُمجِّدون بعض الأصنام كأنهم يعتقدوا فيهم النفع أو الضر، أو أنهم يعملون كوسطاء بينهم وبين إله السماء.

فأعجبهم ذلك الأمر وطلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهً جسدا مثلهم.

فكان مجرد تفكيرهم هذا أو طلبهم من موسى هذا الأمر، خطأً عظيماً.

لاسيما أنه أتى من أقوام مُفتَرَض أنهم على درجة جيدة من الإدراك والحِكمَة لا يتناسب معها هذا السَفَهْ!.

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140) – الأعراف

وانظر كيف أجابهم موسى عليه السلام قائلاً: "أغير الله أبغيكم إلهاً"؟

وفي مواضع عدة تجد ذات الرد من الرُسُل وهم يجادلون أقوامهم..

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (66) – غافر

وهذا دليل على أنه من جائته البينات وارتقى في مدارج معرفة الله،
لا يُقبَل منه ولا يليق به أن يهبط لمستوى أدنى من جديد.

مثالاً آخر..

الذين آمنوا من قوم شُعيب وهم يجادلون قومهم بعد أن فتح الله عليهم وجاءتهم البيّنات واتسع إدراكهم عن الله وعن الوجود. فتأمل كيف كان ردهم على أهل قريتهم ممن رفضوا ملة شُعيب السليمة.

قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (89) – الأعراف

وهكذا..

فكُلٌ له تجربته الخاصة وظروفه المحيطة، وليس سليماً أن نضع كل المعتقدات في خلاط، ثم نقول هيا.. هؤلاء كلهم نفس الشيء!.

لا ياعزيزي.. ليسوا نفس الشيء.

فأنا سأُحاسَب وفق ماجائني من بيِّنات، وكيف تعاطيت معها.

الحساب بمقاييس متناهية الدقة، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

في نفس الوقت، يُذكِّرُنا القرءان بأقوامٍ ظنوا أنّ المعرفة أو العلم وحده يكفي لرفعة الشأن أوالنجاة.

فظنوا أنهم أبناء الله وأحباؤه لمجرد إتيانهم لبعض صنوف العلم أو المُلك، ونسوا أن إتيانهم إياها هو في حد ذاته ابتلاء، وليس شرطاً أن يكون مكافئة.

وهُنا يُذكِّرهم الله أنّ الغاية في أن تعملوا بما آتيناكم من عِلم، لا أن تستخدموه فالتحايُل على الشرائع أو الإفساد فالأرض.

فكان عِلمهم هذا، وإن بدا عميقاً أومتشعباً من وجهة نظرهم، دون عمل مُكافئ،

أصبحوا كما وصفهم القرءان، بالحِمار.. يحمل فوق ظهره ماهُوَ نافع ومُفيد لكنه لاينتفع به.

مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (5) – الجُمعة

وتأمل معي كيف صاغ القرءان هذا التشبيه الدقيق، ليحثنا على العمل بما نعلم، وعدم الإكتفاء بالتعلُّم أو التنظير هنا وهناك دون أن نعمل بما نقول.

مَدْرَسَة إبراهيم فالدُعاء

وجدنا بعض اللفتات الجميلة فالقرءان الكريم الخاصة بسيدنا وأبينا إبراهيم عليه السلام، وكيف كان دائم البحث والإرتقاء في علاقته بالله.

يخبرنا القرءان عن إبراهيم عليه السلام وأنه قد أَتَمَّ رسالته ودوره على الأرض.

وهذه درجة عالية، أن تقوم بإتمام رسالتك بشكلٍ كامل، لاسيّما عند الأخذ فالإعتبار طبيعة الإنسان وضعفه.

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (124) – البقرة

وهُنا نُلاحِظ جانب من شخصية إبراهيم عليه السلام وهو حرصه على ذُريّته وعلى الناس مِن بعده، فتراه في أكثر من مَوضِع يدعوا لهم ويستغفر لهم.

يقول له ربه إني جاعِلُك إماماً، فيطلب إبراهيم عليه السلام من ربه امتداد هذا الشرف لذريته أيضاً، فهو عليه السلام دائم التفكر فيمن سيأتي بعده.

فيأتيه الرد بأن عهد الله لايناله الظالمون، لأن الله تعالى يعلم أن ذرية إبراهيم منها الصالح ومنها الظالم لنفسه.
وقد نال العهد بالفعل بعض ذريته المُباركة.. منهم إسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام.

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) (العنكبوت: 27)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ – الحديد: 26

يحاول إبراهيم عليه السلام إقناع أبيه بترك الأصنام وهدايته للرشاد، لكن لاجدوى. فيستغفر له إبراهيم، من رحمته به. فيتضح له فيما بعد أن هذا الإستغفار لن ينفع أبيه لأنه عدو لله..

وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ (114) – التوبة

يدعو إبراهيم عليه السلام ربه بأن يرزق أهل مكة من الثمرات، ثُم يبدو أنه تذكر.. رُبما يكون فيهم من لايستحق، فذَكَرَ في دعائه "مَنْ آمَنَ مِنهُم".. فيقول الله تعالى مُعقِّباً، أنهُ سيرزُق مَنْ كَفَرَ أيضاً، وعِقابه مؤجل.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (126) – البقرة

وهكذا يَتَّبع إبراهيم المِلّة السليمة ويرتقي رويداً رويداً في علاقته بربه، فتجد مجموعة من الأدعية فالقرءان، والتي جائت لتُعلمنا كيف ندعو ربنا وماذا نقول في دعاءنا..

نذكر بعضها:

رَبِّ اجعَلني مُقيمَ الصَّلاةِ وَمِن ذُرِّيَّتي رَبَّنا وَتَقَبَّل دُعاءِ

هنا يدعو الله أن يجعله مقيماً للصلاة، ولاينسى ذريته أيضاً. ثُم يسأل الله أن يتقبل دعاءه

رَبَّنَا اغفِر لي وَلِوالِدَيَّ وَلِلمُؤمِنينَ يَومَ يَقومُ الحِسابُ

وهنا يطلب المغفرة له ولوالديه وللمؤمنين جميعاً.. انظر كيف كان حرصه على الناس وحبه الخير لهم!

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ

وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ

وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ

وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّـهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ

ثُم نختم بهذا الدعاء الفريد.. وهو من أفضل ما دعا به إبراهيم عليه السلام.

-ما هو هذا الدعاء؟

=أن يبعث ربنا النبي الحبيب مُحمَّد عليه الصلاة والسلام.

-كيف عرفت هذا؟

=جاء هذا الدعاء في سورة البقرة، ثم جائت الإستجابة في نفس السورة بعد عدة صفحات.

تعال نقرأها معاً..

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (129) – البقرة

تأمل معي كيف وُفِّق إبراهيم عليه السلام لهذه الدعوة التي جاء على إثرها ملايين المُسلمين المُوحدين لله وكيف يكون ميزان حسناته بها!

ولاحظ معي أنه ذكر بعض الأمور على الترتيب:

1. يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ
2. وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
3. وَيُزَكِّيهِمْ

ثُم بعد قليل نرى استجابة الله لهذا الدُعاء مع إجراء تعديل عليه كما يلي:

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (151) – البقرة

ثُم جاءت نفس الثلاثة أمور المذكورة في دعاء إبراهيم عليه السلام، ولكن اختلف ترتيبهم. فتم ترتيبهم وُفقاً للأولويات.

1. يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا
2. وَيُزَكِّيكُمْ
3. وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

فالتزكية تسبق العلم.. وإذا حدث العكس، ربما يضر صاحبه بأن يغتر بعلمه أو يتكبر على من حوله، أو يُطوِّع هذا العلم فيجعله يعمل لصالح أهوائه، وغيرها من الأمور التي نراها عند غياب التزكية.

وسبحان الله، يستجيب الله لهذه الدعوة الخالدة ويبعث فينا الحبيب المُصطفى عليه عليه الصلاة والسلام.

ونُقِلَ أنه عليه الصلاة والسلام قال عن نفسه أنه دعوة أبينا إبراهيم، وأنه أشبه الأنبياء بأبينا إبراهيم.

ونقرأ فالقرءان أمر السماء له باتباع ملة إبراهيم عليه السلام.

ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (123) – النحل

وكما كان إبراهيم عليه السلام دائم التَفَكُّر في خَلْق الله وفالسماوات والأرض، وغيرها مِن مَظاهِر عَظمة الله الخالق عز و جَلّ، فكان أيضا رسُولُنا الحبيب عليه الصلاة والسلام دائم التفكُّر والتأمُّل في ذات الأمور.

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (217) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (218) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (219) – الشعراء

وكما كان إبراهيم عليه السلام حريصاً على ذُريته من بعده ودائم الدعاء لهم، كان رسولنا الحبيب حريصاً على أُمته، و على نجاتهم ووضعهم في مصاف الأُمم، وسعى وبذل كل وسعه في ذلك.

تأمل هذه الآية التي كلما سمعتها تزيدك حُباً لرسولك وحبيبك عليه الصلاة والسلام..

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ – التوبة

وعندما جاء اليهود والنصارى يُجادلون في أحقيتهم بإبراهيم عليه السلام، جائتهم الآيات واضحات مُبينات لهم أنَّ إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مُسلماً، وأنَّ أولى الناس به هُم الذين أسلموا لله وآمنوا كما آمن إبراهيم عليه السلام.

ثُم يصدِمُهم ويخبرهم بأنَّ أولى الناس بإبراهيم هو هذا النبي الذي ترونه أمامكم، النبي الأمي الحبيب عليه صلاة الله وسلامه. هو الأشبه به وهو الذي يتَّبع ملته. فإن كنتم صادقين في رغبتكم للإنتساب لإبراهيم عليه السلام، فاتَّبِعُوا الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ

يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۗ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68) – آل عمران

يقين كالجبال

يُختَبَر إبراهيم عليه السلام اختباراً هو الأشدّ صعوبة!، والمُتمَثِّل في تضحية ولده إسماعيل.

-ولماذا يتم اختباره في ولده بهذا الشكل المؤلِم؟

=لأنه عليه السلام تم إعداده ليكون إمام الناس جميعاً إلى يوم الدين.

إنه أبو الأنبياء.. مؤسس المِلّة السليمة التي ارتضتها السماء لكل بني البَشَر من بعده.

فطبيعة الإختبارات التي ستصقل هذه الشخصية لتجعلها عظيمة كما شاهدنا،

لن تكون كتلك الإختبارات التي نتعرَّض لها أنا وأنت!.

فهؤلاء يُلقى عليهم قولاً ثقيلاً يتناسب مع قدراتهم العالية ونفوسهم الزكية المُنيبة لربها في جميع الظروف.

-حسناً.. لكن لازلت غير مُقتنع!.. لماذا يُطلب منه تضحية ولدهُ بِيَديهِ؟

=سنُجيبك بعد قليل.. لا تقلق.

الإختبار:

يرى إبراهيم عليه السلام في منامه أنه يذبح ابنه الذي بلغ مَعهُ السعي.

وتأمَّل كيف يتم التركيز على بلوغه السعي.. أيّ أنه كان في سن مُناسب يستطيع معه خدمة والده المُسِن، يسعى معه ويُؤنِسه ويُشاركه همومه وأعماله ويقوم بإعانته وخِدمته.

ثُم في تلك الذروة، يأتيه أمر ربه بتضحية هذا الإبن.

-وكأنما يُقال له.. ألست تُؤمن بأنَّ الكل لله؟

=بلى يارب..

-ألست تُؤمن بأنَّ الكُل لابد راجع إلى الله؟

=بلى يارب..

-إذاً.. الله تعالى يُريد أن يسترد وديعته "إسماعيل عليه السلام".. فماذا تقول؟

=يستقبل إبراهيم عليه السلام الأمر بقبولٍ عجيب! ولا طاقة لنا بوصف هذا الإيمان أو هذا اليقين بالله الذي تجاوز قدرات عقولنا على الإستيعاب.

ثُم لم ينته الأمر هُنا فحسب..

-وكأنَّ الله تعالى يقول له:
ألست أقوم أنا بهذه العملية عنك.. فآخذ أحبائك وأصدقاءك وأقاربك عندما يحين أجلهم؟
فأُرسل ملائكة الموت لتقبض أرواحهم؟

=بلى يا رب..

-إفعلها أنت بنفسك يا إبراهيم هذه المرة.. كُن أنت ملك الموت هذا.. واقبض لنا روح ولدك بأمرٍ مِنّا.

يا الله.. ماهذه النفس العظيمة التي بداخل إبراهيم عليه السلام!
ماهذا الإيمان والتسليم الذي يزن إيمان أُمم بأكملِها..
ماهذا البّشر الذي خرق من نفسه العوائد!..

ستُدرك بعض جوانب عظمة هذا البلاء كلما نظرت إلى أحد أبناءك مُحاولاً تخيُّل المشهد الذي حَضَرَهُ سيدنا إبراهيم عليه السلام.

كيف لا وقد وصف الله تعالى هذا الإمتحان بالبلاء المُبين "إن هذا لهو البلاءُ المُبين"

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (104) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (105) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (106) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (107) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (108) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (109) كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (110) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (111) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (112) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ (113)

أشارت الآيات لبعض المُكافئات التي كافئ الله بها إبراهيم عليه السلام عقب هذا البلاء المُبين:

- وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ← "لم تذبح السكين ولده وإنما ذبحت كبشاً من عند الله عظيماً".
- وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ← "وهذه من أعظم الهبات، فجعل الله تعالى لإبراهيم عليه السلام سيرة طيبة إلى يوم الدين عند كل شعوب العالم. جميعهم على اختلاف ثقافاتهم يُحبونه ويُوقرونه ويُعزِّرونه".
- سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ← "ثناء جميل على إبراهيم وفيه سلامة من الآفات والأذى".
- وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ← "يُبشره بغلام منه اسمه إسحق ويُبشره بأنه سيكون نبياً ومن الصالحين".
- وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ← "يبارك عليه وعلى ولده إسحق ويجعل في ذريته النبوة".

هكذا هيَ مكافئات الله لعباده المخلصين الذين اتَّبعوا هُداه ورضوانه..

لنُكمل السير ونُشاهد ماذا فعلت البشرية من بعد إبراهيم عليه السلام..

البشرية بعد إبراهيم

وصى إبراهيم عليه السلام بنيه باتباع ما وصل إليه، فسألهم ماذا تعبدون من بعدي؟ ليأتي إقرارهم بعبادة الله وحده.

وهم إسماعيل وإسحاق. ثم من بعدهم يعقوب عليه السلام،
وجاء من نسله يوسف عليه السلام، الذي أعطى البشرية دروساً في شُكر نِعَم الله وفالوفاء.
وتتوالى الأحداث، وتنضج البشرية..

يأتي أيوب عليه السلام ليعطينا دروساً عميقة فالصبر والإحتساب..

ثم تتوالى الأحداث
ويأتي يونس عليه السلام ليعطينا دروساً فالتفكير قبل اتخاذ القرارت، وعدم اليأس من رحمة الله،
واستمرار قرع الأبواب حتى تُفتح لنا كما فُتِحت له.

ثم يأتي شعيب عليه السلام ومن بعده موسى وأخيه هارون.

ويُمثِّل موسى عليه السلام طفرة للبشرية.

كانَ موسى عليه السلام فريداً في عالَم الرُسُل.

فقد أُسنِدت إليه مهام عديدة.. وكانَ على قدر المسؤولية.

كانت نفسيته كالجبل، ويقينه لايتزعزع.

أعطى البشرية دروساً في شتى المجالات..

في الشجاعة والقوة، والإدارة والقيادة، وغيرها من القيم.

سنتطرَّق إلى بعض مهامه هذه فالباب الثاني بإذن الله..

ثُم يخرج من مدرسة موسى عليه السلام داوود، والذي لمع نجمُهُ في جيش بني اسرائيل بقيادة طالوط أثناء دخولهم الأرض على عدوهم، فقتل داوودُ جالوت. وآتاه الله المُلك وأصبح من أعلام بني إسرائيل.

ثُمَّ جاءَ من بعده سُليمان عليه السلام، والذي أُعطِي مُلكاً لن يكون لأحدٍ من بعده.

وهو مُلكه على الشياطين.. يَعْمَلونَ له ويغوصون ويبنون ويصنعون له مايشاء.

هذا بالإضافة لبعض القدرات الخارقة كتعليمه مَنطِق الطير، وتسخير السّحاب له، وغيرها من الأمور التي خصّ الله تعالى بها سليمان عليه السلام.

ورغم كل هذا المُلك والعَظَمَة، إلّا أنهُ لم يُفتَتَن بها وظَلّ مُتواضعاً لِربه.
قارن ذلك بأغلب مُلوك عصرنا، الذين هُم على استعداد لبيع إنسانيتهم مُقابل مُلك محدود أو سُلطة مؤقتة.
وهكذا نُدرِك قُوة نفسية وأصالة هذا النبي الذي لم تَفتِنهُ كُل هذه المغريات، وكان من عباد الله الصالحين المُصلِحين في الأرض.

ثم يأتي من بعدهم زكريا عليه السلام.والذي بَلَغَ المَراتِبَ العُلا بِزُهدِه و وَرعِه.
يَرى أرزاق الله تُساق إلى مَريَم العذراء بشكلٍ عجيب!
فيُدرك أن الله يرزق عباده المُخلصين بغير حساب، ويرعاهم.

فيدعو زكريا ربه أن يرزقه بالذُريّة الطيّبة، التي تحمل أمانة الإصلاح من بعده.
فيُبشره الله بيَحيَى، الذي سماهُ الله مِن فوق السماوات قَبل أن يأتي إلى الدنيا.

كانَ يَحيى زَكيَّ النَفْس، أيّ دائم المُجاهَدة لِنَفسِه، وكان عميقاً فالفهم والحِكمَة والجد والعَزم والإقبال على الخير.

يقال أنه رأى يوماً إبليس في رؤيا، وقيل له، سَلهُ فإنه يصدُقك..

فسأله عدة أسئلة، كان منها أنه قال له، هل قَدِرْتَ عليّ يوماً؟

فأجابه إبليس بنعم..

في ليلة كذا، زدت فالأكل، فلم تقم للصلاة بالليل.

فتأثر بذلك يحيى وقال لا أشبع بَعدُ أبدا..

فبدت على إبليس ملامح الغضب، لأنه بجوابه قدم نصيحة ليحيى عليه السلام دون أن يشعر.

كان عيسى ويحيى عليهما السلام ابني خالة، وقد عاصرا بعضيهما.

عيسى عليه السلام من أولو العزم من الرُسُل.

والذي تميَّز بعدة مزايا. فكان وجيهاً، من المُقربين.

ومن المعلوم أن مقام المُقرَّبين، مقام مرتفع لا يصل إليه سوى القليل من عباد الله.

سنُحدّثك عن عيسى عليه السلام بمزيد من التفصيل فالباب الثاني بإذن الله..

وقبل الرحيل، يُبَشِّر عيسى عليه السلام بنبؤة محمد عليه الصلاة والسلام، وهو الخاتَم للرُسُل والنبيين.

يأتي مولد النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام.

الذي أضاءت الأرض والسماوات بنوره المُبارك.. كيف لا وهو المبعوث رحمةً للعالمين.

وهو الذي يختم به الله رحلة هذه البشرية على الأرض.

سَنتحدث بمزيدٍ مِن التفصيل عن الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام فالباب الثالث بإذن الله.

-حسناً..

لقد أصابني الملل مِن هذه القصص التي تقُصها عليّ..

لاداعي للإستمرار في سرد بقية الأحداث إلى يومنا. فنحن نعلمها على أي حال..

-هل لديك جديد؟

هل يُمكنك اختصار الأمر والإجابة على الأسئلة الوجودية التي طرحناها في بداية هذا الباب؟

=لابأس، أنت مُحِق!.. هيا نقفز إلى فقرة القِصَّة الوجودية..

نُحب أن ننوه أن هذه القِصَّة بها بعض الأمور الإستقرائية أوالإجتهادية.

وأنها ليست يقينية.. لهذا أسميناها "قِصَّة"

لكنها ستبني لك تصور منطقي يُجيب على أغلب تساؤلاتك الفلسفية والوجودية.

حسناً.

هيا بنا..

مُقدِّمة القصَّة

فالحقيقة، اضطررنا للتعمق والإنفتاح على اتجاهات فكرية متنوعة كي نتمكن من وضع تفسير لكثير من الأمور الغيبية التي سنتناولها فالفقرات التالية.

فكما رأينا كيف اقتحم إبليس وأتباعه من مدارِس الطاقة حياتنا بأفكارٍ مُشوهةٍ، ومعلوماتٍ مُضللةٍ فالسنوات الأخيرة، وإخوانهم أعداء الأديان ومنظومات القِيَم.

كُلها أتت تحت شعار التنوير وحركة العصر الجديد برعاية إبليس بالطبع.

ونقول لأتباع مدارس الطاقة أنّ إبليس لايُعطي معلومة غيبية بشكلٍ مجّاني.. إنه يأخذ الثمن منك.

فإبليس ليس في قلبه رحمة، ولايفهمها.

أتدري مالثمن؟

إنه مصيرك.. الثمن هو خسارتك لوقتك ودنياك، وفشلك في إنجاز رسالتك التي جئت من أجلها.

حتى أسرار العوالم الخفيّة التي يعلمها إبليس، لايُعطيها لأتباعه بشكلٍ سليم.

فهو يعبث بها ويعطيهم مايضرُّهم ولا ينفعهم، ويُدخِلهم في متاهاتٍ فكريةٍ وفلسفيةٍ جوفاء.

ولعل هذا ماتعلَّمتهُ بني إسرائيل من قبل، كما جاء في سورة البقرة.

فعِند اتصالهم بالشياطين والجن.

تعلَّموا مايضرهم ولاينفعهم.

وهو سِحْر التفريق وقطع العلاقات وإفسادها. وغيرها من الأمور السُفلية.

هذا مانسمعه فالمُستويات العُليا من المناهج التي يُدرِّسونها في أكاديمياتهم الخرقاء.

في الحقيقة لا جديد!..

فما تعلَّمهُ بنو إسرائيل من آلاف السنين من دَجَل، جاء به أبناء مدارس الطاقة اليوم وأسموه حركةِ عصرٍ جديد**!**.

بالتالي أردنا أن نقطع على إبليس وأتباعه هذا العبث الذي انتشر بقوة في أغلب دول العالم،

ونَضَع للقارئ، البوصلة السليمة التي تحميه وتُحصِّنُهُ من أغلب أشكال الضلال الفِكري التي رأيناها مؤخراً.

حسناً.. لنبدأ

مواثيق الإستخلاف

-مالذي حدث؟

كيف أتينا إلى هذا الكوكب؟

=خلقنا الله في عالم الأرواح،

ثُم حدثت عملية اصطفاء بشكلٍ ما، لنكون من أهل هذا الكوكب، كوكب الأرض.

-كيف حدث هذا الإصطفاء؟

=أشكال الإصطفاء كثيرة..

لكن دعنا نُرتِّب الأمور ونتصوَّر كيف يمكن أن يكون هذا الإصطفاء..

عندما خلقنا الله تعالى، كنا لانزال أرواح بدائية، لاتجارب لها، أو إن شئت فقل ساذجة أو مُسطَّحة بعض الشيء.

وبما أنّ المخلوق بطبيعته، يحتاج إلى غذاء بشكل ما..

يمكننا تصوُّر أنه كان يأتينا غذاء أرواحنا من عند الله.

في نفس الوقت، قررت بعض الأرواح أن تَهَب هذا الغذاء المُخصص لها، لروح أخرى،

كأنها كانت بحاجة لهذا الغذاء. فتكون هذه الروح قد آثرتها على نفسها وأهدتها هذا الغذاء أو هذا النور أو أياً كان هذا الشيء الذي قررت هذه الروح أن تَهَبهُ للآخرين. هذا مُجرَّد تصوُّر على أي حال..

هُنا يتم اصطفاء هذه الروح التي قررت تقديم العون للآخرين.

وكأن تلك الروح قد اقتحمت عقبة الأنانية مثلاً، فاستحقت هذا الإصطفاء الأولي.

فإنك إن تأملتَ، فستجد أنك على الأرض مُطالَبٌ أيضاً باقتحام العقبة!. لكنها عقبة أشدّ صعوبة.

سنُفصِّل هذه العقبة أكثر فالباب الرابع والخامس..

المُهم..

تخرج هذه الروح المصطفاة لمرتبةٍ أعلى.

ويتم تخييرها إذا ماكانت تُريد مزيداً مِن الإرتقاء والنُضج الروحي في هذا الملكوت.

ربما يكون ذلك بحوارٍ مباشرٍ مع الله.

-عفواً.. ماهو هذا النُضج والإرتقاء الروحي؟

=لانملك توصيف دقيق، لكن يُمكنك تلخيصه في كل ما هُوَ مؤدي للإقتراب من الله خالق كل شيء، والإرتقاء في علاقتنا به، والتحقُق بمعاني العبودية له.

فالله هو الغاية لكل شيء.

وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ (42) – النجم

سنذكُر عبارة "النُضج الروحي" هذه فالفقرات القادمة كثيراً.

عندما تقرأها.. إعلم أننا نقصد بها ما ذكرناه بالأعلى.

حسناً.. لنُكمِل.

إن وافقت هذه الروح، يتم عرض عليها بعض خيارات النضج والإرتقاء، والتي تتفاوت في درجة عُمقِها.

في نفس الوقت، تُدرِك هذه الروح أنه كلما كانت التجربة المتفق عليها أكثر عُمقاً وبها مُكابدات، كُلما كانت الدرجات التي ستحصل عليها هذه الروح أعلى وأكبر عندما تعود إلى مَوطِنها من جديد.

بالطبع إذا مانَجحَت في امتحانها على الأرض.

وتتباين التجارب التي يتم إسنادها لتلك الأرواح المصطفاة، كلٌ حسب سعته. فالله تعالى لايُكلفُ نفساً إلا وسعها.

وجدير بالذكر أنَّ تجارب كوكب الأرض ليست سهلة مُقارنةً بغيره من الكواكب (على افتراض وجود حياة على كواكب أخرى).. لكنها فالمُقابل ترفعك عالياً عند نجاحك فيها.

-لكن لحظة.. كيف يتم اختيار هذا الكوكب أو طبيعة التجربة؟

=لا ندري!.. فنحنُ نبني هذه التصورات من خلال تحليل وتفكيك الكثير من تجارب الإقتراب من الموت، مع بعض قصص التراث، وبعض آيات القرءان التي أشارت لهذه الأمور الغيبية.

المُهم..
يترتب على هذا الإختيار الذي اختارته تلك الروح، تصميم الأُطُر العامة لطبيعة الحياة والإختبارات المؤدية لهذا الهدف وهو النُضج والإرتقاء في هذا الوجود الكبير.

يتم أيضاً إدخال بعض التعديلات في تجاربنا ونحن على الأرض، وذلك وفق معادلات مُعقدة، فيها الخير والنَفْع لنا، فهي تحدُث دون أن نشعُر أو أن نفهم ذلك، إلا أن يشاء الله لاحقاً.
بينما لايزال هُناك أهداف واضحة تم الإتفاق معنا عليها، والتي يجب أن نُنجِزها على الأرض.

-لحظة من فضلك.. لدي سؤالان..

=تفضل..

- سؤالي الأول:
ماذا تقصد بإدخال بعض التعديلات هذه؟

أتفهَّم أنّ الأمر مُعقّد، لكن هل لديك مثال يُبسِّط الفِكْرَة؟

=ربما يكون هذا الأمر مُشابهاً لما قام به الخضر عليه السلام عندما قَتَلَ الطفل، وخَرَقَ السفينة.

كان من وراء هذه الأفعال خير كثير لهؤلاء، لكنهم لم يكونوا ليقوموا بهذه الأفعال لأنفُسِهِم، فَمَن الذي سيُقْبِل على خَرْق سفينَتِه بِنفسِه!، وهو لايعلم فالأساس ماينتظره بعد قليل.

بالتالي يحتاج الأمر تَدَخُّل السّماء.

أيضاً بعض الأفعال لانقدر على القيام بها لأنفُسِنا، حتى لو عَلِمنا بأنّ فيها الخير كُل الخير.

فهل يِقْدِر هَذين الأبوين على قتل إبنيهما؟

بالطبع لا!..

وهذا ماقامت به السماء عنهما رحمةً بهما..

لعلك أدركت الآن عِظَم البلاء الذي ابتُلِيَ بِهِ إبراهيم عليه السلام..

فقد قام بتنفيذ البلاء العظيم بِنَفسه لِنَفْسِه!

والذي لايقدر عليه أحد.

جيد!

-سؤالي الثاني..

تقول أنه لايزال هُناك أهداف واضحة تمَّ الإتفاق عليها معي وأنه يجب أن أُنجزها هُنا..

كيف هذا؟

فأنا لا أعلمها؟

=لاتقلق.. ستظهر أمامك هذه الأهداف بشكلٍ يُشعِرُك أنها مُتعلِّقة بك.

ولنعطي مثال.. لفترض أنك تزوجت بفتاة.

هذه الفتاة تدخُل في تجربتك، ويكون لك دوراً مُهماً يجب أنه تُقوم به تجاهها.

فإن أنجبتُما أطفالاً، يدخلون كذلك في تجربتك. وتبدأ رسالتك معهم بالتبلور كلما تقدَّموا بالعُمر، وذلك لتغيُّر طبيعة التحديات والأقدار.

حاول أن تجلس مع نفسك وفكِّر في مهاراتك وإمكاناتك، وماتستطيع القيام به لنفسك وللآخرين.

هذا أحد المفاتيح التي تفتح لك أبواب اكتشاف أهدافك التي أتيت لتُنجِزها هُنا.

لنعود..

كما ذَكَرْنا سابِقاً.. أننا لانزال نَمتَلِك الفُرَص التي تُتِيح لنا تعديل مساراتنا ونحن على الأرض.

لأننا مُتَمَيزون بالقُدرَة على الإختيار والتَعَلُّم السريع والتعديل المُستَمِر للأهداف ورَسْم غاياتٍ أبعد والسعي إليها.
فالإنسان في ابتلاء لطالما هو على الأرض.. لاحِظ مايلي:

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3) – الإنسان

لاحظ كيف أتت هذه الآيات في سورة سُمِّيَت بِ"الإنسان"
ويأتي في مَطلَعِها أنَّ غاية خَلْق هذا الإنسان هُو اختباره وابتلائه. والإنسان كما نعلم أنهُ روح بداخل جسد.
تدخُل الروح في الجسد، والتي في عالمنا تكون خلال أشهُر الحَمْل ونحن في أرحام أمهاتنا.
ونخرج بعدها للحياة لتبدأ رحلة ابتلائنا على الأرض.

فتأتي الآية التي تليها لتؤكد على مَيْزَة الإختيار الحُرْ لدينا.
فسبيل أو نَهج شُكر النِعم والإنسجام مع نظام الله مُهيَّأ لمن يختار بإرادته الشُّكرْ،
وسبيل أو فلسفة الجحود ونُكران الجميل وكُفر النِعم مُهيَّأ أيضاً لمن يختار بِإرادَتِه الحُرّة ذلك.
فأعمالك تُظْهِر لَكَ السّبيل الذي اخترته وسِرْتَ عليه. وهُنا يُخبِركَ الله أنكَ مَسؤولٌ عن اختيارك وعملك.

وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (13) – الإسراء

حسناً..

هيا لنُكمِل مراحل مابعد اختيارنا القُدوم إلى الأرض وحمل الأمانة..

أخيراً، يتم عمل عقد أو ميثاق، طرفه الأول هو أنت، وطرفه الثاني هو الله جلّ جلالهُ. بِمُوجبه أنت تُوافِق على القُدوم إلى هذا الكوكب، كوكب الأرض، لتؤدي رسالتك وتَحْمِل الأمانة التي أَشْفَقَت مِن حملِها السماء والأرض.

ثُم يَحدُث أهم جُزء في كل هذه القِصَّة..

ألا وهو محو كل هذه التفاصيل من ذاكرتك قبل هبوطك للأرض.

-ماهذا!، ماذا تقول؟

=لا تقلق، استمر بالقراءة وسنعود لهذه النقطة بعد قليل.

نُحب أيضاً أن نُنَوِّه بأنّ اختبارات اصطفاء الأرواح التي تكلمنا عنها في بداية هذه الفقرة، هي فالأصل أكثر تعقيداً. لكننا فقط أعطينا مثال أو تصور بسيط لتقريب الفكرة.

والمُفترض أن هذه الإختبارات، تتفاوت فيها مراتب تلك الأرواح، فكلما كانت الروح أكثر فاعلية ونشاطاً، كلما كانت أنوارها أكثر إشعاعاً وتوهجاً. والذي يقودنا للمرحلة التالية، وهي تفاوت رُتبَة التجارب والمواثيق التي يتم إبرامها مع تلك الأرواح.

فمثلاً.. الأرواح الأعلى تَوهُّجاً وإضائةً رُبما تكون أرواح الرُسل والأنبياء، والأقل تدريجياً تكون للمراتب التي تليهم من العارفين والأولياء والمُقربين، وأرواح أصحاب الرسالات السامية والقادة المؤثرين النافعين للإنسانية، وهكذا إلى أن تصل لأرواح لا تكاد ترى لها نوراً، وهي الأرواح شديدة الأنانية.

-هل نجد فالقرءان مايُشير لهذه المواثيق المأخوذة في عالم الذرّ؟

=وجدنا بعض الآيات تشير لشيء مشابه. نذكر بعضها..

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (173) – الأعراف

بالحسابات الأرضية البحتة، والتي لا تعترف بعالم الأرواح، سيقول البعض، أنه إن كان هُناك ميثاق بالفعل، فلعل أنه مَن قام بإبرامه أجدادنا الذين عاشوا من قبل أن نأتي، أو أوائل الخلق ك آدم مثلاً..

بينما نحن مُجرد ذُريّة مِن بعدهم، ولا علاقة لنا بميثاقهم هذا!.

وهنا يقطع الله عليهم هذا الإدعاء، ويؤكد على أنه قد تم أخذ هذه الشهادة من جميع بني آدم، وليس فقط من الأجداد.

-عفواً.. لكننا بالفعل غافلون عن هذا الأمر!

=نعم، لابأس.. ولهذا السبب يُخبرك الله بنفسه عن هذا الأمر، رحمةً بك، ويذكرك بألا تحاول استخدام عُذر الغفلة عن هذا الميثاق.

فالله تعالى يُخبرك من الآن أنه عُذر غير مقبول.

-لكنك لم تجب على سؤالي بعد!.. لماذا لا نتذكره الآن ونحن هُنا على الأرض؟

=ببساطة لأنه بعد إبرامك العقد، يقتضي بموجبه محو ماشاهدته ورأيته منذ قليل مع الله تعالى والملائكة من ذاكرتك، وذلك قبل هبوطك للأرض.

هذا ماتقتضيه طبيعة ما أنت مُقبِل عليه هُنا على الأرض.

إذْ لامعنى من خوض تجربة تهدف لرفع نضجك الروحي، بينما أغلب تفاصيلها ونتائجها معلومة لديك مُسبقاً!.

فالله تعالى يعلم على سبيل المثال، الشقيّ من السعيد، ويعلم أعمار جميع الخلائق واختياراتهم وأقدارهم.

لكنهُ شاءَ أن يتركنا نختار بأنفُسنا، لأننا ببساطة مُخيرين ومُستخلفين فالأرض.

فلو افترضنا أننا نعلم موعد انتهاء حياتنا على الأرض، سيُصبح الأمر أشبه بالسيرك!

فأغلب الناس سيبدأ بالعَبَث هُنا وهُناك، ثُمّ يأتي قبل موعد رحيله ليتوب ويُصلِح من أحواله.

لعلك أدركت لماذا يجب أن يُمحَى مارأيته في عالم الذرّ من ذاكِرتك.. أليس كذلك؟

لنضرب مثالاً آخر..

لو افترضنا أننا نرى نور الله تعالى، أو نرى ملائكته، وغيرها من الأمور الغيبية.. فهل سيكون لإيماننا معنى؟

-لا!.. لأنهم انتقلوا بالنسبة إلينا من الغيب إلى الشهادة.

=حسناً.. وكذلك الميثاق، إن كنّا جميعاً نتذكُره بتفاصيله ونحن هُنا الآن، فلا فائدة من هُبوطنا للأرض.

-لدي سؤال آخر..

=تفضّل..

-الآية بالأعلى لم يَرِد فيها كلمة "ميثاق" هذه؟

=نعم.. معك حق، لكنها تُشير إلى حوار يدور، و اتفاق يحدث بيننا وبين ربنا في عالم الذرّ.
وهي مُتعلِّقة بالميثاق بشكلٍ عام.

أما إن كُنت تبحث عن آيات تتعلق بالميثاق الذي نقصده بشكلٍ خاص وواضح، فلا بأس..
ما رأيك بالآيات التالية؟..

قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (22) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (23) – عبس

بدأت الآيات بوصف جحود الإنسان وكُفره. فالله خلقه، ثم أخرجه للوجود، ثُم يسَّر له السبيل، وجعله مُستخلفاً حُرّاً يختار بإرادته ويسلُك السبيل الذي اختاره. ثُم بعد انتهاء فترة امتحانه على الأرض، يموت ويدخل القبر. ثم يُبعث للحساب. لأنَّ الموت ما هُو إلا عملية انتقال.

ثُم يأتي أهم جزء، وهو يُفسِّر لماذا اتصف هذا الإنسان فالآية بالجحود!
فهو لم يقُم بقضاء ماتم الإتفاق عليه.

"كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ" – عبس

وللمُصادفة، أننا وجدنا تفسير ابن عباس لهذه الآية يُوافق ماذكرناه بشأن المواثيق المأخوذة.

جاء تفسرهُ لها كما يلي:

"ما يقض ما أمره: لم يَفِ بالميثاق الذي أُخِذَ عليه في صُلبِ آدم"

ولاعَجَب، فقد دعا الرسول عليه الصلاة والسلام لابن عباس بالتفقُّه فالدين، وتعلُّم التأويل.

حسناً..

لنُكمِل.

في المقابل.. هُناك مواثيق برُتبةٍ أعلى، وهي مواثيق الرُسُل.

مايلي بعض الآيات التي تتحدث عن مواثيق الأنبياء والرُسُل..

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧ الأحزاب﴾

لاحظ فالآية لفظة "مِنك" والتي تُخاطِب الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام.
وتأمَّل كيف أنَّ مواثيق الرُسُل أكبر وأشدّ من مواثيق العوام:

"وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا"

-لحظة..

لدي سؤال..

كيف فَهِمْتَ أنَّ المواثيق المأخوذة من الأنبياء فالآية بالأعلى أُخِذَت في عالم الذرّ أو في عالم الأرواح؟

=وجدنا أنه يُخاطب الرسول عليه الصلاة والسلام أولاً، ثُم يأتي ذِكر نوح عليه السلام بعده، ثُم إبراهيم وموسى وعيسى على الترتيب.

لكن الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام ترتيبه في عالمنا، عالم "الأشباح" هو بعد عيسى عليه السلام. فهو خاتَم الأنبياء والمُرسلين.

في نفس الوقت، جاء ترتيبه فالآية قبل نوح عليه السلام!، مع أنّ نوح عليه السلام هو أول الأنبياء على الأرض.
فكيف أتى ترتيب الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام قبله في أَخْذ ميثاق النُبُوّة؟

ربما هذا ما يُفسِّر أنَّ الميثاق تم أخذهُ في عالم الأرواح.

حيثُ خُلِقت روح النبي الحبيب مُحمَّد عليه الصلاة والسلام أولاً إن صحَّ هذا التحليل.

ولعل هذا يُوافقُ مانُقِل عن الرسول عليه الصلاة والسلام حين قال: "كُتِبْتُ نبيًّا وآدم بين الروح والجسد"
وقال بعض السَلف أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام أول الأنبياء في الخلق في عالم الارواح ، وآخرهم في البعث في عالم الاشباح.

حسناً.

-هذا ممتاز..

لكني لازلت أرى فالقرءان مواثيق يتم أخذها من أقوام خلال حياتهم على الأرض، كميثاق بني إسرائيل مثلاً..
لماذا يُؤخذ منهم ميثاق آخر وهُم على الأرض؟

=أجل.. المواثيق يُمكِن أخذها على الأرض أيضاً..

فعلى سبيل المِثال..

أنتَ عندما تقطع نَذْراً لله، فأنت بذلك أعطيت الله ميثاقاً، وعليك الوفاء به.

فأبواب الله تعالى مفتوحة دائماً لكُل مُجتهد، ومقامات التَرقْي مُتاحة لمن يُريد الإرتقاء.

ورُبما يَحْدُث العكس، كألا يَفي أحدهم بميثاقه مع الله، ويُخِل به، فيُلحق الضرر بنفسه.

دائماً سترى شبكات الأقدار المُتشعّبة تتجلى أمامك، لأنها تُمثّل نسيج حياتنا على الأرض.

نُسمِّيها شَبَكة لأنّ كُل طريق نَسْلُكُه يفتح أمامنا أقداراً جديدة، مُتشابكة مع أقدار خَلقٍ آخرين.

وهكذا..

فنحنُ نختار بالإرادة الحرة التي وهبنا إياها الله.

وفي نفس الوقت، يدعمنا الله تعالى ويهدينا السبيل، رحمةً بِنا.

فيُرسل لنا أنبياء ورُسُل، وكُتُب سماوية.

-لماذا يُرسِل الأنبياء والكُتُب والرُسُل؟

=لهدايتنا السبيل، وإخراجنا من الظُلُمات إلى النور.

وهذا لأن إبليس بالمِرصاد لذُريّة آدم. يُريد أخذهم إلى الظُلُمات والجهل والعبودية لغير الله.

فأي مسار آخر لا يؤدي إلى صراط الله، هو ضَرَر و ضياع لمن يَسلُكُهُ.

بالتالي جائتنا تلك المِنح من الله لتضمن لنا أن نكون أحراراً، قادرين على حمل الأمانة، والنجاح في أداءها.

لعل ماسبق، حُجة واضحة لكل من يَظُن أننا أتينا هُنا هكذا دون اختيار منا.

ودعوة له بألا يُضيع وقته.

ونقول له..

ابتعد عن المُشتتات، واقترب من نفسك أكثر، واصقل مرآت قلبك..

عندها، ستنكشف لك بعض المعالم على طريقك،

لِتُرشِدك إلى أهدافك وغاياتك التي كانت مدفونة بسبب غفلتك أو إعراضك عن رؤية الحقيقة.

-كيف أصقل مرآت قلبي هذه؟

=هذا ماسنعمل عليه بدايةً من الباب الثاني.. وعنوانه "اضبط الترددات"

حسناً.. لدي سؤالان مُهِمان بالنسبة لي!

-السؤال الأول:

هل تُريد إقناعي أن أحدهم مثلاً اختار تجربة قاسية؟ كأن يقضي نصف عمره فالسجن، أو في مناخ يسوده الحروب والعنف؟ مالذي يدفعه لاختيار تجربه كهذه؟

=بالطبع لاتسير الأمور هكذا!

أولاً نُحب أن نُخبرك أنه لايُفترض بك أن تحصُل على إجابات لجميع أسئلتك.

فمن مقتضيات الحياة على الأرض، ألا تفهم كل هذا، لأنه ليس في مصلحتك.

فأنت محدود في فهمك.

-ماذا تقصد بمحدودية الفهم هذه؟

=نقصد أنك لن تدرك المعايير المُعقّدة التي يتم العمل بمُقتضاها في تصميم البرامج القدرية لكل إنسان وكيف تترابط مع أقدار الناس من حوله في نفس الوقت. فإن أنتَ فهمت تجربتك، سيعتاص عليك فهم تجربة غيرك.

وإن نَجَحَتْ معايير حُكْمِكَ على تجربة شخصٍ ما، فلن تنجح عند إسقاطها على غيره.

وهكذا.. لأنك لاتمتلك السر، ولا تملك المُعالجِات الدّماغِيّة العِملاقة المطلوبة للتحليل والربط.

لكن ماذا إن أصرّ أحدهم على فهم مايدور هُنا؟

ببساطة.. سينفجر دماغه مع أول تدفُّق معلوماتي يأتيه!.

لأنه بحاجة لقُدُرات دِماغية خارِقة، كالتي سيمتلكها في عالم البرزخ. حينها سيُدرِك بعض هذه المعارف.

وعلى أي حال.. نحن اكتفينا بالقول أننا كأبناء آدم اخترنا خوض تجارب تهدف لرفع درجات نُضجِنا الروحي، وإزكاء علاقتنا بالله رب العالمين.

وذلك بالنزول لكوكب الأرض، ولم نُرِد الإفتراض بأننا اخترنا تفاصيل ابتلاآتنا، فهذا غير منطقي.

لازِلنا نظُن أن مسألة توزيع الإبتلاءات هذه مُعقَّدة بعض الشيء.. وأكبر من أن تختارها الأرواح بشكلٍ مُباشر هكذا. نعم، رُبما يكون لنا تَداخُل واختيارات بشكلٍ ما. لكن يبقى الأمر به غُموض إلى أن ننتقل إلى البرزخ لِنفهم الحقيقة.

المُشكلة أنّ إبليس تسلل بزي حركة العصر الجديد، وخَلَطَ الكثير من الأكاذيب بقليل من الحقائق الغيبية. وهذا ماسبَّبَ الضلال والفساد العقدي الذي رأيناه مؤخراً.

-هل تعطيني مثال خلط فيه إبليس أمر غيبي حقيقي بأُكذوبة، و أَدّت لفساد في مُعتقدات البعض؟

=نعم، سنذكُر لك مِثال في فقرة الحيوات المُتعددة بَعد قليل.

حسناً.. لابأس.

نأتي إلى السؤال الثاني، وهو المُهم لدي..

-نرى أشخاص وكأنهم أتو للأرض فقط ليمارسوا أشكال الشرور المتنوعة، فمنهم من يعمل فالعصابات المُسلحة، ومنهم من يُشعل الحروب ويقتل الكثير من البشر كما رأينا فالحروب العالمية.

سؤالي هو.. كيف يسمح الله لمثل هذه الأرواح بالتجسُّد على الأرض؟
فكما يبدو، أنها أرواح شر!. أين النُضج والرُقي الروحي الذي ستُحققه تلك الأرواح؟
وحتى لو كان هُناك نُضج لها، فكيف يكون على حساب آلاف الأرواح البريئة؟

=أحسنت!.. هل لاحظت شيئاً؟.. لقد قمت للتو بطرح نفس سؤال الملائكة!

"أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ"

كُنّا قد مررنا على هذه الآية في بداية الباب بشكل سريع.. والآن نُفصِّلها أكثر بناء على المُعطيات الجديدة.

لاحظ أيضاً أنّ الملائكة قامت بالتركيز على نفس النقاط التي أثارت غضبك، "الإفساد والقتل".
وكان رد الله عليهم بأنه يعلم أمر ما أعمق فيما يتعلق بترك هؤلاء المُفسدين يخوضوا تجاربهم على الأرض أيضاً، والذي لم تُدرِكهُ الملائكة.

قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ - البقرة

ثُم لم يتكلم الله تعالى عن هذا الأمر الذي يعلمه بشأن الإفساد فالأرض.
وانتقلت الآيات لتتحدث عن نقاط تَمَيُّز آدم على الملائكة.

لكننا سنحاول تحليل الأمر..

أولاً:

الإجابة غير المُباشرة أنهم مثلهم مثل باقي الأرواح، كانت لهم رسالات مُفترض أدائها على الأرض.

لكنهم بعد نزولهم للأرض أعرضوا واتبعوا أهوائهم، وحادوا عن الطريق واختاروا الإفساد. واتِّباع الشيطان.

وجاء فالقرءان أمثلة عن هذه النوعية، منها "بلعام بن باعوراء" وقصة انتكاسته الشهيرة المذكورة في سورة الأعراف.

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ - الأعراف

لا ننسى أنّ الله تعالى لم يقضِ على إبليس عندما رفض السجود وأظهر عدائه لآدم وذريته، فهل سيقضي على أتباعه من الإنس الذين هم أقل رتبة من إبليس في مستوى الشر؟.

فكما أنَّ حساب إبليس مؤجّل ليوم البعث، فحساب أتباعه أيضاً مؤجل لما بعد موتهم ويوم القيامة.

الله تعالى ترك إبليس يختار ويلقى نتائج اختياره، وكذلك نحن، نختار بإرادتنا الحرة، إما نختار تزكية أنفسنا أو دسها.

فوجود الأشرار جاء نتيجة وجود مبدأ حرية الإختيار..

فهل تريد من السماء قمع حرية الإختيار؟

إن فَعَلَتْ، فلن يكون هُناك فائدة من الإستخلاف على الأرض حينئذٍ.

ثانياً:

وجود المُفسدين والأشرار يُظهر لنا سُنّة التدافع كما جاء فالقرءان:

وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) - البقرة

لاحظ أنّ الآية ذكرت فضل الله على العالمين، في قيامه بدعم سنّة التدافع.

وهذا يعني أنّ الله تعالى يُهيء الظروف فالوقت المناسب، ويُعين أصحاب الحق في نضالهم أمام المُفسدين وينصرهم عليهم، وذلك لتحقيق التوازن الذي بدوره سيوقف الإفساد فالأرض.

ثالثاً:

يعمل وجود المُفسدين والأشرار، على تجلي معنى الإبتلاء والفتنة.

-عفواً.. ماذا تقصد بتجلي الإبتلاء والفتنة هذه؟

=ابتلاء الناس في هذه الحالة مُتمَثّل في وقوع ألوان الظلم عليهم من قِبَل أصحاب النفوذ المُفسدين.

والفتنة هي رد فعل هؤلاء الناس جراء تعرضهم لهذا الظلم والتنكيل،

وردود فعل الشعوب المُجاورة لهم كذلك، هل سيُساندوهم أم يخذلُوهم؟

-كيف فهمت أن الفتنة تعني ذلك؟

=من خلال عدة مواضع، منها هذه الآية:

وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35) – الأنبياء

فعلى المستوى الفردي:

ابتلائك بالخير أو المال، يضعك أمام الفتنة "الإمتحان". وهو كيف ستُنفق هذا الخير أو المال؟

حسناً..

لنأخذ مثال لسُنة التدافع وتجلِّي الإبتلاء والفتنة.

يُعطينا القرءان مثال كامل يبدأ بوجود قوم جبّارين.

-فيطلب المُستضعفين أن يُبعث فيهم ملك يقودهم ليُقاتلوا هؤلاء الظلمة الجبارين.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ – البقرة

=فيُخبرهم نبيهم أنّ الأمر يحتاج إعداد منهم، فهل أنتم جادين؟

قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا – البقرة

-فيجيبونه إجابةً منطقية، والتي دفعتهم لطلب قتال هؤلاء الظلمة.

قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا- البقرة

=والآن جاء دور الفتنة، التي ستُظهر نتيجة الإبتلاء، الذي اكتمل بموافقة السماء على طلبهم.

هيا.. قاتلوا إذاً كما طلبتم وسندعمكم..

وانظر كيف أنّ الفتنة مهمه!

فهي تُظهر لك رد فعلك لتراه بنفسك. فيسهُل عليك تقويم الأمر إن شئت والعودة للصواب قبل فوات الأوان.

فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) – البقرة

ثم يخرج من بينهم مجموعة صادقة، تنجح في إعداد نفسها للجهاد ومواجهة الظلمة هؤلاء.

فيتم النصر وهزيمة الجبارين:

فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (251) - البقرة

وهكذا، فوجود هؤلاء الأشرار المُفسدين، أثار غضب الأحرار وحفزهم للمقاومة وانتزاع الحقوق، وجعل لنضالهم وكفاحهم معنى.

في النهاية نحن جميعاً خُلفاء الله على هذه الأرض. والخليفة هو النائب عن المالِك،

ومن متطلبات هذا الإستخلاف إطلاق أيدينا للتصرف بحرية في هذه الأرض.

إنها باختصار.. الأمانة التي أشفقت أن تَحمِلها السماوات والأرض، وحَملها الإنسان.

وكان جاهلاً بحجم هذه المسؤولية.

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72) – الأحزاب

لاحظ أنّ الجهل والظلم فالآية السابقة تمت نسبتهم للإنسان..
لكن عندما يتحول هذا الإنسان إلى مستوى أرقى، وهو الإنسان المُصلِح أو المُؤمِن..
حين يؤمن بالخالق الذي استخلفه، ويتبع التعاليم التي تضمن إنجاح مشروع الإستخلاف. حينها ينجح في الإختبار ويسُهل عليه تحمُّل هذه الأمانة.

ولعلك تُلاحظ في آيات القرءان حين تصف "الإنسان"، تجدها تصفه بصفاتٍ بدائية دونيِّة، كالطمع، والجهل، وكُفر النعمة، وحُب المال، وغيرها من الآفات..

بينما فالمُقابل تجد أوصاف "المؤمنين" الذين أدركوا أنهم مُستخلفين فالأرض وأنهم راجعون لِربهم بعد انتهاء مُدّة استخلافهم، تجدهُ يَصفهم بأوصافٍ راقية وساميةٍ تتناسب مع مُعدّل النُضج الذي تحققوا به بإيمانهم وفهمهم.

ولهذا أرسل الله الرُسُل والأنبياء والكُتُب المُقدسة وغيرهم من الوسائل، ليقوموا بنقل الناس من رُتبة "الإنسان" هذه إلى رُتبة الإنسان "المؤمن" الحُر، المُتَحرِّر مِن قُيود العُبودية لأي شيء سوى خالقه.

وهذا يقطع الحُجة على من أصروا على الإستمرار برتبة الإنسان بعد أن جائهم العِلم والبَيّنات.

ويُخبِرنا القرءان عن صنف من البشر لم يقف عند رتبة الإنسان فحسب.. بل انحدر لرُتَب أدنى مِن الحيوانات!

-هل لديك مثال على هؤلاء الذين انحدروا لتلك الرُتب؟

=نعم، أخبرنا القرءان عن صنف من الناس، لايلتزمون بالمُعاهدات والمواثيق، لاسيما المُعاهدات العسكرية المُتفق عليها. وتصف سلوكهم بنقض العهود والمواثيق، وتُوضِّح الطريقة السليمة للتعامل مع هؤلاء.

-ولماذا تكون مَنزِلتُهم أدنى من الدواب؟

=لأن الدواب يحكُمها قانون عام، كما شاهدنا في برامج وسلاسل عالم الحيوان من مجتمعات القرود، والحُمر الوحشية، والأسود وغيرها.
بينما هؤلاء بنقضهم العهود والمواثيق العسكرية، تدنوا لمنزلةٍ أصبحت فيها الحيوانات أكثر رُقياً منهم.

تأمل الآية:

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (55) الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (56) – الأنفال

وبالُمناسبة.. نُحِب أن نُؤكد أنّ القرءان ليس به نصوص تحُث على الكراهية كما يزعم البعض.
هو فقط يضع الأُمُور في مِكانها الصحيح. فالمُعتدي أو المُحارب له خطاب خاص يُناسب أفعاله، وهكذا..
لكن مَنْ يخلط الأوراق بِجَهْل، سيظُن أنها نُصوص تُحرِّض على الكراهية، لِقصور فهمِهِ أو لسوء نواياه.

حسناً..

هذا يكفي..

لقد ناقشنا غاية الوجود من منظور مجموعي، وهو تحقيق غايات الإستخلاف ورعاية الأمانة التي قررنا حملها.
بينما على المُستوى الفردي فأنت هُنا لتنضج وترتقي بنفسك وبعلاقتك مع الله والناس.
وذلك عن طريق مجموعة من التجارب والإبتلاءات التي تتعرض لها.

في نفس الوقت، أنت جزء من نسيج الوجود. فأنت مرتبط بأهلك وأقاربك وأصدقائك، وزملائك بالعمل. وهؤلاء جميعاً يمكنك اعتبارهم مُدخلات في معادلة نضجك الروحي المُتفق عليها مُسبقاً.

فابحث في هذا الأمر، واعلم أنهم ليسوا في حياتك بطريق الصدفة!
فقد تم وضعهم في تجربتك، ووضعك في تجاربهم. يؤثر بعضكم في بعض.
ابحث في علاقتك بهم وستقترب من فهم رسالتك أو دورك الذي كُلِّفت به تجاههم.

-هل تعطيني مثال على أحد هذه الأدوار؟

=بالطبع، هل يجهل أحد دور أو رسالة الأب/الأم؟

بالطبع لا!.. فالأب يدعم الأسرة ويمنحها الأمان والإستقرار.

فإن أهمل الأب دوره هذا، فيكون بذلك مُقصَّراً في رسالته على الأرض، ومُخِلاً لأحد البنود الرئيسية في ميثاقه الذي أُخِذ منه.

وكذلك الأم.

وهكذا، فكل فرد، له أدوار وأهداف جاء ليؤديها. منها الرئيسي ومنها الفرعي.

فدور الأخ مع أخته يدخل في هذه الأهداف، وكذلك الأخت مع أخيها، والأبناء تجاه والديهم وأقاربهم.

وكلما اتسعت أدوارك ومسؤولياتك، كلما زادت اختباراتك.. فوَفْرَة المال تضعك أمام اختبار الإنفاق.

وتَقلُّد منصب إداري أو قيادي تضعك أمام اختبار إقامة العَدل وعدم التكبُّر واستغلال السُلطة.

وبِشكلٍ عام، يأتيك العون والمدد الإلهي على قدر المسؤوليات التي تنوي وتبدأ تَحَمُّلِها.

والعكس صحيح.. فالأنانية تُورث الفقر ومزيد من الهمْ.

ولا يخفى علينا نصيحة النبي الحبيب عليه الصلاة والسلام.. "خير الناس أنفعهم للناس"

حسناً..

لنعود.

-كيف يتجلى ويتحقق هذا النُضج؟

=هذا النضج يحدُث إما بطريق المعاناة والفقد، أو بطريق الرخاء وبسط العيش.
أو بتجليهما سوياً في نفس الوقت، كأن يُصيبك فقد في أحد أفراد أسرتك، وتُمنح هِبات أخرى في نفس الوقت.

النضج يتحقق من رحم المعاناة عن طريق الصبر على البلاء والإجتهاد في دفع الضرر والألم.
أو من جهاد النفس وتهذيبها إن كانت التجارب فيها رخاء فالمعيشة و وَفْرَة في الموارد والإمكانات.

فلو افترضنا وفق المثال الأول "النضج من خلال المعاناة".. حالة وقوع ظُلم على أحدٍ ما،
فهو الآن في ابتلاء. ويجب عليه التحرك فالإتجاه الذي يدفع هذا الظلم، وإلا فإنهُ يكون فريسة لهذا الظالم.
وهكذا، فنحن أيضاً نُساهِم في توجيه المسارات القدرية بشكلٍ ما، وذلك بطريقة تفاعلنا مع التجارب والإبتلاءات التي نتعرض لها.

حسناً.. يبدو أنّ الأمر أصبح أكثر وضوحاً..

لنُعطي بعض الأمثلة لتثبيت الفكرة.

أياً كانت نوعية التجارب التي أنت فيها الآن، سواء كنت غنياً أم فقيراً. مُعافاً أو مُعتلاً. حُراً أو سجيناً..
فأنت في امتحان.. أنت دوماً بين أن تشكر أو أن تصبر.

-لديك مال كثير؟

=نعم

-أنت مُبتلىً به.

واجب الشكر هو الإنفاق من هذا المال في أوجه الخير.. فمهما صليت وصمت وقمت.. فأنت لازلت لم تجتز أهم امتحان وُضِعَ أمامك، وهو تأدية حق شُكر تلك النعمة "المال".

-أنت معافاً في بدنك؟

=نعم

-واجبك شكر تلك النعمة باستخدام هذا البدن في ماينفعك وينفع من حولك.

وتُديم شُكر الله أنه لم يبتليك بِعِلّةٍ في بدنك.

-أنت فالسجن؟

=نعم

-اصبر ولك أجر كبير ومغفرة، وخير كثير ينتظرك من عند الله العزيز الكريم.

-أنت مُحاصر في غزة؟

=نعم

-أنت تقوم بدور عظيم لإعادة إحياء الشعوب. أنت رمز الشجاعة والصبر والإحتساب.

أنت مُبتلى بالوقوف أمام المُحتل والدفاع عن وطنك، ونحن مبتلون بنصرتك ومساندتك، ودفع العدوان معك.

كُلٌ حسب موقعه وسلطته.

فإن تخاذلنا عن نصرتك، فقد فشِلنا في اختبارنا "المجموعي"، وهو نصرتك ودفع العدوان عنك.

وستلحقنا عقوبة من السماء وخزي فالدنيا. ويوم القيامة سنُحاسب على هذا الخذلان، ويُستثنى الذين قاموا بدورهم على المستوى الفردي من حساب يوم القيامة المجموعي. بينما فالدنيا، تُصيب عقوبة التخاذل أو الخيانة الجميع.

حسناً لنعود..

كما قُلنا أنه في كل مرحلة من مراحل أعمارنا، نكون على أحد الحاليّن..

إما حال الشكر، أو حال الصبر، أو تجليهما معاً في نفس الوقت.

هذا وقد وعد الله عباده الشاكرين بالزيادة،

وتوعّد جاحدي النعمة بحرمانهم إياها.

فانتبه.. لاتُهمل شكر النعمة فتُخاطر بها.

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (7) – إبراهيم

فالتاجر الذي يجعل في ماله حق معلوم، يُخرجهُ للمحتاجين بشكل دوري..

سيزيده الله من فضله ويُضاعف له ماله.

بالطبع هُنا نتحدث عن حق لابأس به من أرباحه، ولا نتكلم هُنا عن زكاة المال التي يحول عليها الحول، فهذه مفروضةٌ عليه على أي حال ولاتُقارن بماهو مُنتَظر منه.

ولا ننسى رد نبينا الحبيب عليه الصلاة والسلام عندما سألوه ماذا نُنفق؟

فجاء الرد من السماء: قُل العفو.

أيْ مازاد عن الحاجة، فالباب مفتوح أمامك في مسألة النفقة. كُلٌ حسب سَعَته، وفي نفس الوقت، يُنبِهك القرءان ألا تُنفق أغلب ماتملكه، فتشعُر باللوم والحسرة بعدها بسبب سقوط هامش الأمان عندك.

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا – الإسراء

لدي سؤال..

-بناء على ماتقوله.. يبدو لنا أن لكل إنسان تجربته الخاصة. ألا يتعارض هذا مع فلسفة المساواة في عملية توزيع الأرزاق بين العباد؟

=نعم هذا سليم.. فالأمر يبدو أكثر تعقيداً من مُجرّد فِكرة تساوي توزيع الأرزاق بين الناس..

الله تعالى أخبر فالقرءان أنه قسم المعايش بين الناس، بينما لم يُفصّل الأمر بأنه تقسيم متساوي للجميع.

على العكس، هو يؤكد لك اختلاف درجات الناس وتفاوتها ليكون من بعض أهدافها ابتلاء الناس بعضهم ببعض.

واستثمار بعضهم بعضاً.

ثم فالنهاية يخبرنا أنّ رحمت ربنا، "كما جاء في بعض التفاسير أنها الجنة"، هي خيرٌ لك من أي متاع مادي تراه في هذه الدنيا كالذي يتكالب عليه الناس، أو الذي يقومون بجمعه وكنزه.

نحنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (32) - الزخرف

فكأن الآية تقوم بتعزية من فاته بعض متاع الدنيا وزينتها، وتبشره بأن عطاء ربه له سيكون أفضل بكثير من هذا المتاع والزينة التي يراها في يد غيره.

يقال أن معادلة الرزق لها عدة مُدخلات. المال، والصحة، والزوجة، والأبناء..

وأنّ هذه المتغيرات تتباين عند الناس بشكل يسمح بتحقيق المساواة في توزيع الأرزاق في نهاية الأمر.

بينما لايبدو الأمر كذلك إذا مانزلنا للواقع.

فالأمر متعلق أكثر بطبيعة ابتلاء كل شخص، ثم بكيفية تعاطيه مع هذه الإبتلاءات.

وهكذا تتنوع شبكات الأقدار التي يتم فتحها أمامه، فيختار منها مايريد، ثم في كل سبيل يسلكه، تتنوع أمامه أقدار فرعية جديدة، وهكذا..

وبينما هو يكدح في مساراته، تتجلى عناية الله له، فيرحمه بتيسير أقدار الخير له، سواء كان خير فالدنيا أو فالآخرة.

فالله بيده الخير دوماً.

-هل يمكنني المُساهمة في أن تتجلى أقدار الخير أمامي بشكل أكبر؟

=نعم يمكنك ذلك..

عند قيامك بتقديم العون للآخرين، والسعي في حوائجهم، سينزل عليك العون والمدد فالمقابل من أهل السماء والأرض. فجزاء الإحسان هو الإحسان كما أخبرنا القرءان الكريم.

ستتكلم فالباب الثاني بمزيد من التفصيل عن بعض أسرار شبكات القدر هذه في حديثنا عن موسى عليه السلام مع العبد الصالح.

حسناً..

-هلَّا أعطيتني الخُلاصة؟

=نعم..

تعوَّد على أن تغتنم الأوقات وأن تجتهد وفق الإمكانات المُتاحة.

إمكاناتك الحالية وَضَعَك الله فيها لِحكمة يعلمها. أنت باجتهادك هذا، تُحاول صُنع أقدار أفضل، وأوضاع أيسر، ومعيشةٍ أكثر رُقياً.

ماذا إن لم يُكلَّل سعيك بشيء من ذلك؟

لا بأس! أنت قُمت بما يجب عليك القيام به، فأنت مطلوبٌ منك السعي، ولستَ مُحاسب على النتائج.

ولعل هذا ما كرره القرءان في جميع المواضع التي يُخاطب فيها الرُسُل،

فيُخبِرهُم أنهم عليهم التحرُّك والعمل والدعوة، والأخذ بالأسباب المُتاحة.

وفي نفس الوقت يُذكِّرهُم بألَّا علاقة لهم بالنتائج، وهي إيمان أقوامهم أو كُفرِهِم بالرِّسالات.

-عفواً.. لم تُجِب على سؤالي..

عندما أجتهد وأجد الأبواب لازالت مُغلقة أمامي.. كيف أُفسِّر هذا الوضع؟

=ستبدأ أولاً بالتأكُّد من أنَّ مُعاناتك ليست عقاب من السماء بظُلمٍ أو ذنبٍ اقترفته.

إن غلب عليك الظن أنه ليس عِقاب..

يُمكنك أن تستنتج أنَّ الله يُريد أن يُخبرك أنّ ما أنت عليه الآن هو الأفضل لك.

وعندما يرى الله أنك جاهز للمرحلة الجديدة، سيفتح لك باباً لها..

وهذا هو سرّ قوة المؤمن بربه، أنه يرى أقداره كُلها خير لطالما أنه يبذل جهده، ولايظلم نفسه، أو الآخرين.

فلا يجزع إذا سائت الأحوال، ولا يفرح إذا فُتِحت الدُنيا. "نقصد بالفرح هُنا، الغرور".

وللأسف وجدنا بعض المُسلمين يتبنى الجانب السلبي من هذا المفهوم..

فتجده يركن ويتكاسل، ثُم يتحجَّج ويقول: كُلّ الأقدار خير..

وتجد على لسانه عبارة "لعله خير"!

أين الخير وأنت لا تأخُذ بالأسباب ولا تبذُل جهدك وطاقتك يا رجُل؟

وهذا فالحقيقة يُخادِع نفسه، ويُبَرِّر نقص هِمتِه وبِذْلِهِ.

وفي المُقابل، نرى العقلية الغربية، يغلب عليها الإيمان بالأسباب فقط،

فعندما لا تأتي النتائج كما يُخططون لها، يُصيبهم الجَزَع والغضب والإحباط!.. ومنهم من يلعن ويسُب نفسه إذا لم تنجح خُطته في عملٍ ما. وقد رأينا ذلك كثيراً. ومنهم من ينتحر إذا ما تكالبت عليه الهُموم والديون.

هؤلاء يضعون أنفسهم تحت ضُغوطٍ صَعبة بتبنيهم مبدأ الأخذ بالأسباب وفقط.

فلم يُخلَق الإنسان ولا كوكب الأرض حتى، بالشكل الذي يجعل الأسباب وحدها تكفي لتحقيق الأهداف.

-حسناً..

هذا يكفي!

لقد تشوَّش ذهني بما تقول

سآخذ قسطاً من الراحة..

=هذه فكرة جيدة!

خُذ قسطاً من الراحة ثُم عُد إلينا..

-شكراً.. ها قد عُدْت.

هيا حدثني عما يحدُث بعد الموْت..

=بالطبع،

تعال نصحبك في رحلة مابعد الموت..

الكُل راجِعٌ إليه

عرفنا كيف جئنا إلى الأرض، ولماذا جئنا، وماهو المطلوب منا.

ولعل بقية الأبواب في هذا الكتاب تعطيك تدعيماً أكبر في هذه النقاط وتعينك على إنهاء رحلتك بسلام.

والآن بقي أن نعرف مصيرنا بعد الموت، وكيف تتم المحاسبة، ولماذا يوجد مُحاسبة أصلاً!

-حسناً.. ماذا ينتظرنا بعد الموت؟

=يأتيك الملائكة الموكلين بقبض روحك، فيقبضونها لتنتهي بذلك مدة اختبارك على الأرض.

-ثم أين نذهب؟

=حسناً.. هذا يتوقف على أعمالك و إنجازاتك على الأرض

يتم عرض حياتك أمام عينيك بِمَشاهِد سينمائية، وتقوم أنت بالحكم على نفسك. فكل شيء مُنكشف هُناك ولا مجال للإحتيال أو الهرب.

ويجدر الإشارة إلى أن هُناك أُمور لايتم التغاضي عنها مهما كنت صالحاً أو تتمتع برصيد عالي من الأعمال الإيجابية.

وهي الحقوق المالية أو الديون التي عليك. هذه الحقوق إما أن تكون مادية أو معنوية.. في كلا الحالتين لن تنعم قبل سداد تلك الحقوق.

سيتم حبسك أو تعذيبك هناك إلى أن يشاء الله أو أن يُقضى دينك، أو يُعفى عنك.

فمنهم من يقضي سنوات عديدة في بيداء يلقى فيها ألوان العذاب، ومنهم من يمكث سنوات في أماكن باردة كالصقيع يقطعها حافياً ثم يُلقى في بحيرات ليغرق ويختنق، ثم ترد إليه روحه ليكرر ذات المشهد من جديد.

ومنهم من يعذب بالنيران.

والكثير الكثير مما لانعلمه من ألوان وأشكال العذابات المتنوعة، كُلٌ حَسْبَ طبيعة الأعمال السيئة التي كان يعملها فالدنيا.

فاحرص على عدم إلحاق الظلم بالآخرين قدر الإمكان،

ولأن تَعْبُر البرزخ مظلوماً خيرٌ لك من أن تَعْبُرهُ ظالماً.

-لكن لماذا كل هذه العذابات؟

=إنه باختصار ميزان دقيق.

فهذه العذابات هي انعكاس لبعض الأعمال التي كنا نقوم بها على الأرض.

-عفواً.. ماذا تقصد؟

=مانقصده أن مانراه في عالم البرزخ هو نتائج لبعض ما كُنّا نُمارِسهُ على الأرض.

لنُعطي مثال تقريبي:

الأعمال السيئة تتجسد على هيئة وحوش مخيفين وقبيحين، تتباين وحشيتهم بمدى سوء الأعمال التي مارسناها على الأرض.

فتجتمع عليه هذه الوحوش وتقوم بتعذيبه كنتيجة طبيعية لنوعية أعماله. وتختلف أشكال العذابات تبعاً لنوعية الأعمال السيئة.

وفالمُقابل، يأتي جزاء الأعمال الصالحة قصور جميلة وجنات خضراء ونعيم وأنهار من عسل وماء عذب وغيرها من المتع التي تقر بها الأعين.

حسناً. لحظة..

-كيف استنتجت أنّ العذاب يأتي انعكاساً لنوعية الأعمال السيئة؟

=وجدنا آيات تدُل على ذلك، وتشير بوضوح إلى تجسيد الأعمال فالبرزخ ويوم القيامة.
الآية التالية تخبرك بحال من يأكل مال اليتيم فالدنيا، بأنه سيعاقب بأن يتجسد ذلك العمل الذي قام به، فيتحول ذلك المال إلى قطع من النار يأكلها..

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا – النساء

لاحظ أنه هو من صَنَعَ بنفسه هذا العذاب، ففي الحقيقة، ماذلك العذاب إلا تجسيداً لما كان يفعله بإرادته الحرة فالدنيا، وهذا ما تؤكده أيضاً هذه الآيات:

وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (90) – النمل

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (7) – التحريم

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَـٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا – الزمر

ثُم يؤكد لك الله تعالى أنه لم يظلم أحد بتلك المصائر الأليمة، بل هم الذين ظلموا أنفسهم بأنفسهم، وماهذه المصائر إلا تجسيداً لأفعالهم السيئة وظلمهم.

إِنَّ اللَّـهَ لا يَظلِمُ النّاسَ شَيئًا وَلـكِنَّ النّاسَ أَنفُسَهُم يَظلِمون – يونس

نسأل الله السلامة..

-حسناً..

كيف يتم الدخول لعالم البرزخ هذا؟

=يمكنك تصور البرزخ وكأنه خط حدودي يفصل بين عَالَمَيْن.

من يجتز هذا الخط، لن يكون باستطاعته العودة مرة أخرى إلى الأرض.

وهذا مايفسر رجوع بعض الأموات إلى عالمنا بعد أن يكونوا قد ماتوا. لكنهم فالحقيقة لم يموتوا بشكلٍ كامل.

بل تعرّضوا لِعَملية موتٍ مؤقت أو اقتراب من الموت. فخرجوا من حُدودِ عالم الأرض، واقتربوا مِن البرزخ،

لكنهم لم يجتازوه.

لأنهم إن اجتازوه، لن يعودوا لأجسادهم.

قبل هذا الخط الحدودي "خط البرزخ" يُمكن أن تتِم كُل أشكال الشّفاعَة التي يُمكن أن تسمح بعودة هذه الروح إلى الجسد قبل تجاوز هذا الخط "البرزخ".

وإن لم تتم الشفاعة، أو تَقَرّر قبض تلك الروح بشكل نهائي، أو تم تخييرها بين الإكمال وعبور البرزخ، وبين الرجوع فاختارت العبور..
حينها، تدخُل تِلك الروح إلى البرزخ وتنتقل إلى العالم الجديد وتنتهي حَياتها على الأرض ويتم إعلان وفاتها ومن ثم دفنها.

-حسناً.. حدثني عن شفاعة ماقبل عبور البرزخ؟

=هذه الشفاعة التي تعيد الروح من جديد إلى الأرض لتستكمل رسالتها.
أحياناً تكون من عند الله، أو من أرواح أعلى رتبة، أو من الأنبياء، أو بسبب تضرع ودعاء الأهل على الأرض لهذا الشخص الذي يمر بحالة الموت المؤقت، أو بوجود رسالة لازالت على تلك الروح إكمالها على الأرض قبل أن تأتي إلى البرزخ بشكل نهائي، أو ببساطة، ألّا يكون قد حان موعد وفاتها بعد فاللوح المحفوظ، فتنجح عملية إنعاشها.

هذه بعض الأسباب التي تُعيد الروح إلى الجسد من جديد بعد أن كانت قد غادَرَتهُ.

وفي نفس الوقت، يخبرنا القرءان عن أرواح تتوسل إلى الله أن يُعيدها أو يمنحها فرصة أخرى، فلا يُسمح لها، وهذا لأسباب ومعادلات مُعقدة يعلمها الله تعالى. فيتقرر عدم إرجاع هذه الروح.

فانتبه.. ليس كل من يحضُره الموت، تُقبل الشّفاعة في مَنْحِهِ فُرصة أخرى.

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100) – المؤمنون

لاحظ دقة وصف خط البرزخ فالآية "مِن ورائهم"، وهو يُطابق ما وضحناه منذ قليل في تعريفنا للبرزخ..

تُوضِّح الآية أنه تم رفض طلب هذه الروح، فنتج عن ذلك عبورها البرزخ، ليُصبح البرزخ من ورائها. أيّ أنها قد تجاوزته وانتهى الأمر.

-حسناً.. هل هذا يعني أن حياة البرزخ هذه ليست مجرد حياة داخل القبر؟

=القبر هو عنوانك على الأرض، أمّا فيما يخُصّ الأرواح،

فهيَ إما أن تُفَتَّح لها أبواب السماء وتدخل جنات النعيم. أو تُغلق أبواب السماء أمامها فتهبط لأسفل، حيث العوالم السفلية.

-ماهذه العوالم السُفلية؟

=إنها عذاب القبر الذي سمعنا الكثير عنه.

يتنوع ويتباين هذا العذاب تبعاً لنوعية الأعمال السيئة التي كانت تُرتَكَب فالدنيا.

-هذا ممتاز..

لدي سؤال بخصوص الأرواح التي دخلت الجنات..

ماذا تفعل الأرواح الطيبة في هذا البرزخ بجانب دخولها تلك الجنات المؤقتة؟

=هذا سليم، هي جنات مؤقتة يمكثون فيها حتى قيام الساعة. وتتفاوت مراتبهم أو درجاتهم وفق أعمالهم. فالشُهداء لهم جنات، والصدِّيقين لهم جنات، والعُلماء لهم جنات، وحفظة القرءان لهم جنات.. وهكذا.

ويبدو أنهم أيضاً لهم شغل أوعمل يقومون به،

ويستمرون في تلقي العلوم والمعارف، ويقومون ببعض المهام.

لكن لايزال عالم البرزخ مليء بالأمور الغامضة التي لن يعلمها أحد باستثناء من دَخَلَهُ بالفعل. ومن يدخل، لا يعود!، بالتالي لايوجد أحد يعلم بالضبط مايحدُث فالبرزخ.

-ماذا عن الأجساد التي ندفنها فالقبور؟

نرى بأعيننا قبور وكأنها تشتعل على من بداخلها، وقبور بها ثعابين أو حيات..

وعلى الجانب الآخر..

نرى جثامين الشهداء بروائح عَطِرَة، لا تأكُلها الأرض، وتَبْقَى بهيئتها مهما تقدَّم الزمان.

=نعم، هذا سليم.. كل هذه مظاهر لإثبات حقيقة أهوال ونعيم القبور ومصائر العباد بعد موتهم.

فيتَّعِظ الحاضرون ويتنبهوا ويعيدوا حساباتهم، ويردوا المظالم لأهلها عندما يروّ مشاهد مؤلمة للميت كأن يسودّ وجهه عند الغُسْل والتكفين مثلاً.

وعلى الجانب الآخر، يستبشروا ويطمئنوا ويزداد إقبالهم على الإحسان وفعل الخيرات، عندما يروّ مَظاهر السعادة وإشراقة الوجه وبشاشته أثناء تجهيز وتكفين ميِّتِهم.

حسناً..

هيا نأخذ فاصل لنُناقش فلسفة الحيوات المُتعددة..

حيوات متعددة

-رأينا من يتحدث عن الحيوات المتعددة، وأننا كُنّا هُنا مِنْ قَبل، وإمكانية عَودَة بعض الأرواح مَرّة أخرى..
فما الأمر؟

=فالحقيقة هذا كله أمر غيبي، لا أحد يمتلك حقيقته.
شاهدنا بعض الأدلّة والمُقابلات التلفزيونية مع تلك الحالات، لكنها بلا دليل. فوجود طفل يحكي أنه كان هُنا من قبل وقام بكذا وكذا، ليس دليلاً يُثبت أنه عاش بالفعل من قبل!. بينما الأكثر واقعية أنه مُجرّد إيحاء مِن الجِن لهذا الطفل.

وهذا سهل على ما يُسمَّوْن "بالوسطاء الروحيين" الذين جعلوه باباً لكسب الأموال من خلال استغلال فضول البعض بإقناعهم بأنهم سيُطلِعونهم على حيواتهم السابقة.

شاهدنا فلسفة الحيوات المُتعددة هذه وقد انتشرت مؤخراً في كل مكان..
وتم استخدام هذا المفهوم بشكلٍ سلبيٍّ مِن قِبَل مُدرِّبو الطاقة المُخادِعين،
فقاموا بتعليق بعض الأحداث المؤسفة في حياة الناس على حيواتٍ سابقةٍ لهُم.
وكأنهم أتوّ إلى هُنا لتصفية مااقترفوه في حياتهم السابقة.

بالتالي لانصل لنتيجة واقعية تُحتِّم عَلينا التعامُل مَعَ الأزمات الحالية ومُحاولة تجاوُزِها.
بل نكتفي بتعليقها على حياةٍ سابقةٍ لنترُك الشخص يعيش في حيرة ودوامة فكرية لاطائل منها.

وفي نفس الوقت، تدعو هذه النظرية الخرقاء لنزع التعاطف مع من أصابهُ ضرر أو ابتلاء.

حسناً..

-دعنا لا نقاوِم هذه الفكرة.. هيا نختبرها ونُحلِّلها لِنَرى إن كُنّا بحاجة لها أم لا، بِغَضّ النظر عن عدم اقتناعنا بها.

=لا بأس.. لِنُحلِّل يا دويري.

لنفترض وجود حيوات سابقة.

-هل تعنيني هذه الحيوات في شيء الآن؟

=لا أظن..

فأنا يعنيني فقط حياتي التي أعيشها الآن. لأنها ما سأُحاسَب عليه.

لكن لنفترض أن بعض الناس قد عاشوا حيوات سابقة.

لنقوم بتوجيه بعض الأسئلة إلى مدرب الطاقة التنويري.. الذي عادةً يهرُب من الأسئلة الكاشِفة.

مالذي جعلهم يعيشوا أكثر من حياة على نفس الكوكب؟..

لِنُحاول تحليل الأسباب المُحتَمَلة:

ربما كانت أرواحهم أكثر سطحية فاحتاجت تلك الأرواح المرور بعدة تجارب موزعة على أكثر من حياة.

ربما كانوا في عوالم أخرى أقل رُتبةً مِن عالمِنا حيثُ مُعدلات نُضج التجارب عليها أكثر سطحية، فكان وجودهم على الأرض نوع من الرُقي.

أو أنهم عاشوا في عالمنا من قبل، وكانت تجاربهم غير مكتملة، أو أنهم لم يُنجزوا رسالاتهم المُتفق عليها قبل نزولهم. وفي نفس الوقت لم يَظلِموا أحد، أو يقترفوا سيئات تتسبب في دخولهم للعوالم السفلية "البرزخ الخاص بهم" حيث العذابات المتجسدة جراء أفعالهم.

فطلبوا التجسُّد، وتمت الموافقة على منحهم فرصة أخرى..

هذا رائع أيُها المُدرِّب التنويري!

بناءً على هذا التحليل، يُمكننا استنتاج مايلي وفق منطِقهم:

أولاً: أنه ليس كل من يطلب التجسُّد على الأرض من جديد، سيحصُل عليه.

فانتبه..

لا تخاطر بحياتك الحالية أو تضيع وقتك فأنت لاتضمن المجيء من جديد لإصلاح ما أفسدتهُ.

ربما يكون مصير أحدهم إلى الجحيم!، أو إلى عوالم سفلية وأعماق ظلامية سحيقة يسودها الضياع.

فمن الذي يضمن له التجسُّد من جديد؟

وللمصادفة، وجدنا فالقرءان ما يصف هذا الموقف ويقطع عليهم ظنُّهم بحتمية التجسُّد لكل من فَشِلَ فالدنيا.

اقرأ مايلي كيف تتمنى هذه النفس أن لو يتم منحها حياة جديدة لتُصلِح ما أفسدته. فلاتحصُل على تلك الفرصة.

فالله تعالى يعلم أن هذه النفس ليست جادّة ولا تستحق فرصة أخرى.

أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (58) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (59) - الزمر

ثانياً: هل أنت فعلاً تود المجيء هُنا مرةً أخرى؟..

لا أراه أمراً سهلاً. فمجيئك من جديد يبدو أشبه بمن رسب في عام دراسي، ويقوم بإعادته من جديد!.

قارن ذلك بمن نجح في امتحانه وانتقل لمرحلة أعلى.. فهو ليس بحاجة للمجيء من جديد.

الفُرصة أمامك الآن..

قم باجتياز اختباراتك التي وُضِعَت أمامك، وافهم مايُرادُ مِنك، لتنتقل بعدها إلى منزلك الأصلي، جنّات ونعيم ترتاح فيها من عناء رحتلك على الأرض، فأنت على موعد مع السعادة الأبدية ولقاء الأهل والأحباب في عوالم يسودها الحُب والمودة.

أخيراً.. لنفترض أننا كُنا هُنا من قبل.. وأننا الآن نقوم بإصلاح بعض الأمور التي اقترفناها في حيواتنا السابقة.

فأمامك سؤال مُهم:

هل تستطيع الجزم بأنّ كل الناس الذين تراهم هُنا في حالات ابتلاءات قاسية، أنهم يُعانون لتصفية حساباتٍ سابقة؟

بالطبع لا!..

ماذا إن كانت هذه الحياة هي أول حياة يحيونها؟، ثُم أصابهم البلاء فيها!.

ربما يكون ابتلائهم القاسي هذا، اصطفاءً لهم

وما أنت إلا مُغفَّل لم تُدرِك ذلك، وظننتَ أنهم يدفعون فاتورة حياة سابقة. بالتالي لم تتعاطف معهم،

ولم تُدرك أنك أنت الذي فَشِلت في اختبارك.

لأنَّ دورك كان يتمثَّل في تقديم العون لهم، لا أن تحكُم عليهم.

لكن دعْنا نفترض معك أن بعض هؤلاء جاء بالفِعل لتصفية حسابٍ سابق..

فأمامنا نقطة مهمه:

أنه من أساسيات عملية التجسُّد الجديد هذه، أن يتم محو الذاكرة قبل أن نهبط للأرض، فلا نتذكر تلك الحيوات السابقة. وإلا فلن يكون للتجسُّد الجديد هذا معنىً.

إذ لابد أن تكون التحديات في حالة التجسُّد الجديد وكأنها تحدث للمرة الأولى، وذلك لنُجاهِد أنفُسنا ونستخدم إرادتنا الحرة ونُقرّر اجتياز هذه التحديات بنجاح.

لكن حتى مع هذا الإفتراض، سيظل من واجبك دعمهم في محنتهم قدر استطاعتك بغض النظر عن أسباب ابتلائهم.

لأنك لاتدري، إذا ما كانَ ماتمُر به أنت الآن، أو ما يمُر به الآخرين من حولك من صعوبات..

هل هيَ ابتلاء من الله، أم تصفية حساب من حياة سابقة؟

بالتالي هذه النظرية ليست واقعية، لأنها فشلت في إجابة بعض الأسئلة الأساسية!

الأجدر أن نتعامل مع تحدياتنا، بدلاً من أن ندخُل في دوامة من الماورائيات التي تضيع الوقت والموارد النفسية والمادية.

ولابأس.. عندما تنتهي تجربتك الحالية وتعود إلى البرزخ مُنتصراً، يُمكنك البحث إن شئت وأنتَ هُناك عن جذور حيواتك السابقة كيفما تُريد بكُل أريحية.

بينما وأنت هُنا، انشغل أكثر بالنجاح في اختباراتك، ولا تعطي الفرصة لإبليس وأعوانه بتشتيتك أو صرفك عن أهدافك.

هذا جيد!..

-قُلنا أننا سنضرب مثال لِخداع إبليس لَنا ومُحاولته خَلْط بَعض الحقائق بالأكاذيب في فقرةٍ سابقة.

=نعم.. ماهو هذا المِثال؟

-المِثال مُتعلِّق بمبدأ الحيوات المتعددة.

ولا ندري كيف انطلت حيلة إبليس الساذجة هذه على هؤلاء المدربين المُتنوّرين!.

لَفَتَ انتباهنا أحد هؤلاء وهو يضرب مثال لجُندي يرمي بقُنبلة فتسقط على رجُل وزوجته وابنتهم. فيموت الأب، ويتشوه وجه الأم، وتفقد الإبنه أحد أطرافها.

ثُم يحكي لنا عقوبة هذا الجُندي بأنّ روحه ستتجسّد ثلاث مرات، "ثلاث حيوات".

يأتي فالأولى في جسد رجُل، ثُم يُقتل بشكلٍ مُشابه.

ثم يأتي حياة ثانية في جسد امرأة وتُبتلى بإصابة ويتشوه وجهها. وعندما توت هذه السيّدة. تأتي تلك الروح مرةً ثالثة للحياة، في جسد طفلة، وتُبتر ساقها، ليذوق من نفس الكأس الذي أذاقهم منه في حياته عندما كانَ جُندياً.

-حسناً.. هذا رائع!

يبدو الجزاء عادلاً.. أليس كذلك؟

=لا..

هُناكَ خللٌ كبير!

رُبما يبدو عادلاً في حالة إن كانَ جزاءً دنيوياً كالذي نراه فالمحاكِم.

وهذا غير مُمكن في هذه الحالة.

أما عندما نتحدث عن عقاب السماء له بعد موته وانتهاء حياته على الأرض.

فهذا أمر مُختلف تماماً.

المحكمة عندهم مُختلفة والقوانين أيضاً مُختلفة..

المُهم..

لنعود إلى رواية صاحبنا..

هذه الرواية تنقُصُها كلمة واحدة، أخفاها إبليس من المُعادلة، فأفسدت كُل شيء.

هذه الكلمة هي "البرزخ".

فالبرزخ كما نعلم هو أقرب محطة لدفع ثمن ما اقترفهُ هذا الجُنديّ فالدنيا.

وهذا مالا يُريده إبليس أن يصل للناس. فهو يريد إضلالهم.

يُمنِّيهم بأنه لايوجد عذاب في القبر، وأنَّ الأمر فقط عبارة عن حيوات أُخرى لتصفية الحساب،

بينما سيكون إبليس بانتظارهم في قبورهم عندما يُقضى الأمر، فيسخرمنهم وهُم يُعذَّبون فيها.

-حسناً..

مالأمر إذاً بخصوص حساب هذا الجُندي، صاحب القُنبلة والثلاث حيوات؟

=الأمر باختصار، أنَّ هذا الجُندي ربما يتم تعذيبه ويتألّم بآلام الأب، والأم، والطفلة.

لابأس..

لكنه سيتجرَّع كل هذه العذابات فالبرزخ.

لأنّ حياته على الأرض انتهت، وانتهت فرصته.

كما أنه لن يُعذَّب مرة واحدة عن كل روح من تلك الأرواح الثلاثة كما زَعَم هذا المُدرِّب المُتنوِّر.

ربما تكون آلالف المرات، لكل روح منهم.

فعذاب الدنيا لايُقارَن بعذاب البرزخ، وعذاب البرزخ أخف من عذاب جهنم.

بالتالي الأفضل في مسألة حقوق العِباد، أن يتم القصاص منها أو سدادها إن كانت مادية فالدنيا،

قبل أن نذهب إلى البرزخ فيكون الثمن باهظاً.

لأنه سيكون بمقاييس البرزخ.

هُناك أيضاً حقوق لايُمكِنُك استيفائها فالدنيا حتى وإن حاولت..

كتلك المُتعلِّقة بجرائم الحرب على سبيل المثال.

والعجيب أنّ ذات المُدرِّب ضرب مثالاً آخر، أكثر غرابةً من الأول..

فتكلَّم عن صاحب قُنبلة هيروشيما، أنّه يأتي عشرين ألف مرة على سبيل المثال، ليُجرب آلام كل هؤلاء الضحايا.

لا أدري كيف رأى هذا السيناريو معقولاً!.

فلو صحّ منطقه.. فهذا الجُندي بِقَتْلِهِ عِشرين ألفاً بتلك القُنبلة.

سيأتي حيوات جديدة بعدد هؤلاء الضحايا، مضروبة في ثلاثين سنة "متوسط أجل الحياة الواحدة".

وفق حسبة بسيطة.. هذا الجندي وحده سيحتاج أن يتجسَّد بإجمالي ستمئة ألف سنة يا صديقي!

هل أنت جاد فيما تقول؟

فالمُقابل، يبدو السيناريو الأكثر منطقية أنّ هذه الستمئة ألف سنة يمكن تحقيقها، لكن في عوالم أخرى، كعالم البرزخ وبعد حساب يوم القيامة، حيث تختلف معادلات الزمن تماماً عن تلك التي في عالمنا البدائي.

كما أنها لن تكون ستمئة ألف سنة أيضاً..

الله وحده أعلم بهوْل ماسيراه هؤلاء المُجرمون.

-حسناً.. لقد فهمت الآن..

لدي سؤال أخير..

كم تستغرق مدة البرزخ هذه؟

فكما نعلم أنه قد مات أقوام منذ آلاف السنين، ثم نموت نحن الآن..

فهل يعني هذا أنهم مكثوا أكثر مِنّا في هذا العالم؟

=سؤال جيد..

فالحقيقة، لايتم التعامل في عالم البرزخ بالزمن الذي يجري في عالمنا هُنا.

يُمكنك اعتباره لا زمن، أو زمن نسبي بحيث يبدأ لكل روح تدخل هذا العالم،

ويكون وكأنه متساوي فالنهاية لجميع الأرواح.

ويمكن أيضاً أن نعتبر عالم البرزخ رحمةً للعباد.

فالعذاب فيه تخفيف من أحمال الظالمين الذين ظلموا أنفسهم.

والجنات تُمثّل راحةً للصالحين المصلحين من العباد.

وفي نفس الوقت، باستطاعة أهل الأرض إرسال المدد إلى أهل البرزخ بالدعاء لهم، أو بالصدقة.

فيذهب هذا العمل إلى ذويهم ممن قضوّ، فيدفع عنهم العذاب أو يرفع لهم الدرجات.

-رائع..

هذا يكفي فيما يتعلق بعالم البرزخ..

-هيا حدثني عن يوم القيامة.

=حسناً.. لننتقل إلى يوم القيامة.

الوعدُ الحق

يأتي يوم القيامة لتنتهي به هذه الدورة التي نعيشها على الأرض، بدايةً من آدم وانتهاءً بمن ستنتهي بهم هذه الدورة.
ويجدر بالذكر، أننا شديديّ القرب من نهاية الدورة الحالية.
فكلنا يعلم علامات الساعة الصغرى والكبرى، وأنّ جميع العلامات الصغرى تحققت، وبدأنا نمضي بشكلٍ جدي نحو العلامات الكبرى.

يأتي أمر الله بموعد قيام الساعة.

فيتم النفخ فالصور، فتموت كل الخلائق إلا من شاء الله. ثم يُنفخ فيه مرةً أُخرى فيقومون جميعاً إلى أرض المحشر.
ويصف القرءان بعض جوانب عَظَمَة و هَيبة هذا اليوم، كما جاء في سور التكوير، والزلزلة، وغيرهم من السُور..

اخترنا لكم من بينهم آيتين من سورة الحج..

تأمّل كيف تَصِف لك الآيات هول المشهد!

يٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيم (1) يَومَ تَرَونَهَا تَذهَلُ كُلُّ مُرضِعَةٍ عَمَّآ أَرضَعَت وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَملٍ حَملَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيد (2) - الحج

-مالُميِّز في يوم القيامة عن البرزخ؟

=البرزخ يدخُله الناس بشكل تدريجي، فعندما يموت أحد أو مجموعة من الناس.. يدْخُلونَ البرزخ.

يستمر ذلك حتى يأذن الله بانتهاء هذه الدورة البشرية على الأرض.

في المُقابل، يوم القيامة.. يجمع فيه الله كل البشرية في صعيدٍ واحد. من أولهم إلى آخرهم.

في نفس الوقت. وهذا أمرٌ عظيم!.

-حسناً..

مالفرق بين محاسبة الناس في عالم البرزخ ومحاسبتهم في يوم القيامة؟

=كما فهمنا، أنّ البرزخ هو رحمة لكلا الفريقين.

يرون فيه انعكاس لبعض أعمالهم فالدنيا. وفيه تخفيف من أهوال يوم القيامة عليهم.

فتعيش الأرواح الطيبة فالجنات، وتُعذب الأرواح الظالمة بما يتناسب مع أفعالهم،

والله أعلم بالذي يحدُث كذلك.. كأن يكون هُناكَ أعمال ومَهام تُكلّف بها بعض الأرواح.

وجدير بالذكر أن حياتنا فالبرزخ تكون على مستوى الروح.

فالجسد تم دفنه فالأرض وتحلل.

بينما في يوم القيامة، تَخرُج جميع الخلائق على الهيئة التي خلقها الله عليها، بالجسد والروح معاً، في صعيد واحد، ليُحاسبهم الله جلّ جلاله.

وهذا مالم يصدقه البعض فأنكروا البعث، كما جاء في مواضع عديدة من القرءان..

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا – الإسراء

والدليل على أن البعث يوم القيامة يكون بالأجساد، أننا نقرأ في أكثر من موضع مايوضح عملية البعث الكامل للجسد مع الروح.

هذه الآية تُشير بوضوح أن الله سيبعث مَن في القبور، وكما نعلم أنّ القبور هي محل الأجساد التي تم دفنها في تلك القبور.

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ (7) – الحج

بالطبع الحساب يوم القيامة يكون مُختلفاً..

عندما نقرأ القرءان، نُلاحظ مشاهد متنوعة لأشكال الحساب.

فنرى نوع منهم وهو الحساب الفردي.

وهو حساب كل شخص بشكل مُستقل، ونرى نوع آخر وهو الحساب المجموعي.

حسناً..

-نعلم الحساب الفردي.. فما هذا الحساب المجموعي؟

=مثلاً.. يؤتى بأمة كاملة أو شعب كامل ليُحاسب على شأنٍ عام، كأن يكون من المُفترض عليهم نُصْرَةِ قَضيّةٍ ما، أو الأخذ على يَدِ سُلطانٍ جائر، لكنهم لم يفعلوا. فيكونون جميعاً مُخطئين أو مُقصرين، باستثناء من أنكر ذلك من الأفراد وقام بواجبه.

ومثال ذلك من التاريخ، نجده فيمن كذَّبُوا رُسلهم. ومن قتلوا أنبيائهم بغير حق.

ومَن خذلوا إخوانهم في فلسطين وحاصروهم وساندوا عدوهم و وَالوهُ ضِدّ إخوانِهم.

مايلي بعض الآيات التي توضح الحساب المجموعي للأُمم ومواجهتهم بشُهود منهم على مواقفهم فلايستطيعون الإنكار.

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا (41) – النساء

وانظر كيف تصف الآية التي تليها حال من كفروا بالرُسُل حين يُواجَهُون بمواقفهم المُخْزِية أمام الرسول.

يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (42) – النساء

مايلي آية أخرى تصف حساب الأُمم وِفْقَ ماجائهم مِنَ البيّنات والكُتُب السّماوية..

هل تحققوا بالفِعْل بِما ادّعَوّ أنهم قدْ آمنوا بِهِ؟

وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (28) – الجاثية

وهكذا..

فيوم القيامة يومٌ عظيم!

ترى فيه الأنبياء والرُسل، وترى جبريل بنفسه والملائكة،

وجميع الخلائق من أول آدم، إلى ماشاء الله، في مشهد مَهُول!.

نجد فالقرءان وصف بعض مشاهد هذا اليوم والتي يُوجه الله تعالى فيها أسئلة مُباشرة لبعض الرُسُل.

فجاء سؤال الله تعالى لعيسى عليه السلام.. أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ – المائدة

فترى وتسمع البشرية، عيسى عليه السلام وهو يُجيب الله تعالى.

وتأمل كيف كان رده حكيماً، يحمل في طياته طلب المغفرة والرحمة للناس.

قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118) – المائدة

فيجيبه الله تعالى بأنه من كانَ صادقاً مع نفسه ومع الله، فسينفعه صدقه في هذا اليوم..

قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (119) – المائدة

بعد انتهاء الحساب. يذهب الناس إما إلى النار أو إلى الجنة، ويتبقى جزء، وهم الذين تساوت موازين الخير والشر لديهم. يقفون في منطقة بين الجنة والنار، وهي الأعراف. إلى أن يأذن الله تعالى ويرحمهم.

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ٤٦ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧ – الأعراف

ثُم تأتي رحمة الله بهم فيُدخِلهم الجنّة..

أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ٤٩ – الأعراف

الجنة..

يدخل أهل الجنة هذه المرة، جنات فريدة، وهي جنات أعدها الله بنفسه. ففيها مالا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَر على قلب بشر.

وذلك بخلاف جنات عالم البرزخ، التي وإن كانت جميلة، إلا أننا يُمكننا تخيُّل وتقريب نعيمها من بساتين وقصور وأنهار.

بينما جنات الآخرة، شيء مختلف..

-هذا رائع!

دعني أسأل سؤال هُنا..

هل نبقى هكذا فالجنة إلى مالانهاية؟ ماذا إن أردت أن أفعل شيء جديد خارج نطاق التنعم فالجنة؟

=لابأس.. فقد تم طرح هذا السؤال بالفعل من بعض المتشككين، فزعموا أنّ لديهم غايات أبعد من مجرد الفوز بالجنّة.

فنقول لهم لامُشكلة، كل ماتريدونه موجود، فمشاريع السماء مستمرة.

فقط قم بالتركيز على حياتك الحالية، واعمل على النجاح والفلاح هُنا،

ثم عندما تجتاز البرزخ وحساب يوم القيامة بنجاح، وبعد دخولك الجنة.

اطلب أن تشترك في مشاريع الإستخلاف أو غيرها من المشاريع التي ستُتاح لك حينها.

واستمتع بخدمة العوالم والأرواح والغايات التي تطمح إليها كيفما تشاء.

والحقيقة أنَّ بُرهان صدق مَن يبحث عن غاية أبعد من الجنة.. أن تكون غايته هي الله، وأن تتجلى هذه الغاية على أقواله وأفعاله فالدُنيا قبل الآخرة.

فقد رُوُيَ عن إبراهيم بن الأدهم أنه قال لأحدهم:

-أيُعجِبُكَ أن تكونَ من الأولياء؟

=قال نعم

-قال لا ترغب فالدُنيا ولا فالآخرة مِقدار ذرَّة.

وتوجَّه إلى الله تعالى بالكُلِّية، وأفرِغ قلبَكَ مما سوى الله تعالى، وكُل من الحلال..

لكننا نجد بعض هؤلاء لايقوى على مجاهدة نفسه أو لايستطيع الزهد في زينة الدنيا،

لكنه فالمُقابل، يُقلل من شأن أمنيات من يُجاهدون أنفسهم من أجل الفوز بالجنّات ونعيمها المُقيم.

واصفاً لطموحاتهم بأنها متدنية!.

حسناً..

هذا فيما يخص دخول الجنة..

على الجانب الآخر، يذهب الأشرار والمُفسدون إلى نار جهنم، فهي حسبهم جزاءً لما كانوا يعملون.

-لكن لماذا لا يُغفر لهم ويدخلوا الجنة؟

=لأنهم ليسوا أنقياء بالحد الذي يَسْمَح بِدُخولِهم الجنة.

هل تتصور مثلاً تواجد شخص كـ هتلر أو ستالين أو غيرهم من مُجرمي الحرب الجُدد فالجنّة بعد كل هذا الإفساد الذي تسببوا به؟

سَتَفْسَد الجنْة حينها ولن تكون جنّة!.

بالتالي، وجود النار في حد ذاته هو رحمة للناس. ففيه شفاء لصدور من تعرضوا للظلم أو الذين لاقوا العذاب وأشكال المرار على يد المجرمين والمُفسدين. ثُمّ لم يروا العدالة فالدنيا ولا القصاص ممن ظلمهم.

فيأتي يوم القيامة ليأخذ كل ذي حقٍ حقه.

-حسناً..

لدي سؤال أخير.

=تَفضَّل

-أليسَ يُعذَّب الناس فالقبر على أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها فالدنيا؟

=نعم..

-فلماذا يُحاسبون من جديد يوم القيامة ويذهبون إلى جهنم؟

=هذا سؤال جيِّد!

الله أعلم بهذه الحِكمة.

لكن إن حاولنا التفكير بالأمر، يُمكننا تصوُّره على هيئة دوائر بعضها فوق بعض. الأرض، ثم البرزخ، ثم يوم القيامة.

هُناكَ أعمال نُحاسب عليها فالدنيا، وهُناك أعمال نُحاسب عليها فالبرزخ، وهُناك أعمال نُحاسب عليها يوم القيامة. وهُناك أعمال رُبما نُحاسَب عليها فالدنيا والبرزخ والآخرة.

مايلي مواضع تؤكد على مبدأ مُعاقبة الناس على بعض أخطائهم فالدنيا:

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (165) – آل عمران

وهذه تؤكد عذا ب البرزخ:

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (50) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (51) – الأنفال

وهذه لعذاب يوم القيامة..
وهي تصف مصير أتباع إبليس.

لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ – الأعراف

وهذا حُكمٌ عادلٌ في حقهم. لأن إبليس ليس له سُلطة على ابن آدم. بالتالي من يَتْبَعْهُ فهو يَتبَعْهُ بِكامِلِ إرادته.

حسناً.. لنعود إلى إبليس ونختم به هذا الباب..

إبليس مُجَدَّداً

عندما يدخل أهل النار إلى النار ويتم تسكين الجميع في أماكنهم، يظهر لأول مرة إبليس وهو مَعهُم فالنار.

كما نعلم أنّ إبليس طَلَبَ تأخير حسابه إلى يوم بعث ابن آدم. فأعطاه الله طلبه.

ولأول مرة يخطُب إبليس في أهل النار خُطبته الشهيرة:

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22) – إبراهيم

يقول لهم إبليس "ما كان لي عليكم من سُلطان"

وهذا يدُل على صِدْق القرءان وصِدْق كلام الله تعالى حين أخبرَنا أنّ إبليس ليسَ لهُ سُلطان علينا،

إلا من اختار أن يتَّبِعْهُ بإرادته.

يخبرنا الله أيضاً أنّ إبليس قد اتخذنا أعداء له، بالتالي نحن أيضاً لابد أن نتَّخذهُ عدو. لأنه ببساطة يريد لنا الأذى والخسران، وسوء الخاتمة فالدنيا، وفالبرزخ، ويوم القيامة.

والمُثير للعَجَب أن تَرى بَعدَ كُل مانقرأه فالقرءان من أوصافٍ لإبليس.. ترى من يُروِّج لفكرة أنّ إبليس لايُمثِّل الشّر، وأنهُ لايوجَد شَر!.

وبعضهم يقول أنَّ الكُل "أيْ كُلّ ابن آدم" مُندفع نحو النور. وهؤلاء أصحاب النفوس المُظلِمة، يندفعون ببطء.

هل هذا كُل مالديكم بشأن أهل الشرّ من أتباع إبليس من بني آدم؟

فقط، اندفاع ببطء نحو النور؟ ☺

فالحقيقة لا عجب أن يصلوا لهذه النتيجة..

فماذا نتوقَّع أن يأتينا مِن التأمُّل وترديد التعاويذ المكتوبة بِلُغَة الجِن.

فتحتار أهُم سُفهاء أم وُكلاء لإبليس!.

فتجد للأسف أنهم وُكلاء لإبليس ولا حول ولا قوة إلا بالله.

حسناً..

-لازال لدي سؤال أخير..

=ماهو؟

-لماذا يكرهنا إبليس؟ ما مُشكلته مع آدم وذُريّته تحديداً؟

=يبدو أننا تحدثنا كثيراً عن إبليس في هذا الباب..

ليست هُناك إجابة واضحة. لكننا سنحاول وضع تصوّر.. سنُفكِّر بمنطق إبليس..

يَرى إبليس ذُريّة آدم، يأتي مِنها مَن يَصِل لمراتِب مُرتفعة عِند الله. فَلا يُعجبه ذلك!
لرؤيته أنه إن كانَ هُناكَ من يستحق تلك المراتب المُرتفعة، فهو أنا "إبليس"، وليس آدم أو ذُريِّته.

ثُمَّ بَعدَ استكباره وإعراضه عن أمر ربه بالسجود.
يَجِد إبليس أنّ مُتوسِّط أعمار آدم وذُريته قصير، مُقارنةً بأعماره هو وقَبيلُهُ.

ثُمّ إنّهُم "آدم وذُريِّته" يعودون بعد رحلة استخلافِهم ونجاحِهم على الأرض ليرتقوا في مَراتِبَ مُرتَفِعَة فالجنّات.
وبُمقارَنة أعمار الإنسان بِأعمار الجِن، نجد أعمار الجن طويلة.

لكنّ إبليس لم يُدرك أنّ طبيعة الإنسان لها خصائصها. فعندما تَدْخُل الروح داخل هذا الجسد المحدود، تُصبِح سجينة مُقيَّدة، وكذلك طبيعة التحديات التي تنتظره على الأرض، ليست سهلة!، لاسيما أنّ أجسادنا المادية في حد ذاتها هي إبتلاء.

فطبيعة آدم تختلف تماماً عن طبيعة الجن.

بالتالي لايَصِحّ عَقْد مُقارنة بينهم من الأساس.

أو لنقل أنَّ إبليس قد أدْرَك ويعلم أنَّه لا يُفتَرَض أن يعقد مُقارنة.. لكنه استكثر على آدم وذريته أن يَصِلوا إلى مَراتِب مُرتَفِعَة..

مُتجاهلاً طبيعة التحديات على الأرض، والتي بسبب صعوبتها سَترفَع معدلات نُضج آدم وذُريّته بشكل كبير.

بالتالي سترفع درجاتهم عند عودتهم إذا ما نجحوا في تلك التحديات.

لكن مَهْلاً يا إبليس..

إن كُنتَ فعلاً تشعُر بالغيرة من كوْن أنَّ آدم أو بعض ذُريّتِهِ ربما يصل لمرتبة أعلى منك عند الله، أليس من الأجْدَر أن تطْلُب مِن الله أن يسمح لك بالنزول معهم للأرض لِتَخْبُر نَفس تجربة آدم وذُريَّته، وتعبُد الله على الأرض وتنجح فالإبتلاءات وتُنافس عِباد الله الصالحين على الأرض في الوصول لأعلى المراتب عند الله؟.

لماذا لم تفعل شيء كهذا بدلاً من كِبرِك وإعراضِك وحِقدِك غير المُبَرر؟

لكن الحقيقة أنّ إبليس لجَأَ إلى حِيلةٍ خبيثة..

وهيَ أن يفترض هكذا بِكُل صِبيانية، أنهُ ليس مِنَ العَدْل أن يتفوق آدم عليه بأي شكلٍ كان. وأنه هو الأفضل مِنهُ.

وتَجاهَلَ إبليس شيئاً مُهماً..

وهو أنّ الله يعلم ونَحنُ لانعلم!. وأنَّ الله يخلق مايشاء ويختار.

هو الذي يختار ويصطفي بحكمته وعَدْلِهِ وَرَحمتِهِ.

وأنَّ هذا الإختيار أو الإصطفاء لن يكون وِفق مِقياسك أنت يا إبليس!.

وللمُصادَفَة العجيبة أنك ترى الكثير من البشر يستوعب ويتفهم ويَتَقَبْل مَبْدَأ أنّ الناس دَرَجات عند ربهم،

وأنّ أعلاهُم مَنزلةً أحسنهم أخلاقاً وعملاً. وأنّ الله وحده هو من يُحدِّد هذا التفضيل بين العباد.

فتأمَّل كيف نَجَحَ الكثير مِن أبناء آدم في الإختبار الذي فَشِلَ فيه إبليس!

مع أنه يرى ويعلم ذلك إلا أنهُ لازالَ يَتَمسَّك بِمَبدأ أفْضَليّتِهِ على آدم وذُريتّه!.

الناظِر لِفِعل إبليس بِرفْضِهِ السُّجُود، لا يَجِد أي مَنْطِق سُوى العَبَث والحِقد وبَعض الأمراض الباطنية،

ونتيجةً لذلك لم ينفع بعد هذا الفِعْل الذي قَامَ به أن يستمرَّ بالتواجد مع الملأ الأعلى أو أهل السماء.

فَتَمّ طَرْدهُ..

ليزدادَ عِناده بدلاً من مُراجعتهِ لِموقفه.

و تَوَعَّدَ بإغواء آدم،

ونَصَبَ العداوة لهُ ولذُريّته حتى قيام الساعة.

بالتالي..

نحن كذلك نعتبره عدو، لأنهُ يُريدُ لَنا الهَلاك والخَسارة.

ها قد وصلنا إلى نهاية هذا الباب. وهو أطول أبواب هذا الكتاب.

تمت صياغتهُ بالشكل الذي يضمن لك ضبط بَوْصلتك بشكلٍ تلقائي، لِتَضَعَك على الوِجهة السّليمة، وتَقْطَع السّبيل على إبليس وأعوانه أن يُضِلُّوك أو يُدخِلوك في دوّامات الحِيرة والتيه.

والآن، وبعد فهمك الكثير والكثير.. وإدراكك غاية وجودك.

سنبدأ باصطحابك فالأبواب القادمة في رحلةٍ شيِّقة،

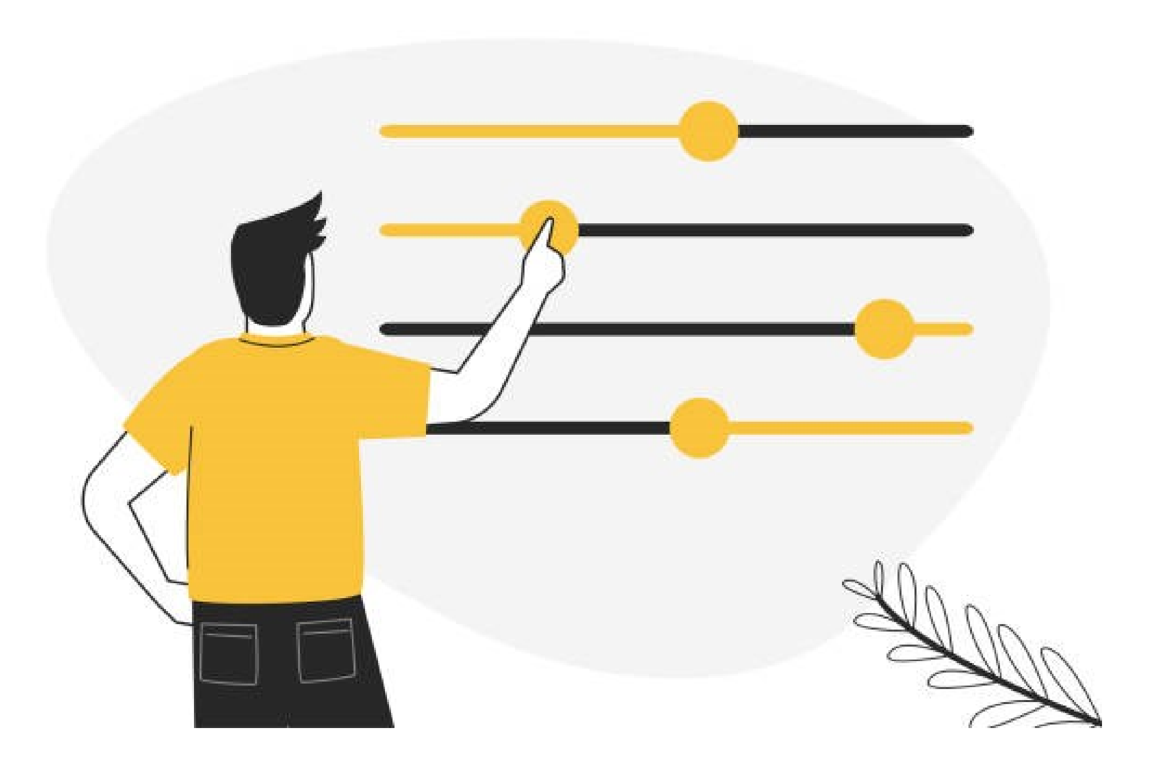
نُعطيك فيها الخارطة التي تبحث عنها، والأدوات التي تُمهِّد لك الطريق،

وأغلب ما تحتاجه لتَنْجَحَ في مشروع استخلافك الكبير على هذا الكوكب.

نحن بانتظارك فالباب الثاني..

"إضْبِط التردُّدات"

This page is intentionally left blank



اضْبِطِ الترددُّات

تردُّداتٍ فريدة!

من المعلوم أن الموسيقى أو المعازف لها قدرة على شحن الناس بالطاقة أو تحفيزهم أو تهدئتهم،
ولهذا نسمع الموسيقى والمعازف في أغلب المحلات والفنادق والمنتجعات السياحية والترفيهية..

نعم هذا سليم،
هي بالفعل تؤثر على الحالة النفسية..
لكنك ستكتشف أنَّ هذه الأغاني ما هِيَ إلا مُجرّد ضوضاء وتردُّدات مُزعجة، لن تُحِب الإكثار من الإستماع إليها.
وذلك بعد اكتمال عملية تنظيف مُستقبلاتك الحسِّية والسمعية كما سيجري بعد قليل..

-لابُدَّ وأنكَ تمزح!

=لا تندهش الآن.. فقط استمر بالقراءة،
ونحنُ على يقين أنك ستُرسِل لنا تجربتك بعد انتهائك من الكتاب.

لاحظنا مؤخراً.. ابتداع مدربوا الطاقة، فكرة الترددات. ونشروها بين مُتابعيهم.
فهُمْ يعطونهم بعض الترددات ويطلبون منهم تشغيلها في البيت زاعمين أنها تطرد العوارض الشيطانية، ومنهم من أعلن عن تردُّداتٍ تجذب المال والثراء.. يالِلسُّخرية!

لكن لابأس..

سَنَقْطَع عليهم هذا الطريق.. ونُطلِعك على السّر الأكبر..

سنُعطيك التردُّدات التي لن تطرد العوارض الشيطانية فحسب، بل أنها ستقوم بتنظيفك من الداخل وتنقية هالتك.

إنها كافية لِمنحك التشافي التام الذي تبحث عنه.

وكلما ازداد وعيك وإدراكك ومعايشتك لهذه الترددات، كلما ازداد نور بصيرتك نقاءً ووضوحاً،

وستشعر به يقوى يوماً بعد يوم.

-هذا رائع!..

ماهي هذه الترددات وأين أجدها؟

=هذه الترددات هي القرءان الكريم.

تجدها في كل مكان،

ربما لم يكن لديك علم بكيفية تفعيلها، ولهذا لم تصلك فوائدها العظيمة.

فالكثير منا لايزال يظن أن القرءان هو كتاب ديني يقرأه أو يسمعه لينال بعض الحسنات التي تنفعه فالآخرة.

هؤلاء لا يُدركون أنّ هذا الكتاب فيه روح، ونورٌ.. ليس كأي نور.

إنه حيٌّ، وقادرٌ على إحيائك وإنعاشك،

وتغيير مِزاجك،

ومواساتك، وإسعادك،

وتهدئتك، ومؤانستك،

وتربيتك، وتهذيبك،

وإصلاح عيوبك، وصقل مهاراتك،

وتعزيز شخصيتك، وإكسابها قوةً وصَلابة.

-هل أنت جاد؟

كيف يُعطيني هذا الكتاب كل هذه المزايا؟

=حسناً..سترى بنفسك هذه النتائج اذا التزمْتَ بالخُطّة.

ولعل ما شاهدناه فالباب الأول دليلاً كافياً على قوة وعُمق هذا الكتاب، من خلال الإسقاطات والمشاهد المُتنوعة التي وظَّفنا نصوص القرءان الكريم فيها.

بينما سنقوم في هذا الباب بالتركيز أكثر على آليات التدبُّر لتوطيد عِلاقتك بالقرءان.
سنقوم بالتركيز على كشف بعض كنوز هذا الكتاب،
والتي تجعلك تراه بشكلٍ مُختلف..

الخُطَّة

-حسناً.. ماالخُطة؟

=سنبدأ الخُطَّة بضبط التردُّدات لديك،
وذلك بالبحث عن قارئ ينال صوته إعجابك..

كل ماعليك فعله هو انتقاء أكبر قدر من السُوَر من على اليوتيوب أو غيره من المنصات، لِقارئ بصوتٍ عذب، ينال استحسانك.

أحياناً تعجبك تلاوة لقارئ ما في بعض السور، و قارئ آخر لسور أخرى، وهكذا..
ستقوم بتجميع هذه السور وتحميلها على هاتفك الجوال لتكون معك أينما كنت.

قم بتشغيلها قبل وأثناء نومك،

أثناء ركوبك المواصلات أو قيادتك،

وأنت فالمطبخ،

أثناء تناولك الطعام،

أثناء تبديل ملابسك،

بينما تسير فالطُرُقات

أثناء شرائك مستلزمات البيت

وأنت في مراكز التسوُّق

في وقت فراغك،

و في أي وقت آخر تجده مُناسب.

-حسناً.. فهمت ماتقصده

=جيّد..

-لنعود إلى القارئ.

كيف أختار هذا القارئ؟

=سأعطيك مثال للتوضيح..

يعجبني من قُرَّاء القُرءان الجُدُد، قارئ اسمه "عبدالرحمن الماجد"..
صوتهُ هادئ، ومعتدل..

من السور التي قام بتلاوتها بشكلٍ جيّد، سورة الأنبياء، والفرقان، ويس، وفاطر، وغافر، والعنكبوت، والروم، والدخان، ولُقمان، والبقرة، والزمر وفُصلت.. وغيرها.

كما يعجبني "سعد الغامدي" في تلاوته لسورتيّ الإسراء وهود.

و"المنشاوي" المُرتل في سُورٍ كَثيرة.. مِنها سورتي إبراهيم والبقرة..
وهكذا أكون قد قُمت بجمع عدد لا بأس به من السور بصوت يشجعني على الإستماع إليهم.

أنت كذلك اختر مَنْ تُحِب من المُقرئين..
مايهمنا فالنهاية هو عملية جمعك لِسُور القرءان الكريم على هاتفك.

مع الوقت ستجد أنك تقفز لمواضع مُعينة في بعض السور التي ستُحِبها، وتُحِب تكرار الإستماع إليها..

مثلاً.. لذات القارئ "عبدالرحمن الماجد".. تُعجبني بدايات المائدة.. تحديداً عند بداية تلاوته للآية

"ياأيها النبي لايحزنك الذين يسارعون فالكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم".

عندما يَتّفِق لك الإستئناس ببعض المواضع من السُوَر أنت أيضاً،

فاستمر بتكرار الإستماع إليها. هذا سيفْسَح الطريق للقرءان بالدخول إلى قلبك.

لعلك الآن فهمت ما نَقصده.

ونُحب أن نؤكد لك أنك لن تملَّ مِن القرءان..

- لكن لماذا لن أَمَلّ؟

=لأنه كما ذَكَرنا سابِقاً..

إنه روح، إنه حيّ، وقادرٌ على إحيائك وتغيير مِزاجك.

فقط إعطه الفرصة وراقب النتائج.

هذا الأمر سَيُساعدك على عملية حفظك للآيات بسرعة. وكذلك أسماء السور،

وعلاقة أسماء السُور بمضمونها. وستتمكن من ربط المتشابهات وأمور أخرى كثيرة لن يستطيعها غيرك،

لأنك ببساطة تعيش مع القرءان على مدار اليوم.

حينها، ستبدأ ينابيع الحِكمة بالتدفُّق من داخلك، وتنعكس على أقوالك وأفعالك.

-حسناً.. هل هناك فوائد أخرى؟

=نعم بالطبع!

من أكبر الفوائد أنك مع الوقت ستقوم باستنباط معانٍ جديدة، وسيرتقي فهمك ووعيك لأمور كثيرة في حياتك.

سينعكس ذلك على طريقة تفكيرك وسُلوكِك.

سنعطيك في هذا الباب، بعض المفاتيح والمعاني المستنبطة التي ستُدهشك وتجعلك أكثر تعلُّقاً به.

ستكتشف معنا بعضاً من الكنوز والأسرار المُخَبّئه بداخله.

-ولكني أُحِبُ أيضاً الاستماع إلى الأغاني!

=لا بأس، يُمكنك الإستماع إلى القرءان بعد استماعك للأغاني وستشعُر أنه أفضل منها.

-هل يصح ذلك؟

=ببساطة، لاتقم بتحدي نفسك.

مع الوقت ستجد أنَّ المُتعة قد انتقلت إلى القرءان، وحينها ستبدأ بتقليل وقت الأغاني وزيادة وقت القرءان.

ثم مع الوقت ستجد أنك غير مُنسجِم مَع تردُّدات وكَلِمات الأغاني.. هكذا دون جُهد مِنك.

-مالسّحر الذي يقوم به القرءان ليجعلني أزهد في استماع الأغاني؟

=الحقيقة أنَّ تردُّدات القرءان وكَلِماته هي أنقى التردُّدات وأعلاها رُتبةً. لأنها جائت من عند الله صانع الجمال والإبداع.

فمع الوقت ستزدهر حواسك الموسيقية، بسبب تعوُّد مُستقبلاتك السمعية على هذه الترددات النقية..

فتبدأ تُدرك مع الوقت أنّ ترددات الأغاني لاتنسجم مع كيانك الجديد.

نعم.. رُبما لن تُمانِع بِسماع بعض الأغاني،

لكن إن زادت مدة استماعك لها فستشعر أنها قد تحوَّلت إلى ضوضاء وضجيج تَودُ إسكاتهُ واستبداله بالقرءان، أو الجلوس في هدوء.

وهكذا مرةً تلو الأخرى..

لن تجد حلاوةً في سماع الأغاني.. لأنها ستنتقل إلى القرءان.

حسناً..

تعال نُحدِّثك عن بعض الكُنوز القُرئانية،

والتي سنقوم من خلالها بتقريبك أكثر من القرءان وتعميق علاقتك به، وإظهار بعض أسراره المكنونة،

لتُدرك بعض جوانب عظمة هذا الكتاب.

أسرار الكتاب

من روعة هذا الكتاب أنه يتسم بالموسوعية.

فهو عميقٌ تاريخياً.. يَقُص عليك قصص تاريخية تمتد إلى قبل الميلاد، بل إلى ماهو أبعد من ذلك.. إلى بداية الخلق.

كما أنه واسع جغرافياً.. فيسْرِد لكَ أحداث و وقائع في مُختَلَف بِقاع الأرض.

متشعب علمياً.. يعطيك إلماحات علمية متنوعة فالفيزياء والفلك والطبيعة والعلوم، فيحفزك على التعلم والبحث.

كما أنه يدعو لإصلاح المجتمعات والأفراد، ويشرع لك الحلال والحرام، ويهديك السبيل والصراط المستقيم الذي ترتاح وتسعد به نفسك.

حسناً..

هيّا نُبحِر في أعماق هذا الكتاب الكريم، لِنكتشفَ بعض أسراره المُدهِشة.

علاقة العنوان بالمضمون

الجميل في هذا الكتاب أنّ أسماء السور تم اختيارها لتناسب المضمون.

البقرة

نجد في سورة البقرة، قِصّة البقرة التي أمر الله قوم موسى بذبحها ليكشف لهم بها هوية القاتل الذي أراد إشعال الفتنة.
لكنهم تصرفوا بخُبث وكِبْر، وبكثير من الجدل وطلب مزيد من التفصيل في أمرٍ لا يحتاج كل هذا التفصيل.
فشددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.

فسُميت السورة بسورة البقرة لِتَلفِتَ انتباهنا ألا نَتَشدّد ولا نحتال ونُخادِع أنفُسنا،
وألا تطغى المادية علينا فَيُصبِح الدين مجموعة قوانين معزولة عن الأخلاق الحميدة.
وفي المقابل يعلمنا الله التدين السليم أو مرتبة "البِر" فيقول تعالى:

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (177) – البقرة

مريم

مثال آخر لسورة مريم. تبدأ السورة بآية "ذِكْرُ رَحمتِ ربك" وهو موضوع السورة، الذي مُلخصهُ عطاء أو هبة الله لمجموعة من عباده الصالحين. فنجد في هذه السورة مايلي:

- وَهَبَ الله يحيى لزكريا عليه السلام.
- ووهَبَ مريم لامرأة عمران، واصطفى مريم على نساء العالمين.
- ثم وَهَبَ عيسى لمريم العذراء، وكان باراً بها، ووجهياً فالدنيا والآخرة.
- ثم يأتي ذِكر إبراهيم عليه السلام، وقد وَهَبَهُ الله إسحق ويعقوب.
- ثم موسى عليه السلام، بأن جَعَلَ له أخاه هارون نبياً.

وهكذا.. فكان إسم السورة على إسم أحد هؤلاء الذين أنعم الله عليهم بفضلهِ وكرمهِ، وهي مريم العذراء.
وتأتي الآية لتُلخِّص الفكرة العامة للسورة.. "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم"

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴾ – مريم

هود

تحكي السورة أنواع وطرق الهلاك التي أهلك الله بها الأقوام الكافرين المفسدين فالأرض. فتم اختيار أحد تلك القُرى وهم قوم هود ليكونوا عنوان السورة.

النحل

ومواضيعها ذكر نعم الله علينا، وفي منتصف السورة، تُكلِّمُنا السورة عن النحل، وكيفية انتاجها للعسل الذي فيه شفاء بدخوله في تركيب العديد من العلاجات، ومنافعه الكثيرة. فتم تسمية السورة بإسم النحل ليكون عُنواناً لِنعم الله علينا.

العنكبوت

تُعطينا السورة أمثلة لبعض أنبياء الله وكيف نجاهم أو أنجاهم ربهم من أذى أقوامهم.
وفي المقابل تذكُر بطش الله وإهلاكه لأقوامهم، وأنَّ أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله لم ينفعوهم ولم يُنقِذوهم.
فوصف الله ضعف وهشاشة أولياء الباطل، بهشاشة بيت العنكبوت.
فمن يرتضي ولياً من دون الله، أيْ لا يستند إلى الله المُطلق وقوانينه الحاكمة.. فقد ضاعَ وهَلَك. فسُمِيَت السورة بسورة العنكبوت.

حتى على المستوى الشخصي، نجد الذين يلجؤون لجلسات التأمُّل لشحن أنفسهم بالطاقة، ويتركون الصلاة التي هي الطريق السليم لشحنهم بما يُريدون. نجد أنه ينتهي بهم المطاف لمزيد من القلق والتخبُّط وفُقدان الهوية.

يونس

نجد أنها تتحدث عن عناية الله بنا ووجوده معنا دوماً وأنه لم يخلقنا ثم تركنا لأنفسنا كما يزعم بعض المتشككين.

فاختار العنوان ليكون اسم النبيّ يونس، لأن يونس عليه السلام في قصته مع الحوت تتجلى عناية الله به حيث نجاه من بطن الحوت وأنبت عليه شجرة اليقطين واعتنى به إلى أن استرد صحته وعافيته.

أنت أيضاً يمكنك أن تتفَكّر في أسماء بقية السور، وحاوِل أن تَربط بينها وبين مضمونها وستجد أموراً شيقة.

تناظرات عجيبة

-ما هذا التناظر؟.. مالمقصود به؟

=التناظر خاصية تَصِف الأجسام الهندسية كما كُنّا ندرسها في كُتُب الرياضيات.

لنُعطي مثال للتوضيح..

التناظر يتصف به الإنسان. فالإنسان يُماثِل نصفه الأيمن نصفه الأيسر شكلاً.

لهُ يدان ورجلان وعينان وأذنين.

-وماعلاقته بالقرءان؟

=وجدنا أمثلة دقيقة ومُعجِبة لهذه الظاهرة، سنُحدِثُك عنها..

لِنبدأ بنموذج بسيط.

نلاحظ في سورة العنكبوت ذكر الله تعالى لبعض الأقوام الذين كذبوا رسلهم،

وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (38) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (39) – العنكبوت

هنا يذكر أقوام وأشخاص على الترتيب وهُم عاد، وثمود، وقارون، وفرعون، وهامان.

ثم يكمل الآيات ليتكلم عن هلاكهم، فنلاحظ أنه ذكر طرق هلاكهم أيضاً بنفس ذات الترتيب.

فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40)

لنقم بوضعهم في جدول على ترتيبهم..

عاد	ثمود	قارون	فرعون	هامان
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا	أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ	خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ	أَغْرَقْنَا	أَغْرَقْنَا

يُمكننا أيضاً الإستنتاج بأنّ هامان قد مات غرقاً هو كذلك، لأنّ الآية لم تذكُر عقوبة بعد الغرق.

بالتالي نستطيع إسقاطها على هامان.

لنأخذ مثال آخر أكثر دقة وإعجازا..

يحكي لنا القرءان قصة موسى عليه السلام منذ مولده مروراً بمكوثه في مدين ثم عودته إلى مصر وانتهاءً بخروجه ورحلته مع قومه.

ونلاحظ تسليط القرءان على بعض المواقف التي حدثت مع موسى عليه السلام.

ثم أراد الله تعالى له أن يُطلِعه ويُطلِعنا على بعض الخبايا التي تُظهِر عملية إدارة أقدار العِباد البديعة الُمعجِبة.

-وما هي هذه المواقف؟

=كي نُلاحظ هذه المواقف الُمتناظرة، سنحتاج زيارة الآيات التي تكلمت عن الرحلة قام بها موسى عليه السلام، لِنقوم بعملية إسقاط على مايناظر أحداث هذه الرحلة من مواقف في حياة موسى عليه السلام الشخصية.

لنُشاهِد التدبير القَدَري العجيب!.

-ماهذه الرحلة التي تقصدها؟

=إنها رحلته مع العبد الصالح الذي التقاه عند مجمع البحرين، والتي جائت في سورة الكهف..

-ماهو مجمع البحرين هذا؟

=يبدو أنه يرمُز لشيء ما.. سنتكلم عنه بعد قليل..

-حسناً.. ولماذا نعود لهذه الرحلة، أو ماعلاقتها بموسى عليه السلام؟

=نعم.. لقد تسائلنا ذات السؤال! لماذا موسى عليه السلام؟.
لماذا اختار الله موسى عليه السلام تحديداً ليتّبِع العبد الصالح الخِضر، ويكون عنواناً يحكي لنا جانب من حِكمَة القَدَرْ؟
لابُدَّ أنّ يكون في الأمر شيء يخص موسى عليه السلام أيضاً، حيث أنّ الزيارة كانت ليتعلم موسى شيأً ما.

قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا (66) - الكهف

تبدأ الأحداث بأن طلب منه العبد الصالح ألا يسأله عن شيء حتى يُحدث لهُ ذِكرا.
يبدأ العبد الصالح بخرق السفينة، فلا يتمالك موسى عليه السلام نفسه، فَيُنكِر عليه ذلك. وهذا متوقع من نبي ورسول كريم قوي، لايستطيع أن يسكُت عن أمرٍ كهذا.
لكن العبد الصالح يَتَفَهّم ذلك منه، ثم ينطلقا.

فيقتل الغلام!،

ومن جديد ينفعل موسى عليه السلام إذ أنه لم يتوقع أن يحدث أمر كهذا!،

فما الخير المرجو من إزهاق نفس زكية، ووصفها بالزكية لأنها نفس طفل لم يكلف بعد. فينبهه العبد الصالح ويكره أنه لن يستطع معه صبرا.

هُنا يشعر موسى عليه السلام بالحَرَج ويعتذر قائلاً:

إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرا – الكهف

فيكون بذلك أمامه فرصة أخيرة، فينطلقا حتى يبلغا القرية التي رفضت ضيافتهم، فقام العبد الصالح بإعادة بناء الجدار، فيقترح عليه موسى أن لو شاء اتخذ على هذا العمل أجرا منهم.

فتنتهي هذه الصحبة بهذا الموقف الثالث ويخبره العبد الصالح بما لم يتسطع عليه صبرا.

تعال نُرتِّب هذه المواقف الثلاثة في جدول ثُم نقوم بعملية الإسقاط العكسي على حياة موسى عليه السلام وتطبيق قانون التناظر.

مواقف موسى عليه السلام مع العبد الصالح	اسقاط ذات المواقف على حياة موسى عليه السلام
خَرَق العبد الصالح السفينة، وكان ظاهر الأمر أذى وإلحاق ضرر بهؤلاء المساكين، ولكن باطن الأمر أنْ ترتب على ذلك نجاتهم وحماية سفينتهم وحفظها لهم.	يظهر موقف مشابه عندما خافت أم موسى على ابنها الرضيع من بطش فرعون، فأوحى الله لها أن ألقيه فاليم. فظاهر الأمر فيه ضرر على رضيعها وخطورة!، لكن باطنه نجاة موسى من بطش فرعون، بل وإعادته لأمه مرة أخرى لتقر عينها به.
قام العبد الصالح بقتل الغلام الذي رأى من خلال علوم الغيب اللدني التي علمها له الملأ الأعلى أن هذا الغلام سيرهق أبواه طغيان وكفرا. فكان قتله خير له، وخير لأبواه بصبرهم على موته، فيبدلهم الله خيراً كثيرا في الدنيا والآخرة بصبرهم واحتسابهم.	يظهر موقف مشابه عندما وكز موسى عليه السلام الرجل المصري، فكان ظاهر الأمر وقوع موسى في خطر القبض عليه أو مطالبة قوم فرعون بالقضاء عليه، فاستغفر موسى ربه وخرج خائفاً يترقب، فكان باطن الأمر هو نجاتهُ من القوم الظالمين ورزقه الله زوجة طيبة وهيأه للنبوة وأعاده إلى فرعون رسولاً.
أخيراً يقوم العبد الصالح بإعادة بناء الجدار للغلامين اليتيمين من أهل القرية التي رفضت ضيافتهما دون وجود مصلحة ظاهرة أو مردود من هذا العمل، لكن يخبئ الغيب شيء آخر!، فهذين اليتيمين كان لهما أب صالح، فأراد الله لهما الخير ببركة صلاح هذا الأب فحفظ لهما الكنز حتى يبلغا أشدهما ويستخرجانه.	أيضاً يحدث نفس الأمر بشكل معجب!.. نستبدل اليتيمين بالفتاتين اللتين أرادتا سقيا أغنامهم ولم تستطيعا ذلك من زحام القوم حول الماء. وأيضاً كان لهم أب صالح كما كان لليتيمين أب صالح!. فيأتي موسى ليسقي لهما ثم يتولى إلى الظل، ولم يسألهما أجراً لما فعل. لكن القدر قد دبر له ذلك، فزوجه إحداهما وأكرم الأب الصالح في نفس الوقت، فعمل موسى لديه ثماني حجج وتزوج إحدى بناته.

والآن مارأيك بهذه التناظرات الدقيقة؟

هذه التناظرات العجيبة لا تزيدك إلا يقين بالله ودقة تدبيره.

انظر كيف حدث القدر منذ إلقاء موسى عليه السلام فاليم، إلى خروجه من مصر، ثُمّ زواجه ومكوثه في مدين.

و بعد استقراره مع قومه.

يُقدّر له لقاء العبد الصالح ليَخْبُر معه تجارِبَ ثلاث، فيتعجل موسى بعد التجربة الثالثة لينتهي اللقاء وتنتهي العِبرَة من هذه التجارب، لتحكي لنا ولموسى عليه السلام روعة ما خَبّأهُ القدر له.

وأنه كله فيه الخير، فنطمئن نحن أيضاً ونعلم أن الله فِعلُهُ كُلّهُ خير. فكما قال عز وجل في سورة آل عمران

وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26) – آل عمران

فحتى مع إذلاله لبعض الأقوام أو الأشخاص، هو أيضاً خير.

ففيه انتصار لمن وقع عليه الظلم وفيه إصلاح لهذا الظالم لعله يرجع عن ظلمه.

حسناً..

لنعود إلى سؤالك عن مجمع البحرين..

-ماهو مَجمع البحرين هذا؟

إنه مكان مُحدّد سيُقابِل فيه موسى عليه السلام العبد الصالح.
هو موضع في وسط البحر، وستأتي إشارةٍ ما، تُرشِد موسى أنه قد وصل للموضع المطلوب.
وهي أن يمُرّ الحوت من أمامهم فيصنع أثر خلفهُ بشكل عجيب ليكون هذا الموضع هو موضع خروج العبد الصالح الخِضر عليه السلام.

-هذا افتراض لنوع الإشارة التي يُمكن أن تكون دليلاً على وصولهم الموضع المطلوب-
مُستوحى من الآية "فاتخذ سبيله فالبحر عَجَبا"

أما الدلالة الإيحائية لَمجمع البحرين، فهي تُشير إلى عملية التقاء بين عالمَيْن، أو عملية الإنتقال من عالمٍ إلى عالمٍ آخر.
وكأنَّ موسى عليه السلام احتاج أن يذهب لهذه النقطة ليُقابل شخصاً يخرُج إليه من عالمٍ آخر.
فموسى عليه السلام ينتمي لعالم المُلك أو الشَهادَة، والعبد الصالح الخِضر ينتمي لعالم غيبي كالملكوت أو الجبروت.

ولِهذا، كانَ الخِضر عليه السلام يرى الأقدار المُستقبلية لهذه الحالات الثلاث، فيقوم بِصُنْع تغيير في الأحداث الحالية لهم لتتجلى أقداراً جديدة فيها الخير لهم، أو ليدفع أقداراً كانت شراً لهم.

ولا ننسى أمراً مُهماً..

أنّ كل تغيير أو تعديل يحدُث لأي إنسان في خُطته القدرية، هو في نفس الوقت مُصَمّم بشكلٍ مُتزامِن مع أقدار الناس من حوله، لأن أي تعديل في مساره، سيؤثر على أقدار من حوله في ذات الوقت، وذلك لِتداخُل المصالح والمنافع بين الناس.

ولعل هذا مايُفسِّر ظهور أشخاص في أوقاتٍ مُناسبة ليقدموا العون لأحدهم، أو يُنقِذوه من ورطة، أو اجتماع الأسباب لِيحصُل أحدهم على وظيفة عمل بعينها،

كل ذلك يحدث دون أن يشعُر هؤلاء بحجم الجُهد المبذول لربط هذه الأقدار معاً كي يتحقّقَ الخير لهؤلاء الناس.
حتى إذا ما اكتملت الصورة، يتمكنون حينها من ربط الأحداث وإدراك رعاية السماء لهم.

حسناً..
لنعود ونختِم قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح..

المُدهش في تلك المعادلة القدرية، أنّ الخِضر عليه السلام اختار ثلاثة أقدار لتُناظر ثلاثة أقدار حدثت مع نبي الله موسى عليه السلام.

لتُعطينا درساً في مدى دقة تخطيط السماء لشبكات القَدَر والتي لم تكن لتتجلى بتلك الدقة إلا إذا كانت ناتجة عن تدبير حكيمٍ عليمٍ مُطّلعٍ على الغيب والمَصائِر.

فأعطانا الله هذه القصص، لنُدرِك أنَّ لَطائِفهُ تُحيط بِنا دائماً.

وأننا لن نتمكَّن من تفسير أو تفكيك مغزى الكثير من الأقدار التي تقع حولنا إلا أن يشاء الله.

بالتالي الأفضل لنا أن نصبِر على مالم نُحِط به خُبْرا.

هيا نُكمِل رحلتنا في قانون التناظر..

-هل هُناك تطبيق عملي واضح لهذه التناظرات؟

أقصِد، أُريد مثال حي لهذه الظاهرة حدث بالفعل في زمانٍ قريب..

=نعم، يوجد أمثلة كثيرة.. نذكُر لك أحد هذه التناظرات، حدثت في مِصر إثر وفاة الشيخ الأزهري محمد عبده.

عندما توفي الشيخ محمد عبده، وقف ستة من الخُطباء والشُعراء يرثونه ويعددون مناقبه،

وهُم بحسب ترتيبهم في الوقوف:

1 -الشيخ أحمد أبوخطوة.

2 –حسن باشا عاصم رئيس ديوان الخديوي.

3 –عبد الرازق باشا.

4 –قاسم أمين.

5 –حفني ناصف.

6 –حافظ إبراهيم.

وكان أولهم رثاءً أولهم وفاةً عام 1906 ميلادي وذلك بعد وفاة الشيخ محمد عبده بعدة أشهر، ثم لحق به ثانيهم عام 1907 ميلادي، ثم حان أجل الثالث، ثم عرجت المنية على الرابع في ابريل عام 1908 ميلادي،
ولم يبق إلا الخامس والسادس.
وهنا وقر في قلب حفني ناصف أن الدّوْرَ حل عليه وأن مَنيته قد قَرُبَت، فَكَتَب إلى حافظ إبراهيم أبياتاً جاء فيها:

أتذكر إذ كنا على القبر ستةً ... نُعدد آثار الإمام ونندب

وقفنا بترتيبٍ وقد دَبّ بيننا ... مماتٌ على وفق الرثاء مرتب

أبو خطوةٍ ولّى وقَفّاه عاصمٌ ... وجاء لعبد الرازق الموت يطلب

فلبّى وغابت بعده شمس قاسمٍ ... وعما قليلٍ شمس مَحياي تغرب

فلا تخش هلكاً ما حييتُ فإن أمُت ... فما أنت إلا خائفٌ تترقب

فخاطر وقع تحت الترام ولا تخف ... ونم تحت بيت الوقف وهو مخرّب

وخُض لجج الهيجاء أعزل آمنا ... فإن المنايا عنك تنأى وتهرب

ولقد شاء الله تعالى أن يموت حفني ناصف قبل حافظ إبراهيم؛ أيّ بنفس ترتيبه في الوقوف في لحظة رثاء الشيخ محمد عبده، وكان عام 1919م

وهنا قال حافظ:

آذَنت شمس حياتي بمغيب ... ودنا المنهل يا نفس فطيبي

قد مضى حفني وهذا يومنا ... يتدانى فاستثيبي وأنيبي

قد وقفنا ستةً نبكي على ... عالم المشرق في يوم عصيب

وقف الخمسة قبلي فمضوا ... هكذا قبلي وإني عن قريب

ومات حافظ إبراهيم في يونيو 1932م.

إنها حقاً ظاهرة عجيبة!.

حسناً..

نكتفي بالحديث عن ظاهرة التناظر..

لننتقل للحديث عن ظاهرة أخرى مُهمة، نَلاحظها كثيراً ونحن نستمع أو نقرأ القرءان.
وهي عملية تكرار سرد القصص أو الوقائع.

قصص مُكررة

لعلك تتسائل.. لماذا تتكرر القصص في القرءان؟.. لماذا أجد نفس القصة أو الحدث مُكرَّر في أكثر مِن سورة؟

حاوَلَ البعض الإجابة على هذا السؤال فقال أنّ هذا التكرار لتعزيز المعنى وتدعيمه، وقال آخر أنها تكررت لِلَفْت الانتباه إليها وليُشعِرَك بالاهتمام بها.. لكن الأمر يبدو لنا أعمق من ذلك..
فهناك بعض الاختلافات المُلاحَظَة على تلك القِصص التي نظُن أنها مكررة.

في بعض المواضع نلاحظ أن السرد يأتي بهدف التلخيص. فهو يُلخِّص القصة كلها في سطرين مثلاً بأن يَذكُر النبي المرسل وقومه وتكذيبهم، ثم طريقة عقابهم، وينتقل لغيره وهكذا.

وتارةً أخرى يقوم بتفصيل مشهد أو مشاهد معينة من القصة.
ويتم اختيارها تبعاً لموضوع السورة الرئيسي. فعندما تستمع لمشهد من قصة أحد الأقوام السابقة فانتبه لإسم السورة وموضوعها، ثُم قُم بالتركيز على المشهَد أو الجانب المذكور من القصة وستبدأ بمُلاحظة أنَّ الأمر ليس تكرار للقصة ذاتها وإنما شيء أبعد من ذلك.

فمثلاً..

تم ذكر مشاهد من قصص بني إسرائيل في سورة البقرة، وهي عن تشددهم بجهل، وماديتهم في التعامل مع ربهم وسوء أدبهم مع الأنبياء. لأن موضوع السورة الرئيسي هو التشدد وطغيان المادة ومخادعة النفس.

-هل تُعطينا مزيداً من التوضيح؟

=لابأس.. دعنا نأخذ مثال، سنتناول بعض المشاهد من قصة النبي موسى الكريم عليه السلام، لأنها القصة الأكثر انتشاراً فالقرءان.

نلاحظ أن النبي موسى الكريم تم تكليفه بعدة مهام، فلم تقتصر مهمته على إرساله لفرعون فحسب.

ستجد تكرار قصَّة موسى عليه السلام جاء لوصف وتوضيح طبيعة تلك المهام، وكأنه في كل مرة يقوم بتسليط الضوء على جانبٍ مُعيّن مُراعياً سياق السورة وموضوعها.

لنأخذ هذا المثال:

يمكننا تلخيص بعض مهام موسى عليه السلام كما يلي:

*** رسولاً إلى فرعون وهامان وملائهم**

كما يظهر في مواضع عدة، منها سورة النازعات.

اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (17) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (18) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (19) – النازعات

*** رفع الواقع إلى ربه في حالة رؤيته للمشهد بأن قوم فرعون لم يُوَفّقُوا في اختبارهم.**

نجد في سورة يونس، يرفع موسى عليه السلام التقرير إلى ربه بعد فَشَل فرعون في فهم واحترام آيات الله.

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (88) – يونس

ثم يأتي الرد كمايلي:

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (89) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) – يونس

*** اخراج بني اسرائيل من مصر وقيادتهم**

من مهام موسى أيضاً كما جاء فالقرءان، انقاذ بني اسرائيل من فرعون. ويشرح لنا القرءان كيف نجاهم الله من فرعون، ثم يتم مكافئتهم بصبرهم أن أورثهم مَشارِق الأرض ومَغارِبها، ليدخلوا بذلك في امتحانٍ آخر وهو كيف سيتصرفون بعد تمكينهم في الأرض!.

يظهر في الآية وضوح المهمة المُكلَّف بها موسى وهي الإنتقال ببني اسرائيل من مصر، وتحريرهم من بطش وسلطة فرعون عليهم.

فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ (47) – طه

✱ رسولاً وقائداً لبني اسرائيل. فقد آتاه الله الفُرقان أو الألواح أو الكتاب، والذي توارثه قومه من بعده

نجد في بعض المواضع، موسى عليه السلام يُعلِّم قومه ويوجههم ويصحح انحرافاتهم وينصحهم وغير ذلك.

فمثلاً، نجد في سورة يونس، بعد ازدياد ظلم فرعون لهم، يعطيهم موسى الحل الذي ستبدأ به مسيرة نجاتهم.

وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (84) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (85) وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (86) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (87) – يونس

في سورة الأعراف، يطلب قوم موسى نموذجاً مُجسَّداً أو رمزاً، كأن يكون شيء مادي محسوس يكون واسطةً بينهم وبين ربهم.

لكنه أجابهم بأنكم قوم اصطفاكم الله وميزكم على الأقوام الحاليين المعاصرين لكم "فضلكم على العالمين"، فلا يليق بكم بعد هذا النضج الذي وصلتموه، أن تنحدروا لأسفل، طالبين إلاهً مُجسَّداً على الأرض.

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (138) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (139) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (140) – الأعراف

–لكننا لدينا كعبة نطوف حولها ونأتي إليها من كل مكان، هل نفهم أنهم طلبوا شيء كهذا؟

=لا.. نحن لا نعبد الكعبة أو نعتبرها وسيط، بل نعبُد رب الكعبة، فالمسجد الحرام بالنسبة لنا بقعة أرض مُقدّسَة اصطفاها الله.

بينما يظهر في طلب قوم موسى بوضوح أنهم يريدون واسطة أرضية مجسمة بينهم وبين الله على هيئة صنم يتوجهون له "لهذا الصنم" بشيء من العبادة وربما يعتقدون أنه ينفع ويضر. فظلموا أنفسهم بهذا الفعل العجيب.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (54) – البقرة

❋ تكليف موسى بمهمة لقاء العبد الصالح عند مجمع البحرين

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) – الكهف

هنا يكلف الله موسى بلقاء العبد الصالح الذي يمثل جانب من التخطيط الشبكي لأقدار الخلق والذي تجلى في المواقف الثلاثة التي ذكرناها في فقرة التناظرات.

حسناً.. لنكتفي بهذا القدر. هيا لننتقل إلى ظاهرة أخرى..

الإلتفات

مقام الإلتفات يجعلك تعيش الأحداث وكأنك معها وتراها بنفسك، فكما يحدث في الأفلام السينيمائية من انتقال بين المشاهد ثم العوده لإكمالها لاحِقاً.. أيضاً نجده في القرءان وبكثرة.
سنعطيك بعض الأمثلة على هذه الظاهرة الجميلة.

يقول الله تعالى في سورة العنكبوت وهو يحكي لنا موقف إبراهيم مع قومه وهو يدعوهم:

وَإِبرٰهِيمَ إِذ قَالَ لِقَومِهِ ٱعبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُم خَير لَّكُم إِن كُنتُم تَعلَمُونَ (16) إِنَّمَا تَعبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوثَٰنا وَتَخلُقُونَ إِفكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَملِكُونَ لَكُم رِزقا فَٱبتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزقَ وَٱعبُدُوهُ وَٱشكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيهِ تُرجَعُونَ (17) وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَد كَذَّبَ أُمَم مِّن قَبلِكُمۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلبَلَٰغُ ٱلمُبِينُ (18) – العنكبوت

ثم نجد أنه التفت إلى موضوع آخر كما يلي:

أَوَ لَم يَرَواْ كَيفَ يُبدِئُ ٱللَّهُ ٱلخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِير (19) قُل سِيرُواْ فِي ٱلأَرضِ فَانظُرُواْ كَيفَ بَدَأَ ٱلخَلقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشأَةَ ٱلأَخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيء قَدِير (20) يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيهِ تُقلَبُونَ (21) وَمَآ أَنتُم بِمُعجِزِينَ فِي ٱلأَرضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّ وَلَا نَصِير (22) وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيم (23) – العنكبوت

ينتهي الإلتفات عند الآية 23 بالأعلى، ثم يعود لقوم إبراهيم الذي كانَ قد توقف عندهم في الآية رقم 18 ليُكمِل الحديث عنهم.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَومِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقتُلُوهُ أَو حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰت لِّقَوم يُؤمِنُونَ (24) وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوثَٰنا مَّوَدَّةَ بَينِكُم فِي ٱلحَيَوٰةِ ٱلدُّنيَاۖ ثُمَّ يَومَ ٱلقِيَٰمَةِ يَكفُرُ بَعضُكُم بِبَعض وَيَلعَنُ بَعضُكُم بَعضا وَمَأوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ (25) – العنكبوت

مثال آخر.

يقول الله تعالى في مطلع سورة الزمر:

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (2) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّار (3) – الزمر

يظهر في الآية الثالثة التفات يحدث في نفس الآية. فيتحدث الله عن أقوام اتخذوا من دونه أولياء

"وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ"

ثم يلتفت لينقل المبرر الذي ساقهُ هؤلاء القوم وكأنهم يتم سؤالهم فيُجيبون

"مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ"

ثم يعود مرة أخرى ليخبرنا أن الله سيحكم بينهم فيما اختلفوا فيه،

"إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ"

ويختم بهذه الآية:

"إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّار"

وهي إشارة إلى أنّ هذا الاختلاف الذي اختلفوه، غير مقبول منهم!،
فَسِياق ذكرها يُشير إلى أنه قد جائهم الحق ولكنهم اختلفوا، أيّ أصرّوا على موقفهم ولم يتّبعو هذا الحق.

-لحظة..
هل هناك دليل على أن "الإختلاف" في بعض مواضع القرءان تعني ذلك؟

=نعم.. يخبرنا الله تعالى في سورة آل عمران أنّ أهل الكتاب اختلفوا بعد أن جائهم الحق.

إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (19) – آل عمران

-فماذا نتج عن هذا الاختلاف؟

=بعضهم آمن وبعضهم كفر كما سيظهر فالمثال التالي بشكلٍ واضح.

-هل هناك دليل آخر أنّ لفظة "اختلاف\اختلف\اختلفوا" تعني حدوث انقسام بين مؤمن بالحق وكافر به بعد إظهاره وتبيانه لهم؟

=نعم.. تأمَّل مايلي:

وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ <u>وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ</u> ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (253) – البقرة

نكتفي بالحديث عن ظاهرة الإلتفات.

حسناً..

لِنخرُج إلى فاصل.. نُعزِّز ماقرأناه فالفقرات السابقة.

تطبيق عملي

-هل يُمكِنُنا تطبيق ماذكرناه سابِقاً عن عِلاقة أسماء السُور بالمضمون، وعلاقة القصص المذكورة بعنوان السورة مع بعض التحليل؟

=نعم.. يمكننا ذلك!.

بما أننا كنا نتحدث عن عيسى عليه السلام وسورة آل عمران، لا بأس بالتطبيق عليها..

نجد مشاهد مُتنوعة من قصة عيسى عليه السلام مُوزّعة على عِدّة سُوَرْ.

لو سَلّطنا الضوْء على سورة آل عمران بتطبيق ماذكرناه، سنجد مَشاهِد مِن قِصة عيسى عليه السلام تخدم موضوع السورة، وهو "الثبات على العقيدة السليمة".

فهي تقوم بتثبيت الحق بداخلك ودعمه بكل الأدلة الممكنة، مع تناول الجوانب النفسية في تعامُل الأفراد والجماعات مع المواقف والأحداث والإختبارات المُتنوعة التي تُمحِّصهُم.

تُفصِّل لنا السورة سياق اختلاف أهل الكتاب من بعد ماجائهم العلم، فتُريك بعض هذه الوقائع.

فتبدأ بقصّ الأحداث بِدايةً مِن نَذْر امرأة عمران ما في بطنها لله.

فتخبرك كيف بدأ هذا النسل النوراني الطاهر، بداية من امرأة عمران، مروراً بمريم العذراء، وانتهاءً بعيسى النبي الرسول، الذي قال عنه الله أنه وجيهاً من المُقرّبين.. وهي مرتبة ينالها الصفوة من عباده.

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) – آل عمران

ثم تذكر الآيات أن الله يُعَلِّمهُ الكتاب والحِكمَة والتوراة والإنجيل، ثُم يُرسِلهُ إلى بني إسرائيل.

إلى جانب العِلم، هو أيضاً مُؤيَّد ببعض القوى الخارقة، كالقدرة على الخَلْق، وإبراء الأكمه، وإحياء الموتى بإذن ربه.

وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (49) – آل عمران

هنا نلاحظ أيضاً شيء جميل ومُعجِب بخصوص فكرة علاقة السور بالمضمون.

تَكلّمنا سابقاً عن موضوع سورة مريم، وهُو رحمة أو هبة الله لبعض عباده المُصطفين، وكان من بينهم مريم عليها السلام.

وعندما جاء ذِكر عيسى عليه السلام في سورة مريم، تم التركيز على صفاته الأخلاقية،

وهي بِره بوالدته، وصلاته، وغيرها من الصفات الزكية.

جاء هذا ليخدم موضوع السورة كما يلي:

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) – مريم

بينما تناولت سورة آل عمران جانب آخَر حين تحدثت عن عيسى عليه السلام.

فتناولت قُدُراته الخارقة، وتأييده بالمعجزات والأمور غير العادية كما جاء فالآيات بالأعلى.

لنعود لسورة آل عمران..

بما أنَّ موضوع السورة هو الثّبات. تُخبرنا الآيات أنّ عيسى عليه السلام أحسّ بشيء ما تجاه قومه..

يبدو أنَّ الكَهَنة الملاعين لم يُعجبِهُم سبيل عيسى عليه السلام لِتعارُضِه مع مصالحهم وأهوائهم وأرادوا أو خططوا لقتله كعادتهم، فهم قتلة الأنبياء.

وهُنا يستنصر عيسى قومه.. كأن يكون قال: مَنْ أعواني على المُكذِّبينَ بِحُجّةِ الله؟

فيجيبه الحواريون أنهم أنصار الله ويُشهِدونه بأنهم مُسلِمون.

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) – آل عمران

ينتقل المشهد ليُرينا دُعاء الحواريين لربهم:

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53) – آل عمران

ثم تسترسل الآيات فتتحدث عن التخطيط للتخلص من عيسى عليه السلام، وتخبرك أنّ خطة الله دائماً أسرع وأسبق من خُطة أي بشريٍ على هذه الأرض.. "قل الله أسرع مكرا" .

وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ (56) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57) – آل عمران

ثم يظهر الإلتفات من جديد، فيتوجه الحديث إلى الرسول عليه الصلاة والسلام.

ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (58) – آل عمران

ثُم يخبرنا الله تعالى بأمر مُهم..

أنه مع كل هذه القدرات والإمكانات غير العادية التي تميز بها عيسى عليه السلام، من قدرته على الخلق وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والتنبؤ ببعض الأمور وغيرها..

فإن مَثله عند الله كمَثلِ آدم.

إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ 59 – آل عمران

-لكن إلامَ تُشير هذه العبارة؟ "مثله عند الله كمثل آدم"

=يُمثِّل آدم الإنسان المؤمن بقُدرات بدائية. ويُمثِّل عيسى عليه السلام الإنسان المؤمن بأعلى درجات التطور، وهي امتلاكه قدراتٍ خارقة، بتأييده بروح القُدُس.

تُشير الآية أنَّ الله تعالى لا يَعتَبِر خَلْق إنسان كعيسى عليه السلام بكُل قُدُراته الخارقة هذه أمراً مُعقَّداً!.

خَلْق عيسى عِند الله كَخَلقِ آدم.

فالله تعالى يخلق مايُريد، أياً كان هذا الخلق.. صغيراً أم عملاقاً، بسيطاً أم مُعقداً..

هُو يخلُق من العَدَم ويقول للشيء كُن، فيكون.

حسناً.. هذا جيد!

هيا ننتقل لفكرة صغيرة نختم بها هذا الفاصل..

الإختصار والتفصيل

سنُعطي مثال عن ظاهرة اختصار القصص في مواضع أو في سور، ثم تفصيلها في مواضع أو سور أخرى.

لاحظنا في سورة البقرة ذِكر مُلك داوود عليه السلام بشكل مُختصَر عِند الحديث عن مُواجهة لوط وجُنُوده لجالوت.

فذكرت الآيات مايلي:

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ – البقرة

يخبرنا القرءان أنّ داوود قَتَلَ جالوت.

ويبدو أنّ داوود كان جندياً شجاعاً مِقداماً، لأنّ جالوت كان قوياً وقائداً لجيشه. فقتله ليس أمراً سهلاً.

ثم تخبر الآية أنّ الله قد آتاه المُلك، وعلمه مما يشاء، دون الخوض في تفاصيل حول ماهية هذا المُلك أو هذا العلم!.

بينما نجد في مواضع أخرى من القرءان يجري تفصيل هذا المُلك وهذا العِلم.

ففي سورتي سبأ والأنبياء، يعطيك الله بعض تفاصيل هذا المُلك.

فيخبرك عن تسبيح الجبال معه والطير، ويُخبرك عن الزبور وعن بعض العلوم التي تَعَلّمها داوود مثل بعض الصناعات وغيرها.

مايلي آيات من سورة سبأ تُظهِر تفاعل الطبيعة مع تسابيح داوود، وتهيئة المعادن له كي يستثمرها..

وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (11) - سبأ

ثم في سورة الأنبياء يذكُر ذات الأمر مع توضيح أدق للآية "يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ" فيتضح لنا أنّ أوِّبي تعني "سبِّحِي" أو رددي معه كمايلي..

وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ (80)

وهكذا..

عندما وضعنا تلك الآيات المتشابهه بجانب بعضها وجدنا أنها تُكمِل بعضعها، وليست مُجرّد تكرار.

حسناً.. انتهينا من الفاصل.

والذي كان عبارة عن تمرين تَدبُّر للآيات.

هيا نستكمل الحديث عن الأسرار القرءانية..

قُدُرات استثنائية

تكلمت بعض الآيات عن إتيان بعض الجماعات أو الأفراد المُلك، وظهر أنها تعني أو تُشير إلى وهْب تلك الجماعة أو الأشخاص بعض المعجزات أو القدرات الإستثنائية كما أشار سياق الآيات.

نجد في سورة المائدة، موسى عليه السلام يُذكِّر قومه بِنعَم الله عليهم، ومِنها نِعمَة جَعْلِهِم مُلوكاً.

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (20) - المائدة

-لكن مهلاً.. كيف نفهم أن "ملوكاً" في هذه الآية لا تعني المُلك والجاه والسلطة وغير ذلك؟

=لأنه لايُعقل أن يكونوا كلهم ملوكاً، فلن تستقيم الحياة دون أن يكون الناس درجات بعضهم فوق بعض.

يتضح الأمر أكثر عندما ذكرت الآيات قولهم لنبيٍّ لهم "ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيله".

وذلك من بعد موسى عليه السلام.

فمع وجود نبي بينهم، إلا أنه يبدو أنهم كانو مُفتقدين لشيءٍ آخَر، واحتاجوا لهذا المَلِك أن يُعيده أو يُعيد جزءاً منه.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246) – البقرة

وكالعادة، لم يُعجِبُهم اصطفاء واختيار السماء لهذا الرجُل الذي طلبوا ظهوره بينهم، فقط لأنه لم يكن غنياً من أصحاب الثروة والمال!..

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247) – البقرة

يأتي الرّد أنه تم اصطفاؤه عليهم، وتمّ تزويده بأدوات هذا المُلك، وهُما بسطةً فالعِلم والجِسم. فهذا ما تحتاجونه الآن!.

لكن يبدو أنّهم كانوا يتوقّعون أنه إلى جانب قواه الإستثنائية التي ستُعينهم في قِتال عدوهم،

أنه سيكون رجُلاً ذا مالٍ وجاه كذلك.

وكأنهم يتخيلون المَلِك الذي يُريدونه، ثُم يطلبون من السماء إخراجه إليهم مُطابِقاً لِما تَخيَّلوه!.

تكرَّر هذا الإعتراض أيضاً من كُفار قُريش، حين قالوا لماذا لا يتنزل هذا القرءان على رجُلٍ صاحب سُلطة ومال.

وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (31) – الزخرف

فيأتي الرد عليهم:

أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ! – الزخرف
نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا – الزخرف

من تظنون أنفسكم كي تُقرِّروا اختيار على من تتنزل هبة الله ورحمته؟
هل تملكون هذا الأمر لأنفسكم من الأساس؟

حسناً.. لنعود.

يتجلى معنى المُلك أيضاً في طلب سُليمان عليه السلام، عندما طلب من ربه مُلكاً فريداً لايكون لأحد من بعده.

فوهبه الله ملكاً على الشياطين. وسخر له السحاب تحمله هو وجنوده.وعلَّمَهُ لُغة العديد من الكائنات الحية.

والأمر المشترك بين هذه الهبات، أنها قوى وقُدُرات استثنائية انفرد بها سُليمان عليه السلام.

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38) هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39) – ص

رسولٌ كريم

ستجد من بين جميع الرُسُل الذين تم ذكرُهم فالقرءان الكريم، أنّ موسى عليه السلام هو الرسول الوحيد الذي كلمه الله بنفسه دون وسطاء.

وهو الوحيد الذي أُطلِقَ عليه لقب "رسولٌ كريم"

أيّ أنه مُمَيّز وفريد، مِثلَما نُطلِق على بعض الأحجار أنها أحجار كريمة.

هذه بعض المواضع التي تُظهِر كلام الله تعالى له بشكلٍ مُباشر دون وسطاء

إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري – طه

وفي سورة القصص

فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (30) – القصص

وفي سورة النمل

فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (8) يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (9) – النمل

-لكن مهلاً..

تقول أنّ موسى عليه السلام هو فقط المتصف بالرسول الكريم فالقرءان، لكني أجد نفس الوصف في سورة التكوير.

ولا أرى أنه ينطبق على موسى عليه السلام!.

تأمّل الآية:

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (22) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (23) – التكوير

=نعم هذا سليم،

هُنا يظهر رسولٌ كريمٌ جديد!.. لكن يبدو أنه ليس من بني البَشَر.

بالتالي يبقى موسى عليه السلام، البشري الوحيد الذي كلمه الله تعالى.

-إذاً من هو المقصود في تلك الآية في سورة التكوير؟

=نُلاحظ أنّ آيات سورة التكوير وصفت هذا الرسول الكريم بصفات أكبر من أن يتصف بها بشر.

فذَكَرَت أنهُ قويٌّ عند ذي العرش، وذي العرش هو الله جلّ جلاله. ومعلومٌ أنَّ جبريل يتلقى الأوامر مُباشرةً من الله تعالى ثُمَّ يقوم بتنفيذها مما يتطلَّب قوة عظيمة، وسُلطان على أهل السماء من الملائكة وغيرهم.

ذكرت كذلك أنه مُطاع في عالم الملائكة. بعنى أنه له سُلطة ومنصب كبير بينهم.

ولكي ينفي الشك عن احتمالية أن يكون المقصود بالآية، الرسول مُحمّد عليه الصلاة والسلام، انتقل للحديث عن رسولنا الحبيب عليه الصلاة والسلام بعدها مباشرةً، فقال:

"وما صاحبكم بمجنون" – التكوير

ثم ينتقل ليُخبرنا أن رسولنا الحبيب عليه الصلاة والسلام قد رآه بالأفق المبين. أيّ أنه رآى هذا الرسول الكريم بالأُفُق المُبين.

وهُنا نتمكن من استنتاج المقصود بالرسول الكريم في هذه السورة، وهو "جبريل عليه السلام".
لأنّ جبريل عليه السلام هو المَلَك الذي رآه الرسول عليه الصلاة والسلام وقد سدَّ جَناحُه الأُفُق.

ذَكَرَت الأحاديث النبوية بعض مظاهر عظمة خلق جبريل عليه السلام، بأنَّ له ستمئة جناح،
وأنّ جناحه قد سدّ الأُفُق كما وصفه الرسول عليه الصلاة والسلام ليلة المِعراج،
وهكذا نستنتج أن المقصود بالرؤية هُنا هو جبريل الكريم.

لاحظ أيضاً ذِكر نفس الصفة "القوة" لجبريل الكريم، وذِكر رؤية الرسول عليه الصلاة والسلام له في سورة النجم كذلك.
وهذا يُعزز استنتاج آيات سورة التكوير.

"علمه شديد القوى" – النجم

وهي أيضاً تصف جبريل الكريم، وهو ناقل الوحي ومُعلِّم الرسول عليه الصلاة والسلام كما جاء فالأحاديث في غار حِراء وغيرها.

ثُمَّ يتحدث عن رُؤية النبي له أيضاً في نفس السورة..

"ولقد رآهُ نزلةً أخرى" – النجم

ويبدو أن جبريل وميكال عليهما السلام لهُما مكانة رفيعة بين الملائكة فقد تمّ ذِكرُهُم بالإسم في سورة البقرة.

مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨) – البقرة

هذا مُمتاز!

–لكن لحظة قبل أن تختِم فقرتك.. هُناكَ رسولٌ كريمٌ ثالث يظهر في سورة الحاقَّة..

يبدو أنّ الأمر بحاجة لمزيد من التوضيح، لأنّ الآيات تتكلم عن الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام!

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ– الحاقَّة

حسناً.. سنُفصِّل هذه الآية في الباب الثالث بإذن الله. تحديداً في فقرة "وتُعزِّروه وتُوقِّروه"

يُمكِنُك الإنتقال إليها إن أردت..

هيا ننتقل إلى ظاهرة جديدة وهي تنوع الخطاب فالقرءان..

تنوع الخطاب

القرءان الكريم مليء بالمواضع التي يتنوع فيها ضمير المُتكلم وأنواع المُخاطَبين.

هذا أسلوب يعمل على إبقاء القارئ أو المُستمِع في حالة انجذاب وانتباه مستمرّين.

تكلمنا سابقاً عن أساليب القرءان التي اتبعها في سرد القصص. كاستخدام أسلوب التفصيل والإجمال، وأسلوب تقسيم الأحداث أو المشاهد على مجموعة من السور بدلاً من جَعْلِها كُلها في مكانٍ واحد.

تلخيص القصص كالتي نراها في جُزء عَمّ. والتفصيل جاء في مَواضِع أُخرى كتِلك التي في سورة القَصص.

نُلاحظ كذلك توزيع أحداث القصة الواحدة على عدة سُوَرْ.

لِتجد أنكَ بحاجة للمرور على هذه السور جميعها لتتمكن من ربط أحداث تلك القصة ببعضها ورؤية الصورة الكاملة.

-ولماذا يقوم بتوزيع أحداث القصة على أكثر من سورة؟

=هُناك أكثر من سبب..

منها أنّ تلك الأحداث أو المشاهد تتفق مع موضوعات وعناوين تلك السُوَرْ. فكان الأفضل توزيعها لتعزيز موضوع هذه السُور.

سبب آخر أنه يُعزِّز مَهارة التدبُر والإنتباه لديك. عن طريق الجهد المبذول منك لتربط هذه الأحداث ببعضها وتملئ الفجوات.

حسناً.. لنعود إلى تنوع الضمائر المُتكلِّمة فالقرءان..

مثلاً.. نجد بعض الآيات تبدأ بحرف الجر "قل" وهي موجهة للنبي الحبيب عليه الصلاة والسلام. فتُساعدك هذه الآيات للإقتراب أكثر من سيرة النبي الحبيب، والتعرُّف على المواقف التي مرّ بها في دعوته.

نجد في سورة الكهف، تحديداً في قصة العبد الصالح مع موسى عليه السلام، تَنَوُّع في استخدام الضمائر، فتارةً يقول "فأرادَ ربُك" وتارةً أخرى "فأردنا"،
كما أنه قد نسب لنفسه أحد القرارات "فأردت أن أعيبها".

تتحدث إليك الملائكة بنفسها في سورة الصافات فتقول:

"وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون"

وتتحدث الملائكة أيضاً في سورة مريم فتقول

"وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا"

ونقصد هُنا أنها تتحدث بنفسها بشكلٍ مُباشر، وليس قولاً منقولاً عنهم.

-حسناً.. هذا جيد.

هل لديك مثال أكثر عُمقاً؟

=نعم.. لدينا..

رأينا ذلك في مطلع سورة الشورى.

تعال نُلقِ نظرة عليها..

اقرأ مايلي جيداً..

حمٓ (1) عٓسٓقٓ (2) كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبلِكَ ٱللَّهُ ٱلعَزِيزُ ٱلحَكِيمُ (3) لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلأَرضِ وَهُوَ ٱلعَلِيُّ ٱلعَظِيمُ (4) تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرنَ مِن فَوقِهِنَّ وَٱلمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمدِ رَبِّهِم وَيَستَغفِرُونَ لِمَن فِي ٱلأَرضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (5) وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَولِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيهِم وَمَآ أَنتَ عَلَيهِم بِوَكِيل (6) وَكَذَٰلِكَ أَوحَينَآ إِلَيكَ قُرءَانًا عَرَبِيّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلقُرَىٰ وَمَن حَولَهَا وَتُنذِرَ يَومَ ٱلجَمعِ لَا رَيبَ فِيهِ فَرِيق فِي ٱلجَنَّةِ وَفَرِيق فِي ٱلسَّعِيرِ (7)

وَلَو شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُم أُمَّة وَٰحِدَة وَلَٰكِن يُدخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّ وَلَا نَصِيرٍ (8) أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَولِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلوَلِيُّ وَهُوَ يُحيِ ٱلمَوتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيء قَدِير (9)

إلى هنا تبدو الأمور واضحة.

المُتكلِّم يُحدثنا عن عظمة الله تعالى وقدرته.

ثُم يأتي موضع يُوضح ماهية المُتكلِّم بالأعلى، فيبدأ بالإشارة إلى الله ربه مستخدماً الضمير "ذلكم الله ربي" وهو للإشارة للبعيد.

ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (10) – الشورى

ويُستبعَد أن يكون المتحدث هنا هو الرسول عليه الصلاة والسلام، لأنه تتم مخاطبته في نفس الآيات

"وَكَذَٰلِكَ أَوحَينَآ إِلَيكَ قُرءَانًا عَرَبِيّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلقُرَىٰ وَمَن حَولَهَا"

لنُكمِل..

وَمَا ٱختَلَفتُم فِيهِ مِن شَيء فَحُكمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيهِ تَوَكَّلتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ (10) فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّن أَنفُسِكُم أَزوَٰجا وَمِنَ ٱلأَنعَٰمِ أَزوَٰجا يَذرَؤُكُم فِيهِۚ لَيسَ كَمِثلِهِۦ شَيءۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلبَصِيرُ (11) لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِۖ يَبسُطُ ٱلرِّزقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيم (12) – الشورى

ثُمَّ نلاحظ في الآية التالية أنه يوجه الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام:

شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحا وَٱلَّذِيٓ أَوحَينَآ إِلَيكَ - الشورى

هذا يعني أن المتحدث فيما سبق لم يكن الرسول عليه الصلاة والسلام، وفي نفس الوقت هو يُشير إلى الله تعالى بقوله "ذلكم الله ربي"، بعد أن تكلَّم عن مظاهر عظمة الله وقدرته في مطلع السورة.

لنكمل..

شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحا وَٱلَّذِيٓ أَوحَينَآ إِلَيكَ وَمَا وَصَّينَا بِهِۦٓ إِبرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَن أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلمُشرِكِينَ مَا تَدعُوهُم إِلَيهِۚ ٱللَّهُ يَجتَبِيٓ إِلَيهِ مَن يَشَآءُ وَيَهدِيٓ إِلَيهِ مَن يُنِيبُ (13) وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِن بَعدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلعِلمُ بَغيَا بَينَهُمۚ وَلَولَا كَلِمَة سَبَقَت مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَل مُّسَمّى لَّقُضِيَ بَينَهُمۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلكِتَٰبَ مِن بَعدِهِم لَفِي شَكّ مِّنهُ مُرِيب (14) – الشورى

نلاحظ أنَّ الآيات ستبدأ بتوجيه عدة أوامر للرسول عليه الصلاة والسلام تبدأ ب "فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُ وَٱسۡتَقِم".

ستجد آيات عديدة تبدأ ب "قل" وهي للإشارة أنها أمر للرسول عليه الصلاة والسلام بأن يقول أو ينقل أمر ما..

فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ (15) - الشورى

سنقوم فالباب الثالث بتناول بعض الآيات التي تبدأ ب "قل" لنتعرف أكثر على المواقف والأحوال التي مر بها الرسول عليه الصلاة والسلام مع قومه وأصحابه وأهله والناس.
مما ييجعلنا نُدرِك حجم المسؤوليات التي كانت مُلقاة على الرسول عليه الصلاة والسلام وكيف كان يتعامل معها، وتُظهِر كذلك حقيقة أخلاقه الرفيعة وكرمه ورفعة شأنه.

ثم تنتهي السورة بالحديث عن الطُرُق التي يُكلِّم الله بها عِباده من البشر "الوحي"

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ (51) - الشورى

نُكمِل:

وَكَذَٰلِكَ أَوحَينَآ إِلَيكَ رُوحا مِّن أَمرِنَا – الشورى

فأساليب الوحي المذكورة فالآيات، وهي الكلام من وراء حجاب، أو الوحي، أو إرسال رسول.
استخدمنا بعضها أو كلها معك يا رسول الله، "وَكَذَٰلِكَ أَوحَينَآ إِلَيكَ"
ويبدو واضحاً أنَّ القرءان الكريم هو المقصود بالروح في تلك الآية، "رُوحا مِّن أَمرِنَا"

ثُم تم تشبيه هذا الروح أو القرءان بالنور الذي يهدي الناس ويُنير لهم طريقهم.
وأنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام هو الناقل لهذا النور إلى الناس كافة.
فتأمَّل كيف هيَ مكانة هذا النبي العظيم!

هيا نقرأ الآيات من جديد..

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53)

صدق الله العظيم..

حسناً..

سننتقل الآن لآخر فقرة نختِم بها هذا الباب.

هيا بِنا..

الرمزية والإنجيل

المتأمل في أقوال عيسى عليه السلام والمواعظ أو الدروس التي كان يُعلمها للحواريين، يجد أنّ الخطاب يغلب عليه الرمزية والإسقاطات أوالإستعارات. وهو ما يعكس طبيعة عيسى عليه السلام. كانَ عيسى عليه السلام وجيهاً، يعلوه الوقار، والعمق، والهيبة..

منبعاً للحِكمة، حاضِرَ الحُجَّة،

قويَّ البَيان، مُتواضعاً، هادئاً، زكيَّاً

يُحب الخير للناس ويسعى في حوائجهم.

سنقوم بسرد بعض المواقف التي نُقلت عنه مع التحليل والإسقاط..

سنبدأ بأمثلة بسيطة ثم نتدرج للأكثر عُمقاً..

٭ بُؤْسًا لأَزْوَاجِك الْبَاقِينَ

يُقال أنَّ عِيسى (عليه السلام) كان ماشيًا فنظر، فإذا امرأة عَجُوز هَتْمَاء "ليس لها أسنان" عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ، فهمَّ يغطي وجهه عنها.

فقالت: اكشف عن وجهك، فلست بامرأة، إنما أنا الدنيا

فقال لها: ألك زوج؟

قالت: لي أزواج كثر

فقال: أكلٌ طلقك؟

قالت: بل كل قتلتُ

فقال: أحزنت على أحد منهم؟

فقالت: هم يحزنون عليَّ ولا أحزن عليهم، ويبكون علي ولا أبكي عليهم

فقال: بُؤْسًا لأَزْوَاجِك الْبَاقِينَ، كَيْفَ لا يَعْتَبِرُونَ بِالْمَاضِينَ؟ كَيْفَ تُهْلِكِينَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا وَلَا يَكُونُونَ مِنْكِ عَلَى حَذَرٍ!

التحليل:

هذا يعني أنّ الدنيا تخدع من يطلبها ومن يقع في حُبها، فيظل غارقاً فيها ولايرى الحقيقة حتى يموت ليستيقظ فجأة ليكتشف أنه كان مُغفلاً.

الإسقاط على القرءان:

نجد أيضاً وصفاً مُشابه فالقرءان، في سورة الحديد. والذي يصف الدنيا وزينتها بِدِقَّة.

عن طريق تقسيم مراحل الدنيا لعدة مستويات. ثُم بتناول كل مستوىً منها على حدة.

اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ
– الحديد

- تبدأ الآية بالحديث عن سن ماقبل الشباب، فتصفه بوقت اللعب واللهو في عُرف الدنيا.

"لَعِبٌ وَلَهْوٌ"

- ثم تنتقل لسن الشباب حيث الإهتمام بالمظهر ولفت الأنظار والسعي للإستقلال أو الحصول على مصدر رزق، والتي تجسَّدت فالزينة.

" وَزِينَةٌ"

- ثم ينتقل بك لسن الثلاثينات تقريباً، وهو سِن تحقيق الذات، والذي يتمكّن فيه أغلب الناس من إتمام درجات الدراسات العُليا أو الشهادات الوظيفية والفنية التي يُعلقونها في منازلهم ومكاتبهم ويُفاخِرون بها، أو بخبراتهم الوظيفية المُتقدِّمة، أو الأهداف الحياتية الأخرى.

"وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُم"

- ثم تنتقل لسن الأربعين والخمسين، والذي غالباً مايحدث فيه تكاثر للأموال وزيادتها.

يتزامن مع هذه المرحلة، نُضج الأبناء ووصولهم لسن المراهقة أو التعليم الجامعي.

فتصف الآية هذه المرحلة أيضاً..

"وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ"

ثُم تختصر لك الآية كل هذه المراحل بتشبيهها لك بالنبات الذي ينبُت بعد هطول الأمطار على التُربة.

فيبدأ بالنمو، ثُم يخضَرّ لونه.

ثم يُزهر ويُصبح جميلاً حيوياً.

ثم يبدأ بالإصفرار والضعف.

ثم فالنهاية يَجِف تماماً ويتحول إلى حُطام.

"كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا"

لاحظ أنّ لفظة "الكُفار" هُنا تعني الزُرّاع. فالمُزارع يَبْذُر الحُبوب فالأرض، فيغمسها داخل الأرض، فتُغطيها التربة.

والكافر كذلك، هو الذي رأى الحق، فقامَ بتغطيته، أو كتمانه وعدم إظهاره.

فالكافر قام بتغطية الحقيقة بالكذب والتدليس والمُخادعة، والمزارع قام بتغطية البذور بالتربة.

نأخذ مثال آخر..

*** ليس بالخبز وحده**

في الإصحاح الرابع من إنجيل لوقا ما نصه:

[1] أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئا من الروح القدس وكان يقتاد بالروح في البرية

[2] أربعين يوما يجرب من إبليس ، ولم يأكل شيئا في تلك الأيام ولما تمت جاع أخيرا

[3] وقال له إبليس إن كنت ابن الله فقل لهذا الحجر أن يصير خبزا

[4] فأجابه يسوع قائلا: مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ الله

التحليل:

هُنا يحاول إبليس وضع الشك بإيمان عيسى عليه السلام، فيقول له، أنت الآن جائع بعد انقضاء الأربعين يوماً.

وأنت فالصحراء، لِم لا تطلب من ربك أن يُحوّل لك هذا الحجر إلى خُبز فتأكل!.

إن كان الله يحبك، أتراه لا يُحوِّله لك، ويترُكك جائعاً؟

فيقطع عيسى عليه السلام عليه هذه الحيلة، ويجيبه بأنه لا يُعلق محبة الله له على تلبية رغبات دنيوية كتوفير طعام أو شراب، أو شفاء من مرض. حتى إذا ما لم تتحقق، نبدأ بالشك في محبة الله لنا أو بالظن السيء واليأس من روح الله. وهذا غاية ما يُريده إبليس، وهو إيصال ابن آدم لحالة الجحود والتجديف، واليأس من رحمت الله.

الإسقاط على القرءان:

نرى أمثلة فالقرءان أيضاً تصف ذات المعنى..

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (11) – الحج

مايلي مثال آخر يوضح أهمية الأساس الذي تؤسس عليه بنيانك.

أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (109) – التوبة

يُمكننا تشبيه الأساس بالعقيدة أو البوصلة السليمة التي تُعزز تقوى الله. وتشبيه البُنيان بالأفعال والسلوك تجاه الأقدار والمواقف التي نتعرَّض لها.

فإن كان الأساس ضعيفاً أو فاسداً، لن يكون مؤهلاً لِدعم البُنيان الذي فوقهُ.

فتأتيك الإبتلاءات والمواقف لتُجبرك على التصرف تجاهها. وبما أنّ العقيدة هشَّة وضعيفة، فلا تقوى على الثبات أمام الإمتحانات فتتصرف وفق أهوائك وتخسر آخرتك.

وهذا ما حَدَثَ مع إبليس حين تَعَرَّض للإختبار وفشل فيه.

ولهذا يُنبهك القرءان لأهمية الأساس. فينصحك ألا تتسرع وتتصدر المشهد دون تأهيل جيد، بأساسٍ سليم.

فَمَن يتصَدَّر يكون أَكثَر عُرضةً للتيارات، والتي تجرفهُ بسهولة إذا لم يكن ثابتاً قوياً.

*** جُعِل السبت للإنسان.. ولم يُجعَل الإنسان للسبت**

بينما كان عيسى عليه السلام يسير في طريقه يوم السبت، لزيارة ما. إذا به يُصادف رجلاً مُقعد على سرير من خشب.

فنظر إليه عيسى عليه السلام، وحركت حالته الرحمة والرأفة في قلبه. فدعا له عيسى ولمسهُ، وقال له، قم يارجُل واحمل سريرك. فقام الرجل وحمل سريره على ظهره وانطلق!.

فتعجب الناس واندهشوا.

وَصَلَ الخبر إلى الكهنة الملاعين، وقد كانوا يكرهون عيسى عليه السلام بسبب قوة حُجّته وتجرُّده الذي كان يفضحهم دائماً.

فقالوا إنه أثيم يخرق الناموس ويعمل فالسّبت.

وجاؤوا إليه يجادلونه.. كيف تعمل فالسّبت!.

فيرد عليهم عيسى عليه السلام ويقول لهم:

إن رب الأيام كلها، هو رب السبت أيضاً

لقد جُعِل السبت للإنسان.. ولم يُجعَل الإنسان للسبت.

لو تردّى خروفٌ لأحدكم في حُفرة يوم السبت.. أما كان ينتشله؟

فأيهم أعظمُ بِراً؟.. إنتشالُ خروف أو انتشال مُقعّدٍ من مرضٍ!

وهكذا.. فكان عيسى عليه السلام قوياً في استخدام التشبيهات وضرب الأمثال والإسقاطات.

✱ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ دِيكٌ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ

اختلفت القصص التي تروي دقة الأحداث التي سبقت رحيل عيسى عليه السلام عن عالمنا.

سنقوم باختيار أحد تلك الروايات..

يُقال أن عيسى عليه السلام كان يجلس بين تلاميذه، وكان يعلم بمكيدة اليهود به وأنهم يبحثون عنه لتقديمه للمُحاكمة.

قال عيسى عليه السلام لتلاميذه:

"كلكم تَشُكُّون فيَّ في هذه الليلة"

المهم..

كان من بين تلاميذه "بطرس"، والذي حَرّكَتْهُ العاطِفة والحماسة. فقال لعيسى:

"وَإِنْ شَكَّ فِيكَ الجَمِيعُ فَأَنَا لاَ أَشُكُّ أَبَدًا"

فقال له عيسى عليه السلام:

إِنَّكَ فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ دِيكٌ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ

وبعد أخذ شَبيه عيسى عليه السلام إلى بيت حَنّان، صِهر قَيافا.. وقيافا هو رئيس كَهَنة اليهود آنذاك.
فجاء بُطرُس وحاوَلَ الدخول ليُشاهد المُحاكمة.

-فقال له أحد الجنود:
ألست أنت أيضاً أحد تلامذته؟

=فقال: لا، لا.. لا أعرفه.. وذهبَ بعيداً.

ثم حاوَلَ أن يدخل مرةً أخرى..
-فقالت له امرأة تقف على الباب: أنتَ من تلامذته؟.

=فقال: لا لا.. لا أعرفه. ثم تَرَكَها.

ثُم في بيت قَيافا، حيثُ المُحاكمة السريعة. استطاع أن يدخُل.
فرآه جُنديّ، وقال لهُ:
ألستَ من تلامذته؟

=فقال: لا، لا.. لست أنا. لا أعرفهُ. ثُم خرج.

ولما صاح الديك عند الفجر.. قعد يبكي، وتذكر قول المسيح..

"لايصيح الديك هذه الليلة حتى تُنكرني ثلاث مرات".

*** رسالة القرءان إلى النصارى**

ها قد وصلنا لآخِر وأهمْ جُزئية في هذه الفَقرَة..

والتي نُحاول فيها إظهار طبيعة خطاب المسيح عيسى عليه السلام واستخدامه للرموز والتشبيهات التي تحمل إسقاطات أخرى في أغلب الأحوال.

فليس كل ماتقرأه يُفَسّرْ بِظاهِرِه.

المُهم..

نجد مثال في سورة الفتح، يصف أصحاب رسول الله مُحمد عليه الصلاة والسلام فالتوراة.

فيقول عنهم:

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ – الفتح

كما نرى، جاء الوصف واضحاً لسِماتِهِم بأنهم رُكعاً سُجداً، ترى أثر تقواهم لربهم في وجوههم.

الوصف يبدو واضحاً لايحتاج لشرح.

تُكمِل الأية الوَصْف، لكن فالإنجيل هذه المرة.

فتقول:

<u>وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ</u> فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ – الفتح

-والآن مارأيك؟

هل لاحظت أنت أيضاً ما لاحظناه؟

=نعم..

جاء وصفهم بشكل واضح ومُباشر فالتوراة "رُكعاً سُجّداً"

بينما جاء وصفهم فالإنجيل بالزرع الذي يُخرِج شطأه. أيْ أنه قام بتشبيههم بالزرع.

فقال أنهم كالزرع الذي ينمو على الأرض، ثُم يتكاثر عَرضياً ويبدأ بالإنتشار أكثر فأكثر مع الوقت.

وفيه إشارة أنّ أتباع النبي مُحمد عليه الصلاة والسلام يكونون قِلّة في بادئ الأمر، ثُم يدخل فالإسلام الجماعة بعدهم، ثم الجماعة بعد الجماعة، حتى يَكثُر عَدَدُهم. تماماً كما يحدث في أصل الزرع، ثم يتكاثر مِنهُ، حتى يكثُر وينمو.

-هل تساءلت.. لماذا جاء الوصف بهذا الشكل عندما حَضَرَ الإنجيل؟ "ومَثَلُهم فالإنجيل.."

=لا.. حبذا لو اختصرت.. إلامَ ترمي؟

-أقصد أنّ القرءان يعطي رسالة بشكل ما للنصارى،

يُخبرهم بألا يذهبوا للمعنى المباشر للألفاظ التي يقرؤنها فالإنجيل.

فعندما يقرؤون: عيسى ابن الله.. فلايُفترض أنها تعني أنه ابنه الناتج عن الإتحاد.

بل تم استخدامها كرمز لعلاقته بربه. فكلنا أبناء الله على أي حال.

لكن لايعني هذا أننا أتينا من علاقة اتحاد بأي شكل من الله، سبحانه وتعالى عما يصفون.

-لكن وِفْقَ عقيدتهم.. لابد من وجود اتحاد بشكلٍ ما!.. كيف يُمكن أن يكون هذا الإتحاد؟

=حسناً.. لنفترض وجود علاقة اتحاد.. كي نُسهّل على أنفُسنا إقناع من تَجَذَّرت به عقيدة الإتحاد.

إن أردنا تحليل فلسفة الإتحاد وفق ما نفهمهُ من نصوص الكتاب المُقدّس.. ربما نستنتج مايلي:
"عيسى" عليه السلام، هو الإسم الذي يُطلق على الصفة البشرية مِنه.
و لَقَب "المسيح"، يُطلق عند حلول روح القدس فيه. والتي عند حلولها، تَتِم على يديه المُعجزات التي تكلّمنا عنها سابقاً.
فإن كان هُناك ثِمة اتحاد، فرُبما هو اتحاد الصفة البشرية "عيسى"، مع الصفة الروحية "روح القُدُس"، فيكون الناتج "المسيح" وهي حالة الإتحاد التي كانت في أوقات تَجَلِّي المُعجزات. وجدنا مايُشير لذلك فالقرءان أيضاً..

يُمكنُك عمل بحث سريع على Google عن الآيات التي ذُكِرَ فيها "المسيح" مُنفرداً أو مُقترناً ب عيسى، وستجد أنها ركزت على مُلابسات تأليه عيسى عليه السلام، وكما نعلم أنّ فتنة التأليه مُتعلّقة بالمُعجزات التي أيده الله بها.
فتجد المُعجزات كذلك مذكورة في نفس الآيات المتعلقة بالمسيح.

بينما الآيات التي وردت فيها كلمة "عيسى" فقط دون اقترانها بالمسيح، كانت تُركِّز على عِلمِه بالكتاب وإتيانه الحِكمة والبيِّنات، والبشارة بالنبيّ مُحمد عليه الصلاة والسلام من بعده.

لنعطي أمثلة من القرءان عن آيات المسيح:

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (47) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ

أمثلة أخرى للمسيح ومُلابسات تأليهه:

هُنا يُصحِّح العقيدة بأنّ المسيح لا تربطه علاقة اتحاد بالله، سبحانه عما يصفون.

لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ – النساء

هُنا يؤكد كُفر من ابتدعوا ألوهية المسيح وروجوا لها، ويأمر الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام بالرد على هذا القول:

لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ **قُلْ** فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ – المائدة

هُنا ينفي أي علاقة سوى أنه رسول الله، ويؤكد لهم أنه إنسان مثلهم، والدليل أنه كان يأكل الطعام!..

فلو كان إلهً لما احتاج للطعام.

مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ – المائدة

كما شاهدنا..

كل ماسبق يؤكد أنّ الضلع الثالث "الآب"، الُمكوّن لمثلث الأقانيم، علاقته بالمسيح ليست علاقة اتحاد.

وأنَّ كُلاً من عيسى والروح القُدُس، هُم من خَلق الله، بالتالي هُم عِباد لله.

اللَّبْس الذي وقع فيه الكثيرين، أنهم ظنّوا أنها علاقة اتحاد ثُلاثية، بإضافة الآب إليهم.

أو بتأليه المسيح. وكِلا المعتقدين باطل. ولهذا جائت آيات القرءان شديدة وواضحة وكاشفة لحل وفك هذا الإشكال.

وقد أمَرَ الله عيسى عليه السلام بِذِكْر فضل الله عليه بأن أيَّده بروح القُدُس. والذي اتحد معه فالمهد، لتبدأ أول مُعجزة وهي "النُطق فالَمهد". فكان ينطق الروح القُدُس على لسان عيسى عليه السلام كما جاء في سورة مريم.

يبدأ المشهد بإشارة مريم إليه، وكأنها تلقت وحياً بهذا أو أنها تعلم بأنه سينطق..

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30)

لاحظ كيف أنه يُخبرهم وهو لازال فالمهد رضيعاً، أنَّ الله جعله نبيا!.. فهو نبيّ مِنَ الآن.

بينما تَلقَّى النُبوة إخوانه من الأنبياء وهُم في سنٍ مُتقدم بعد إتمام مجموعة من الإختبارات والتجهيزات.

لنعود لعيسى وروح القُدُس..

تأمَّل وَصْف العلاقة بين عيسى عليه السلام والروح القُدُس:

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا – المائدة

وهذا يُثبِت لنا أنَّ عيسى والروح القُدُس.. كُلٌ منهم يُؤدي دوره في هذا الوجود العظيم. الذي أوجده الله تعالى من العدم. كما أنَّ روح القُدُس ليس حِكراً لعيسى عليه السلام. فكان له دورٌ كذلك مع الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام.

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ – النحل

ونختم بهذه الآية الجامِعَة، بالِغَة الرّوعة والجلال!

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا – الإسراء

حسناً..

لقد وصلت معنا إلى نهاية هذا الباب.

والذي حاولنا خلاله خلق علاقة وطيدة بينك وبين القرءان الكريم.

لتشعُر كيف أنه كتابٌ حيْ، قادر على إحداث نقلات نوعية في حياتك وأخْذَك إلى ماهو أفضل.

نحن بانتظارك فالباب الثالث "مُقابلة الحكيم"..

لِنأخُذك في رحلة شيِّقة لِتتعَرَّف على الحكيم الأكبر.

This page is intentionally left blank



مُقابَلَة الحكيم

من يكون؟

سنتعرف في هذا الباب إلى الحكيم والمُرشِد الأكبر، الذي سيكون إلى جوارنا ونحن في رحلتنا على الأرض، يُساندنا ويُنير لنا بصيرتنا.

-من يكون هذا الحكيم؟

=إنه الرسول مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام.

-ولماذا يكون هو الحكيم الأكبر؟

=لأن الله تعالى جلّ جلاله، وهو الله رب العالمين، قد شهد له بالخُلُق العظيم، وبرحمته بالناس. الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام حريصٌ علينا، رؤوفٌ بنا. فهو الباب الذي أوصلنا إلى الله.
تأمَّل كيف يصفه الله تعالى فالقرءان:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (128) – التوبة

فلن تجد حكيماً أو مُرشداً أفضل منه ترتضيه لنفسك، وقد قال عنه الله تعالى أنه يهدي إلى صراطٍ مُستقيم.

وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53) – الشورى

فكُن مطمئناً بوقوفك خلفه، وبالتَخلُّق بأخلاقه الحميدة.

خاتم الأنبياء وسيد المُرسلين

–لماذا سيد المُرسلين؟ بم تميَّز لينال هذه المرتبة؟

=حسناً..

مع أننا نقرأ فالقرءان مايلي:

مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (43) – فُصِّلت

أيّ أنّ الرسول الحبيب عليه الصلاة والسلام لم يتم تكليفه بشيء جديد،

إن هي إلا دعوة الناس لتوحيد الله والإصلاح، تماماً مثل الذي قيل لمن قبله من الرُسُل.

إلَّا أنه لازال مُتميِّزاً عن جميع الرُسُل بشيٍ ما!

فما هو؟

ربما لأنه عليه الصلاة والسلام تَمَيَّزَ بتحقُّقِه بأعلى درجات الرُقي الأخلاقي، وضبط النفس، وتفوق الباطن على الظاهر في مُختلف الميادين. فكان زوجاً، وأباً، ومُعلماً، وقائداً، ورئيساً، ومُلهِماً، وقاضياً في آنٍ واحد.

وهذا يتطلب قدرات غير عادية. فتخيل مدى عظمة هذه الشخصية!.

كانت تَصِفُهُ السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول: كانَ خُلُقُه القرءان –عليه الصلاة والسلام–

–مهلاً.. كيف يكون خُلُقه القرءان؟

=تعني أنهُ كان مُتحقِّقاً بالفضائل والقِيَم المذكورة فالقرءان بدرجاتٍ عالية.

أيْ أنهُ قد بَلَغ في تطبيقه إياها لُمستوياتٍ عالية. فوصفهُ الله تعالى بأنه على خُلُقٍ عظيم.

فمثلاً إذا نظرت لخُلُق الصدق..

فتجدهُ في أعلى درجات الصدق والمصداقية.

وفالوفاء بالعقود والعهود..

كانَ وفياً في جميع مواثيقه، والأمثلة كثيرة من سيرته الشريفة.

فالجود والكرم..

كانَ النبي عليه الصلاة والسلام يُعطي عطاءَ من لايخش الفقر.

كانَ حليماً صبوراً رحيماً بالناس، حريصاً على مايُنجيهم وينفعهم.

وكان يهب أغلب أوقاته للناس ولشؤون الدولة وتربية القادة.

وفي نفس الوقت، يُبتلى بأنواع الإبتلاءات من فقد الأب والأم والإبن،

وتكذيب قومه له، وإخراجه من قريته التي يُحبها، وغيرها من الصعوبات التي مرَّ بها.

ورغم كل الإبتلائات والمصاعب، تَجِدهُ مُستمر في رسالته بكُل جهد، وهي إنقاذ البشرية وتحريرها من العبودية لغير الله، وإخراجها من ظلام الجهل، والإنتقال بها إلى الهُدى والرشاد.

فانظُر كيف هِيَ عظيمة تجربة هذا النبي!

الذي تَحَمّلَ كُل هذه الأحمال النفسية، وفي نفس الوقت، أدى الأمانة التي كُلِّفَ بها بجودة عالية!

واستطاع أن يُوازِن بين المسؤوليات، والقيام بالواجبات والحقوق على اختلاف مُستوياتها، مع الله ومع الناس والأهل والأبناء.

لِنُلقي نظرة على بعض جوانب تجربة هذه الشخصية الفذَّة على الأرض لنُدرِك بعض أبعادها:

لقد أسَّس النبيّ مُحمَّد عليه الصلاة والسلام دولةً مُتكاملة بعد هجرته للمدينة المُنورة، وكَتَبَ دستوراً وقوانين، ووقَّع مُعاهداتٍ ومواثيق، وأرسل الرُسُل إلى القُرى، وجهَّزَ الجيوش وقادها، ودرّبَ الرجال وعَلّمَهُم وهذَّبَ أخلاقهم.

وفي نفس الوقت، كانَ يتلقَّى الوحيَ من السماء وينقله للناس، ويُعلِّمهم القرءان وشؤون دينهم، ويحكُم بينهم في النزاعات.

ثُمَّ بالليل، وبعد يومه المليء بالأشغال والأعمال، هو لا ينام..

بل يقوم أغلب ليلهِ، يُصلي لله ويُقوِّي صلته به.

لاحِظ أنه حَقَّقَ كل هذه الإنجازات دون أن يُقدِّم تنازُلاتٍ أو مُفاوضاتٍ تُخِل بِمَبادئ رِسالته السماوية.

وهذا ما لا يَقدِر عليه السياسيون وأصحاب النفوذ. إذْ لابُدّ من تقديم بعض أشكال التنازُلات، أو تمرير بعض الأمور تحت الطاولات كي تسير مصالحهم.

تأمَّل كيف تصف الآية وضوح الشريعة المُحمَّدية وتُشدِّد عليه بألا يتَّبع أهواء قومه من زُعماء قريش أو من الأحبار والرُهبان الذين حاولوا بكل السُبُل إعاقة إتمام هذا الأمر:

ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (18) – الجاثية

ولِهذا كانت منظومة الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام، منظومةً تربويةً فذّة، قامت على الوضوح والتجرُّد المُطلق لله.

هذه المنظومة التربوية قامت بتفجير طاقات الصحابة والتابعين لدرجاتٍ استثنائية، وَوصلت بنفسياتهم وأفكارهم وسلوكاتهم لأعلى درجات الرقي الإنساني والمعرفي والخُلُقي.

وأمامنا أمثلة واضحة لُمخرجات تلك المنظومة المُتكامِلة..

كأبي بكرٍ، وعمر بن الخطاب، وعليّ، وعثمان رضي الله عنهم، وغيرهم الكثير ممن تبدلت أحوالهم بشكل عجيب عما كانوا عليه قبل تبنيهم تلك المنظومة التربوية الروحانية الوسطية التي جاء بها سيد المُرسلين عليه صلاة الله وتسليماته.

فإن كان في هذه المنظومة عوار، لما أنتجت هؤلاء الرجال والنساء الذين ضربوا أروع أمثلة الرُّقي الإنساني والعلمي والمعرفي.

الكمال الإنساني

يُخبرُنا الله تعالى فالقرءان الكريم أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام أُسوة لنا.

لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21) - الأحزاب

فيأمرنا بالسعي للتخلُّق بأخلاقه والإقتباس من نوره ما أمكن.

وجائت الأُسوة هُنا لأنَّ الأُسوة تُشير إلى الإتِّباع مع وجود الحُب تجاه من تتأسى به.

بينما لم يذكُر أنه قُدوة، لأن القدوة لايُشترط معه تواجد الحُب.

فكما يُقال.. القدوة يقنع بها عقلك، والأسوة يقنع بها عقلك، ويتعلق بها قلبك.

-حسناً.. لدي سؤال..

لماذا لايبلُغ أحدنا منزلة الرسول عليه الصلاة والسلام؟

=لأنهُ مهما بلغ العبد الصالح من مراتب عُليا، فهي بفضل مراقبته لفضائل النبيّ عليه الصلاة والسلام.

فكُل الصالحين والمخلصين من أمته إلى قيام الساعة هُم كالكواكب، يدورون في فَلَكِ الحبيب عليه صلاة الله وسلامه،

وهذا بصفته ناقل الوحي والنور الإلهي إليهم.

فإن كانت مكانة هؤلاء الصفوة من الناس عظيمة عند الله، فكيف بمكانة وأجر النبيّ مُحمَّد عليه الصلاة والسلام!.

ولنُدرك بعض جوانب شخصيته عليه الصلاة والسلام..

ننظُر في سورة النجم،

وهي تقُص علينا عروج الحبيب عليه الصلاة والسلام إلى سدرة المنتهى،

وهي أبعد نقطة استطاع أن يصل إليها بشر،

والتي كما يُقال، فوق السماء السابعة.

فتخيل كمْ الجلال والجمال الذي لايستطيع إدراكه أو تحمُّله البَصَر أو العقل!.

مَرَّ الرسول عليه الصلاة والسلام على الملائكة بأنواعها وأشكالها الجذّابة، و على الأنبياء كذلك، بينما هو في رحلته بين السماوات.

ثُم برؤيته جنّة المأوى.

وتُصوِّر لنا الآيات المشْهَد، فتُخبرنا أنهُ قد رأى بالفِعل من الآيات العظيمة، التي يَذهَل لها أي عقل بشري!

فتأسره تلك الآيات العظيمة، وينصرف تركيزه بالكُلية إليها.

لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ (18) – النجم

لكن مع كل هذا، يُخبرك الله بشيء عجيب، لتُدرك عظمة هذا النبي، وقوة نفسيته وثباتها.

فالبرغم مما رآه من مشاهد يذهل لها العقل، وبتجلي ربه لِيغشى سِدرَة المنتهى، أيّ أنهُ غمُرها بهذا التجلي العظيم، يُصور لك القرءان ثبات النبي الحبيب مع كل مارآه.

مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (17) - النجم

-لكن عفواً..

كيف يغشى سدرة المنتهى؟

=حسناً.. لنأخذ مثال بسيط.

عندما تكون فالبحر، وتنزل تحت الماء، ثم تفتح عينيك، فماذا ترى؟

-أرى البحر..

=لا..

أنت ترى الماء، ترى من حولك الماء،

لكنك لاترى البحر. لأنك لم تُحط به ولاتدرك أبعاده أوحجمه.

لقد رأيت مايمكن لعينيك أن تراه فقط وهو مَد بصرها.

وهذا ما ذَكَرَتهُ بعض الأحاديث بأنّ جبريل الكريم قد سَدَّ جَناحه الأُفُق.

فكيف ببقية الأجنحه.. وكيف بجبريل الكريم بهيئته الكاملة.

وإن كان جبريل بهذه العَظَمة والقُدرة، فكيف بالله رب العالمين!

سبحان الله العظيم.. سُبحان المَلِك القُدُّوس..

زينة الدنيا

الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام هو الأُسوة الحسنة. وهو أشرف الخلق.

وأزواجه أُمهات المؤمنين..

وهذا يتطلب منهنَّ أن يكُنَّ قُدُوات لنساء المؤمنين كذلك، لأنهنَّ أزواج الحبيب المُصطفى عليه الصلاة والسلام.

وجدنا الآيات التالية والتي توضح مرتبة أزواج النبي وكيف يُطلَب منهنَّ الزُهد في زينة الدنيا ومتاعها.

نقرأ مايلي من سورة الأحزاب:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (28) وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (29) – الأحزاب

هُنا يظهر بوضوح أنه عليه الصلاة والسلام يتلقى أمراً بأن يقول لأزواجه أنكن بزواجكن من الرسول الحبيب عليه الصلاة والسلام، أصبحتنّ في مقامٍ مُختلِفٍ عن بقية النساء.

وهُنا يخبرهم الرسول الحبيب عليه الصلاة والسلام أنهن إن كُنّ يُردْن متاع الدنيا وزينتها،

فهذا غير مُتاح لأزواج النبي. فهنّ أمهات المؤمنين وقدواتهن.

فمن الآن..

إن كنتُنّ تبحثن عن متاع الدنيا فتعاليّن أمُتعكُنّ به،

أيْ يُعطيهنّ من متاعها. كأن يعطيهم المال وغيره من أمثلة المتاع، ويُطلقهن،
ويُشير السراح الجميل هُنا إلى عدم وجود شيء في نفسه تجاههن بعد طلاقه لهن.
وذلك من باب التخفيف عليهن بألا يشعُرن بشيء في صدورهنّ إن اخترنَّ المتاع والسّراح.

وانظر كيف هي راقية نفسية هذا النبي الحبيب، بل هي في أعلى درجات الرُقي الإنساني. فمع تسريحه لأزواجه إن اخترن ذلك، هو لايزال نقيّ الصدر تجاههن.

بالطبع لم تختر إحداهن السراح،
وكُنَّ يعلمْنَ بأنهُن باختيارهن هذا المسار، يُضحين بالدنيا ومتاعها.

فهُنَّ يعلمنَ أنه عليه الصلاة والسلام يُلقى عليه قولاً ثقيلاً،
وأنّ أغلب أوقاته إما في إدارة شؤون الناس أو إدارة البلاد، أو في الغزوات يقود الجيوش، أو فالإصلاح والحكم بين الناس، أو في تربية الناس وإرشادهم وهدايتهم.

ومع ذلك وافقنّ وتحملنَ وجاهدنَ أنفسهن، وضربن أروع الأمثلة فالتقوى والورع وحسن الخُلُق وغيرها من الفضائل، عليهنّ رضوان الله.

ثم انظر لحُجُرات أزواجه رضوان الله عليهن، وكيف كانت صغيرةً جداً ومتواضعة.

وقد كان لايوقد في حُجُراته نارً للطهي. ممايعني أنّ طعامهنّ كان مُتواضعاً.

مع أنه عليه الصلاة والسلام لو أراد لنزلت الموائد من السماء.

تعدُّد ومُتعة

يقول بعض الُمشكِّكِين، أنه عليه الصلاة والسلام كان مِزواجاً.

فذهبنا إلى التاريخ، لنُسقط حال أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام على ما وجدناه عند أصحاب النُفوذ على مرِّ العصور.

لِنرى إن كان الأمر حقاً كما يَدَّعُون؟

لاحظنا أنَّ حُجُرات أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام ضيّقة ومُتواضِعة..

بينما القادة وأصحاب النُفوذ مِن بَعده أومِن قَبله، كانت أزواجهنَّ يسكُنَّ القصور.

وكانت تلك القصور مليئة بالنساء والسبايا والجواري،

وكانت حُجُراتهنَّ واسعةً،

وبها من المتاع والفُرُش ما تَقرّ به العَيْن..

ولا ننسى أنهنَّ كُنّ يرتدين الحرير والحُليّ والُمجوهرات.

-والآن.. مارأيك بهذه المُقارنة؟

=حسناً.. ربما لأنه عليه الصلاة والسلام لم يكن لديه من المال والكُنوز كهؤلاء المُلوك؟

-لا.. النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يكن فقيراً!

هُو من بني هاشم، وقد كانت لهم زعامة قريش في مكة. وقريش أوسط قبائل العرب.

وعلى أقل تقدير.. كانت له خُمس الغنائم..

لكنه كانَ يتصدق بها ويُعطي عطاء من لا يخشَ الفقر.

فكان زاهداً في هذا المتاع وفي غيره.

لاحظ أنه زَهَدَ عن امتلاك.

وليس الزُّهد التعويضي، كأن يزهَد أحدهم في الشيء الذي لا يستطيع اقتنائه من الأساس.

المُهم..

بعد هذه المُقارنة نستنتج أنهُ لايُعقَل أن يكونَ مِزواجاً كما زعموا، ثُمّ هو يُسكِن أزواجه في حُجُرات لاتزيد عن مترين، لا متاع فيها سوى حصير وقليل من طعام متواضع.

وأخيراً.. نستنتج أنَّ تلك الزيجات لم تكن بهدف التعدد والمتعة، وإنما كانت لأبعاد إنسانية واجتماعية.

-حسناً..

هذا يكفي..

مالذي أفعله لأقترب من الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام وأتصل به؟

=ستُحاول أن تتذكره بشكلٍ يومي..

تماماً كما يفعل المُحبين مع بعضهم.

فهُم يضعون صوراً لأحبابهم على هواتفهم.. يتذكرونهم ويتواصلون معهم.. يدعون لهم بالخير..

يحدُث ذلك بشكلٍ تلقائي.. لأن أحبائهم حاضرين في قلوبهم.

وهذا غاية ماستُريد تحقيقه مع الرسول عليه الصلاة والسلام.

-لا بأس..

لقد فهمت.. كيف نقوم بذلك؟

=ستفعل ما أمرك الله تعالى به في سورة الأحزاب بأن تُصلي وتُسلِّم عليه.

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (56) - الأحزاب

-ولماذا يأمرنا الله بالصلاة على نبيه الحبيب؟

=لأنه يريد بنا الخير، فنحن بصفتنا أتباع الحبيب المُصطفى،

عندما نُصلي عليه، أو بالأدق.. عندما نطلب من الله تعالى أن يُصلي عليه، بقلبٍ حاضر،

تأتينا بعض أنوار النبي الحبيب عليه الصلاة والسلام..

هذا النور، يكفي لإحداث تغييرٍ ملحوظ في حياتنا.

هذا فيمن يُصلي عليه لينال المنافع والمغفرة. فما بالك بمن يُصلي عليه حُباً له وشوقاً إليه..

-حسناً.. هذا رائع!

كيف أُصلي عليه؟

=إجعل لك ذِكر يومي للصلاة على النبي الحبيب واستحضار مكانته العظيمة عند الله.

بمعنى آخر، لا تدع يوماً يمضي دون الصلاة عليه، والدعاء له بالوسيلة والفضيلة، والمقام المحمود.

يُمكِنك أن تُصلِّي عليه بعد الصلاة، أو عند سماع الأذان، فتكون بذلك تذكَّرته على مدار اليوم.

-حسناً..

وماذا بعد؟

=ستبدأ بالشعور براحة وهدوء نفسي.

وكأنَّك تعيش مع الرسول عليه الصلاة والسلام خلال يومك، لاسيّما أيام الجُمعة.

-لكن نسينا شيئاً مُهماً..

=ماهو؟

-أنت مثلاً عندما تدعو لأحد بالخير، فهذا لأنك تُحِبُه أو لأنه صنع معك معروفاً أو علَّمكَ عِلماً أو غيرها من المنافع. وكذلك أمرنا الله تعالى بالصلاة على النبي، وكأنك تعْرِف له فضلهُ عليك. فكيف ستدعو بذلك وأنت لاتعرِف مكانته أو فضْلهُ، أو لماذا أعطاه الله هذه المكانة الشريفة ليكون سيِّد ولدِ آدم؟

مانقصِده أننا بحاجة لإدراك جوانب عظمة هذا النبي، فتُصْبِح الصلاة عليه نابعةً من القلب، وليست فقط ترديد باللسان دون وعي. وهذا ما سنحاول الوصول إليه خلال الفقرات التالية.

الرسول فالقرءان

أعطانا القرءان بعض المفاتيح للإقتراب من حياة الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام.
وهي بعض الآيات والمواضع التي تجعلنا نعيش معه ونرى كيف كان يتعامل مع الناس وكيف كان يدعوهم، وكيف كانت نفسيته عظيمة مُتجرِّدة من حُظوظ النفس، تركيزه مُنصَب على إنقاذ البشرية وإخراجهم من الظُلمات إلى النور بإذن الله.

فعندما نُصادِف الآيات التي ابتدأت ب "قُلْ"، أو الآيات التي توجِّه الخطاب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام بشكل مُباشر.
نُحاول أن نتدبّرها ونستشعرالحالة ومدى المسؤولية والحِمل المُلقى على رسول الله وهو يُجادل كِبار الأحبار والرُهبان، وأصحاب النفوذ والسُلطَة من أهل قُريش وغيرهم. وكيف كان يحكُم بين الناس، ويُشرِّع لهم، ويتَّخِذ القرارات العسكرية والسيادية..

حسناً..
دعنا نأخذ أمثلة عملية..
لنُلقي نظرة على بعض الآيات:

نبدأ بسورة البقرة

ستُلاحِظ أنَّ سورة البقرة أتى فيها العديد من المواضع التي تتعلق بمُناظرات اليهود، وذلك لطبيعة موضوع السورة.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١ البقرة﴾

هُنا تظهر مُحاولة احتيال اليهود حين قالوا أنهم مُلتزِمون بما أُنزِل عليهم من كُتُب وأنهم مُرتبِطون بها.

فردَّ عليهم الرسول عليه الصلاة والسلام بردٍّ قويٍّ يُظهِر كَذِبهم وتدليسهم، بأن قال لهم إن كُنتم فعلاً صادِقين فيما تدَّعون، فلِمَ قتلتُم أنبياؤكم الذين زعمتم أنكم تُؤمنون بماجاؤوكم به؟

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤ البقرة﴾

وهذه يزعمون فيها أنهم على الحق، وأنهم موعودون بالجنَّة فالآخرة.

فيرد عليهم رسول الله ويقول لهم إن كُنتم صادقين في هذا الأمر فتمنوا الموت إذاً، لتُعجِّلوا بعملية الإلتحاق بهذا النعيم!

ثُمّ يفضحهم الله ويقول أنهم لن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم.

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠ البقرة﴾

وهُنا يظهر أنهم مارسوا أشكالاً من الحِيَل أو المُفاوضات لمُحاولة الوصول لأرضية مُشتركة،
هكذا كانَ اليهود في أغلب اتفاقاتهم، يلعبون بالألفاظ ويُحرِّفونها عن مواضعِها.
فيأتي الأمر أن يقول لهم أنَّ هُدى الله واضح، ثُمّ تلتفت الآيات وتُحذِّر الرسول عليه الصلاة والسلام من اتباع أهوائهم.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥ البقرة﴾

هُنا يزعُمون أنّ الهداية مُتمثِّلة في اتباع مِلَّتهم، وزعمت اليهود أنَّ إبراهيم عليه السلام كان يهودياً لتكتمل الحبكة الفنية. فيأتيهم الرد ويقول لهم أنَّ إبراهيم كان حنيفاً مُسلِماً مُوحِّداً لله. و أنَّ التوراة والإنجيل جاؤوا بعد إبراهيم فالأساس. فكيف يكون يهودياً ولم تكن هُناك توراة بعد؟

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ – المائدة

هُنا يُقول لليهود والنصارى أنهم ليسوا على شيء لأنهم لايُقيمون التوراة والإنجيل كما أُنزِلت. فهُم يعلمون أنها مُحرَّفة. وسبحان الله.. حتى وهيَ مُحرفَّة، فهي لاتزال تُشير إلى نبوّة مُحمَّد عليه الصلاة والسلام.

هذا جيد..

لنقترب أكثر من شخصيته عليه الصلاة والسلام فالمواثيق السياسية، والتي يهرب منها المشايخ ودُعاة هذا العصر.

نجد في سورة الأنفال، الكثير من الآيات التي تصف طبيعة هذه الأمور. فكما نعلم أنَّ من أسباب تميُّز النبي مُحمَّد عليه الصلاة والسلام عن غيره أنه شَغَلَ مناصب مُتنوّعة، يصعُب على أحد أن يجمع بينها دون أن يختل الإتزان.

المُهم..

نجد آية تصف المواثيق الدولية، ومتى يُمكِن فسخها.

وَ إِمّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ إِنَّ اللهَ لايُحِبُّ الْخائِنينَ – الأنفال

إن كان بينك وبين قومٍ ميثاق أو مُعاهدة سلام، ثُم وجدتهم يتآمرون عليك، سواء بدعمهم لبناء سدٍ على مقرُبةٍ منك من أجل تعطيشك، أو تجويعك. أو غيرها من المؤامرات الخبيثة.

حينها تستطيع أن تتصور كيف كان سيتصرَّف الرسول عليه الصلاة والسلام.

كانَ سيقوم بكُلِّ بساطة بنبذ هذه المُعاهدة. إذ لايُعقَل أن يكون بيننا معاهدة ثُم تقوم بالتآمُر عليّ!.

هذا فيما يتعلَّق بالشأن الخارجي.

فماذا عن الشأن الداخلي؟

نقرأ أحاديث كثيرة تصف كيف كان الرسول عليه الصلاة والسلام يتعامل في إدارة الشؤون المالية والقضائية وغيرها..

منها عندما استعمل رجلاً على صدقات بني سليم..

فلما جاء حاسِبهُ قال: هذا مالكُم وهذا هدية.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

فهلَّا جلستَ في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك إن كُنْتَ صادقا؟!

ثم خطبَ فالحضور وقال:

أما بعد.. فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله،

فيأتي فيقول: هذا مالكم وهذا هدية أهديت لي!

أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته؟! والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقِيَ الله يحمله يوم القيامة.

فعندما ترى في زماننا من يشغل مناصِبَ رفيعةٍ في جهاتٍ ترى فيها أنواعاً من الفساد المالي أو السياسي، ثم هو يسكت عنها أو يُمرِّرها،

فاعْلَم أنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام بريء منه ومن أمثاله، حتى وإن كانوا عُلماء وأشراف في مؤسساتٍ دينية كالأوقاف أو غيرها من الشؤون الإسلامية.

وكذلك المشايخ والدُعاة الذين يتملَّقون أصحاب السُلطة والنُفوذ. ويعملون وفق رغبات وأهواء سلاطينهم، ويقبضون رواتبهم منهم.

فهؤلاء ليسوا أحراراً أسوياء، لأنهم يخشوْن أصحاب السُلطة.

هؤلاء أيضاً يبرأ منهم الرسول عليه الصلاة والسلام.

لأنه من الأجدر لهم، لطالما لم ولن يستطيعوا قول كلمة الحق عند أولئك السلاطين..

فالأفضل لهم ترك هذه النوعيات من المناصب، والبحث عن أعمال أخرى لاتُعرِّضُهم للمُسائلة أمام الله.

وفي المُقابل..

لايخفى علينا أمثلة العُلماء والمشايخ الأحرار، الذين عبَّروا عن آرائهم في بعض الدُول العربية،

فكان مصيرهم إلى المُعتقلات والسُجون.

ليجعلهم السلاطين عِبرةً لإخوانهم فالمِهنة،

فمن يُغرِّد خارج السِرب..

يَلقى ذات المصير.

كانت هذه بعض الأمثلة..

يُمكنك مُلاحظة بقية الآيات وأنت تستمع أو تقرأ القرءان، فتعيش الحالة والموقف وكأنك تراه أمامك.

فتقترب أكثر من الرسول عليه الصلاة والسلام وتشعُر به.

وتُعزِّرُوهُ وتُوقِّرُوه

-حسناً..

ماذا يحدث بعد مُعايشتي للرسول عليه الصلاة والسلام ومُداومة ذِكري له؟

=ربما يرزقك الله رؤية النبي الحبيب فالمنام..

بعضهم يرى النبي عليه الصلاة والسلام حقيقةً وبعضهم يرى صورته.

-كيف أعلم أنه هو عليه الصلاة والسلام؟

=إما أن يُعرفك بنفسه، وإما أن يكون هناك أحد ما يقول لك هذا النبي صلى الله عليه وسلم، وإما أن يقع في قلبك فور رؤيته أنه هو الرسول مُحمَّد صلى الله عليه وسلم.

-هذا رائع.. كيف تنعكس رؤية النبي الحبيب على حياتي؟

=ستشعُر أنّ هذه الليلة من أفضل الليالي التي مرّت عليك.
ستستيقظ من نومك هادئ البال تغمرك سعادة وراحة نفسية.

ويبدأ حُبك له يزداد أكثر..
ستُحب الصلاة عليه وتُحب ذِكره.

أيضاً ستُلاحظ تحسُّناً في أخلاقك. وهذا أمر طبيعي، فالنبي الحبيب بعثهُ الله ليُتمم مِكارِمَ الأخلاق.
بالتالي من اقترب منهُ، فإنه ينهل مِن بعض أنواره وأخلاقه.

وكما ذكرنا أنَّ المُهِم في عملية الذِّكر هو حضور القلب والذهن.
فمن الناس من يصلي على النبي عشر مرات في يومه ويعدل بها من يصلي عليه آلاف المرات.

ونُحب أن نقول لك أنَّ الذكر باللسان فقط هو أول مراتب الذِّكر.
لازال هُناك مرتبة أعلى من ذِكر اللسان، وهو الذكر مع حضور القلب.

-ماذا تقصد؟

=سنوضح الأمر فالفقرة التالية..

الذِّكْر

-حسناً.. ماهو الذِّكر عامةً؟

=ذِكرُك لله يعني أن يكون الله حاضراً في قلبك، فتستشعر معيته ومُراقبته لك.
فتتقي الله في أقوالك وأفعالك. فإن نسيت وانشغلت بأمورٍ تافهة، أو أضعت وقتك، تكون بهذا غفلت عن ذكر الله.
فتعود لتتذكر أنك كُنت غافلاً، فيحضُر قلبك من جديد، فتذكر الله أو تستغفره، وهذا تصديق اللسان لِما فالقلب،
فتكون بهذا ذَكَرتَ الله. لأنك تذكرته وخرجت من غفلتك.

وهكذا.. تستمر في مُحاولة جعل أغلب وقتك على حالة الحضور هذه. والتي تحميك من إهدار الوقت فيما لاينفع أو
من الوقوع فالأخطاء أو الصغائر. بالطبع هذا ليس أمراً سهلاً، إلّا على الذين يُجاهِدون أنفُسَهم بصِدقٍ و جِد.

وكُلما كان قلبك حاضِراً في أغلب يومك، كُلما كانت مُراقبتك لأقوالك وأفعالك أفضل، فلا تقع في أخطاء الغافلين.
فالغفلة عكس الذِّكر. ما يُشير إلى أنَّ الذِّكر فالأساس هو حالة الحضور. وهذا ما توضحه الآية الكريمة:

وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ (205) –
الأعراف

لاحظ كذلك وصف حالة الذِّكر هُنا أنها فالنفس "وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ".

ثم انعكاسها على اللسان، فتذكُر بلسانك بحيث تُسمِع نفسك فقط دون جهر "وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ".

وهكذا، فحضور القلب يدفع اللسان للذِّكر.

وكأن القلب بدأ الذِّكر، فتَبِعَتهُ الجوارح.

بينما المبتدئ أو حديث العهد بالذِّكر، يبدأ بذِكر اللسان، ويُكثِر منه.. لِيُجبِر قلبهُ على التركيز والحُضور، وعدم التشتُّت.

فيبدأ القلب بالإستجابة.

عندما يرى الله مُجاهدتك هذه.. يُعينك ويُحبِّب إليك ذِكره ومُجالسته، وهكذا حتى تتحقق المُراقبة الذاتية التي تُريدُها.

-حسناً.. هل عرفت الآن كيف ستُطبق ذلك على صلاتك على الرسول الحبيب؟

=لا، حبذا لو أوْضَحتَ أكثر!

–ستُطبِّق ما أمرنا الله تعالى به تجاه الرسول الحبيب عليه الصلاة والسلام، وهو عنوان هذه الفقرة، الذي أخذناه من الآية التالية:

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (8) لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (9) – الفتح

يظهر فالآية توقيتان لتَذَكُّر النبي الحبيب عليه الصلاة والسلام، وهُما فالصَّباح ومِن بعد العصر إلى قُبيل المغرب.
جائت الآية تأمرنا بتعزير وتوقير وتسبيح النبي لنُدرك مكانة النبي مُحمَّد عليه الصلاة والسلام عند أهل السماء..
فالتعزير يعني الإجلال، والتوقير يُشير إلى الإحترام والتأدُب والتعظيم.

–حسناً.. هذا فيما يخُص التعزير والتوقير.
ماذا عن التسبيح!.. كيف نُسبِّحه؟

=نأخذ من الآية الإسقاط الذي يناسب الرسول عليه الصلاة والسلام.
فمثلاً.. التعزير يعني الإجلال. فإجلالنا للرسول عليه الصلاة والسلام يختلف عن إجلالنا لله تعالى. وهكذا..

وتُسبِّحوه:
تسبيح الله يعني تنزيهِ عما لا يليق به. وكذلك تسبيحنا للنبي الحبيب هُو تنزيه النبي عما لايليق بِه.

-هل تُعطيني مثال لتسبيح النبي الحبيب عليه الصلاة والسلام؟

=لا بأس..

مثلاً، عندما نقرأ الآية (وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُون).

نحن هُنا نُنزِّه الرسول عليه الصلاة والسلام عن أن يكون ماجاء به من الوحي هو محض هذيان كما ادَّعى الكاذِبون.

لاحظ أيضاً:

فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (39) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (42)

كما رأيت.. ستقوم بتنزيه الرسول عليه الصلاة والسلام عما نُسِب إليه من اتهامات وأكاذيب، كقولهم أنه قام بتأليف القرءان، أو أنه كان بارعاً فالشِعر، فقام بِنَظْم هذه الأبيات، وهي القرءان الكريم.

أو أن يكون كاهن!، يتَّصِل بالجِن، يوحون إليه هذا القُرءان.

فأتت الآيات تُقسم بأنهُ قوْلُ رسولٍ كريم. والذي وِفْق ما فهمناه فالباب الثاني.. الرسول الكريم ناقل الوحي جبريل عليه السلام.

وليس بقول شاعر.. فالقرءان لم يكن قول الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام من الأساس "أيْ لم يُؤلفَّه من نفسه"، كي تظُنوا أنه شِعْراً، أو تَكهُّناتٍ من الجن.

يُمكِنك تخيُّل الأمر أنّ جِهةً عُليا، وهي الجهة المالِكة لحقوق هذا الكتاب، تُخاطب كُفّار قريش..
وتقول لهم:

هذا القَوْل "القرءان الكريم" الذي تسمعونه، إنما هو قَوْل جبريل الكريم، ناقل الوحي، وليس بقول مَنْ وصفتموه بالشّاعر، ولا بقول من وصفتموه بالكاهن، كَذِباً وزُورا.

حسناً..
كما رأينا.. هذه أمثلة لتسبيح الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام، وتنزيهه عما يُنسب إليه زوراً وبُهتاناً.
ويدخل ضِمنهُ كُل ما ادّعاه خصوم النبي الحبيب في عصرنا الجديد مِن ملاحدة التنوير، عندما وصفوه بما لا يليق بجنابه الكريم.

-هذا مُمتاز!
لكن لازلت لم تُخبرني.. ماذا أفعل بُكرةً وأصيلا فيما يخص ذِكر النبي عليه الصلاة والسلام كما هو مطلوب فالآية؟

=إن قُمت بالصلاة والسلام عليه، والدُعاء له وأنت مُستحضِراً عظيم خُلُقه وتضحياته وحرصه على الناس وعُمق أثره، وقول الله عنه بأنه رحمةً للعالمين. وغيرها من الفضائل والشمائل المُحمَّدية..

حينها تكون صلاتك هذه نابعةً من القلب. وهذه هي الصلاة التي نُريدُها.

-رائع!

ماهي فوائد الصلاة على النبي الأكرم عليه الصلاة والسلام؟

=حسناً.. الفوائد كثيرة، تكلم عنها الكثير من الناس وهي منتشرة..

نتفق مع بعضها ونختلف مع البعض.

- من بين تلك الفوائد، أن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام هو شيخك، أيْ أنك تجد نفسك تتمتع بقدرة تُعينك على التفريق بين الصواب والخطأ، وتجعلك تنفر من الأمور التي لاتتفق مع مبادئ شريعتنا بشكلٍ تلقائي.
- تجد نفسك مُقبِلاً على مافيه خير ونفع لك بشكل تلقائي. وتبتعد عن كل مايُضيع الوقت.
- تجد أغلب أمورك مُيسرة بإذن الله.

هذا فالدنيا،

وفالآخرة مغفرة وشفاعة بإذن الله إن كُنت من المُوفقين لذلك.

لكن انتبه، هذا لن يكون إلا لمن تحقق بالأساسيات التي نعلمها كالرزق الحلال، وتجتنب الظُلم، والغيبة والنميمة، والصبر على البلاء إن أصابك.

لكن لحظة من فضلك..

-ماهذا الذي تقوله؟

هل تُريد إقناعي أنه بذكري للرسول عليه الصلاة والسلام، تحصُل لي كل تلك الأمور؟!

هذا غير واقعي!

=نعم.. معك حق

نقول لك أنها تحدث بالفِعْل ويحدُث أكثر من ذلك..

لأنك باختصار.. عند نجاحك في تواصلك بحق، مع الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام.

فأنت بشكل تلقائي، ستبدأ بالإقتداء بأفعاله وأقواله.

والتي تُيسِّر عليك اقتحام العقبة.

وباقتحامك إياها،

تكون مع أُولئك الذين هَداهُم الله السبيل..

ومن يُهدَى السبيل، تتيسر له أغلب الأمور، لأنه اقتحم عقبة نفسه وهي الأصعب. فما بعدها أسهل عليه.

ولعل هذا السؤال من أهم الأسئلة في هذا الباب..

فليس كُل من صلى على النبي الحبيب، هو صلى عليه بالفِعل!.

فالأمر لا يُقاس بتمتمات اللِّسان.. بل بحضور القلب، وانعكاس الأثر على الجوارح.

سنتكلم عن اقتحام العقبة هذه فالباب الرابع بإذن الله..

حسناً..

هيا لننتقل إلى الأحوال الُمحمَّدية لنختِم بها الباب..

الأحوال الُمحمَّدية

سنُلق نظرة على أحوال الناس مع سيدنا وشفيعنا مُحمَّد عليه الصلاة والسلام.

الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام قد منحه الله خزائن العُلوم الربانية، والمعارف القُدُسية.

هذه الخزائن والأسرار تُفتَح بإذن الله للعبد القائم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

-ولماذا؟

=لأنَّ الرسول عليه الصلاة والسلام هو الوسيلة التي تَحدَّثَ الله من خلالها إلى عباده، فقد انتَقَلَ الوحي عن طريقه.

-لكن ألم يمُت الرسول عليه الصلاة والسلام؟

=نعم، قد مات عند مبلغ علم أهل الظواهر، فهم محجوبون عن الوجه الآخر من الحقيقة، وهي أنه عليه الصلاة والسلام قد انتقل إلى دار الحق، وهو حيٌّ في هذه الدار.

فعباد الله المؤمنون حقاً، ينهلون من نور رسول الله، كُلٌ حسْبَ إدراكه وإيمانه.

والآن سنتكلم عن أحوال الناس مع رسول الله عليه الصلاة والسلام. وهي أحوال افتراضية، فقط لتوضيح أهمية ذِكر الرسول عليه الصلاة والسلام والعيش معه ومع سيرته.

رتبناهم من الأدنى إلى الأعلى.

الحال السادس، والأدنى

الذي لا يُصلي على النبي الحبيب، حتى إن ذُكر عنده.

فهذا بخيلٌ على نفسه.

فالله تعالى أعطى رسوله المقام المحمود، وأغناه عن العالمين، سواءً صلوّ عليه أم لم يُصلوا.

فالكل محتاجٌ لنوره وعلمه، وليس هو من يحتاجهم.

فلا تكون في هذا الحال..

الحال الخامس

مقام سيء الأدب مع رسول الله عليه الصلاة والسلام.

هؤلاء هم الذين قال الله فيهم "إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ"

فتجدهم يذكرونه باسمه مُجرداً دون أن يقولوا عليه الصلاة والسلام، أو صلى الله عليه وسلم.

الحال الرابع

هذا النوع من الناس يُصلي ويسلم على النبي عندما يُذكر أمامه فقط..

فهذا ربما يستشعر رد السلام عليه، ويكتفي بذلك.

الحال الثالث

هذا النوع من الناس يُصلي على الرسول عليه الصلاة والسلام ويذكُرُه في يومه، عملاً بالوصفة النبوية "تُكف همك، ويُغفر ذنبك".

هذا يُعتبر في كنف رسول الله عليه الصلاة والسلام. فيشمله الله بالحفظ والكفاية.

لكن هذا النوع ربما يكون قد اكتفى بالحفظ والرزق وكفاية الهم.

فمع أنه مُحباً لله ورسوله، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد عرف طاقته الإدراكية، فوقف معه عند ذلك الحد.

الحال الثاني

هذا النوع من الناس يُصلي على الرسول عليه الصلاة والسلام حق الصلاة، في قرارة قلبه. كأنه يرى النبي الحبيب أمامه يُرشده ويأخذ بيده إلى الله.

هذا النوع يستشعر الجلوس بين يدي رسول الله لتلقي العلم والمعرفة. وقد اتفق ذلك لكثير من العلماء والصالحين.

هذا هو المُحب لِعِلم الله وللرسول صلى الله عليه وسلم.

الحال الأول، والأعلى

هذا الحال يصل إليه من أحبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يرى غيره أمامه.

فهو إمامه وأسوته الحسنة ومعلمهُ وأنيسهُ.

هذا يُحبه الرسول عليه الصلاة والسلام، وينقل له نوره من العلم والمعرفة.

في هذا الحال يتبنى الرسول عليه الصلاة والسلام هذا العبد تبنياً روحياً ، فيُصبح هذا العبد قائماً بالصورة المُحمّدية.

وربما يكون هذا الحال الذي وصل إليه أبي بكرٍ وعُمر وعثمانَ وعليّ، وغيرهم مما لانعلم.

رزقنا الله وإياكم حُب النبي الحبيب عليه صلاة الله وسلامه.

حسناً..

لقد وصلنا إلى نهاية هذا الباب.

وانتهت رحلتنا المُتعلقة بمقابلة الحكيم الأكبر.

بعد أن تعرَّفْتَ على الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام، وهو المُعلِّم الذي علَّمنا الدخول إلى الله المَلِك.

أصْبحتَ الآن جاهزاً لنصحَبَك في رحلةٍ شيّقة للدخول إلى حضرة المَلِك.

هيا..

ينتظرك الكثير فالباب الرابع..

"الدخول على المَلِك"

This page is intentionally left blank



الدُخول على المَلِك

باب المَلِك

إذا كنت على باب دار المَلِك، لاتختر الدخول إلى الدار.. حتى تُدخَل إليها جبراً لا اختياراً.

ولا تكتفي بمُجرّد إذنٍ بالدخول، لجواز أن يكون ذلك مكراً مِن المَلِك.

لكن اصبر حتى تُجبَرَ على الدخول، فَتَدْخُل الدار جَبْراً مَحْضَا، وفَضلاً مِن عند المَلِك.

وحينئذٍ لا يُعاقبك المَلِك..

لأنه هو الذي أدخلك.

إنما تتعرض العُقوبة لك لشُؤم تخيُّلِك وشَرَهِك، وقِلّة صَبرِك وسوءِ أدَبِك..

-الشيخ عبد القادر الجيلاني-

لماذا نُصلي؟

لأنّ بجوفنا روح.

هذه الروح من صُنع الله. فالله تعالى نَفَخَ فينا من روحه.

وهذه الروح تجعلنا دوماً بحاجة للإتصال بالله لأنه خالِقُنا.

تماماً كما نجد أنظمة التشغيل على تنوِّعها، أنها تقوم بالإتصال بالشركة المُصنِّعة بشكلٍ تلقائي، لإجراء التحديثات والفحوصات المطلوبة. كذلك الإنسان يحتاج للإتصال بخالقه لِتَلقِّي غذاءه الروحي.

هذا الإنسان بجوفِهِ فراغ لايملأهُ إلا الإتصال السليم بالخالق جلّ جلالهُ.

ونؤكد على ضرورة الإتصال السليم هذا، لأنَّ الإتصال غير السليم، سيذهب به لقنواتٍ مجهولة وهيَ "السُبُل"، والتي تُضرُّه في أغلب الأحوال.

سنُحدِّثُك عن هذه السُبُل بمزيدٍ من التفصيل في نهاية هذا الباب..

الإنسان بفطرته الطبيعية، مُتَّجِهٌ كادِحٌ إلى ربه حتى يُلاقيه، والكدح يُشير إلى السعي للإقتراب.

وكلما استطاع الإنسان الإقتراب أكثر من ربه، كلما أصبح أكثر استنارةً وحكمةً وعلماً وفهماً لحقائق الأمور وبواطنها، وأكثر إدراكاً لرسالته التي عليه القيام بها على هذه الأرض.

والصلاة هي أحد أقوى الأدوات التي تضعك على الطريق الذي يُدخِلُك على المَلك جل جلاله.

ولكي لا يتركك الله تعالى حائراً في أمر الصلاة هذه، أرسل إليك الرُسُل والكُتُب السماوية، يُعلِّمُوك كيف تتصل بالله تعالى بالشكل السليم.

حسناً..

هيا نتعرّف على الصلاة وطرق تعزيزها.

خمسة أم ثلاثة؟

كان الرسول عليه الصلاة والسلام يُصلي خمس صلوات فاليوم والليلة مُقسمة على أوقات مُحددة،
فهُناكَ سِرّ وراء تلك الأوقات الخمس. ربما أنها مواقيت تُفتح فيها أبواب السماء، أو تُسبِّح فيها الملائكة، فكأننا نُصلِّي في نفس تلك الأوقات التي تُسبِّح فيها الملائكة، لكن من الأرض.

وجدنا بعض الإجتهادات أنها صلاتين، أو ثلاثة، ومنهم من تحرر من التَقَيُّد بالعدد، بأنَّ قال بأن تلك الخمس صلوات هي اختيار نبوي، إن شئت أخذت به وإن شئت فصلِّ حسب ما تراه مناسباً لبيئتك وظروف المكان الذي تعيش به.

ونحنُ نقول لابأس.. إن كانت الخمس صلوات هي اختيار النبي الحبيب لنفسه وللناس كما يقول البعض.
فلا أرى سبب يجعلني أترك اختيار النبيّ عليه الصلاة والسلام وهو الأشد حرصاً على ماينفع أُمته.

فلو اختار لك خمس صلوات فخُذ اختياره وتوكل على الله، لاسيّما إن كُنت تعيش فالدول العربية أو الإسلامية. والتي تُقام فيها الصلوات الخمس فالمساجد وفي كُل مكان. فالأولى أن تُوافق الجماعة فيما يقومون به لطالما فيه الخير والثواب الأكبر لك.

أما إذا أردْت أن تتبنى اجتهاداتٍ أخرى.. فكن مُستعداً لتحمُّل مسؤولية هذا الأمر.
فمن يدري، رُبما ينجو صاحب الإجتهاد بصدق نيته، بينما يتورَّط من أخذ باجتهاده لوجود خلل في النية.

كأن تكون نيتهُ التخفُّف من الأعباء، فيبحث هُنا وهُناك عمَّا يُرضي أهوائه. فيأخُذ اجتهاد هذا المُفكِّر فالصلاة، ويترك بقية اجتهاداته التي رُبما لا تُلاقي استحسانهُ.
ويأتي لمُفكِّر آخر، فيأخذ اجتهاداته إذا كانت تخدم مصلحته الشخصية، كأن تكون اجتهادات تُعطي أولويات وسُلطة للرجال على النساء.. وهكذا.

كذلك رأينا بعض النساء الاتي خلعنَ الحِجاب، أنهُنَّ مع الوقت، تتغير نفوسهنَّ فتبدأ بعضهنَّ بِفُقدان البَوْصَلَة. ليكون هذا إشارة وعلامة لها أنَّ الأمر ليس مُتعلِّقاً بفرضية الحجاب من عدمه بقدر ما هو مُتعلِّق بوجود خلل في النيِّة وصِدق التَوَجُّهْ، أو من مشكلةٍ نفسيةٍ أو مُجتمعية.
فكان الأولى لها أن تُعالج الأزمة أولاً قبل تَبَنّي الإجتهاد.

فانتبهي، أو انتبه إلى بواعثك جيداً قبل تبني أي اجتهاد بشكلٍ عام. فليسَ كُل ما تُشاهِدهُ في اليوتيوب يُناسِبُك، وإن أَعجَبَك. وتذكَّر أنَّ قلبك ونيتك هُما محَل نظر الله.

ولهِذا كانَ الأنبياء صلوات الله عليهم يُخاطِبون الناس على قدر عُقولهِم.

فالناس ليسوا على نفس درجات النُضج المعرفي والثقافي والروحي.

حسناً..

لِنَعود.

الرسول محُمَّد عليه الصلاة والسلام وَضَعَ أُمته في مَصافِ الأُمم.

بالتالي مُتَوقَّعٌ منهم ما هُو أعلى ممن غيرهم من الأُمَم.

فكان أصحابه يُصلون بالليل، ويعملون بالنهار، ويدفعون الزكاة، ويَتَحرُّوْنَ الحلال، ويتعاونُونَ على البِرِّ والتقوى، ولا يظلموا، ولا يعتدوا، والنساء يحتشمنَّ ولايُظهِرن زينتهن، ويتقين الله في بيوتهن.

وهكذا..

فالمُسلِم يتربَّى على أنَّ الدُنيا دار عمل وشقاء وسعي، وأنه خليفة الله فالأرض، وأنه مسؤولٌ عن هذه الأمانة.

فجائت هذه العبادات والإلتزامات تُعينه على نفسه وترفع طاقة تحمُّلِه وتُقوِّي إرادته وعزيمته،

لِيَصنَع التغيير المطلوب، ويُكْمِل رسالته التي كُلِّفَ بها.

حسناً..

عَرَفْنا الصلاة، وفهِمنا ضرورة التأكُّد من سلامة النيّة ومُراقبة البواعث النفسية الحقيقية في اختيار المذاهب والإجتهادات.

لننتقل إلى الحديث عن الوضوء..

سَرّ الماء

سنتكلَّم عن الوضوء من زاويةٍ جديدة..

-ماهذا الوضوء ولماذا نقوم به قبل الصلاة؟

ولماذا يُنصح به حتى في غير أوقات الصلاة؟

=حسناً.. يحضُرُني مشهد سمعته من إحدى الساحِرات، مع تحفُّظنا على أعمال السِّحْر الكُفرِّية.

هذه الساحِرة أُجريَ معها مُقابلة، وكانت تُخبرهم عن طبيعة ماتقوم به، وكيف التحقت بعالَم السِّحْر.

لَفَتَ انتباهنا شيء ما، وهيَ تتحدث عن أصناف من الناس، يصعب على السحرة اختراقهم، لامتلاكهم شيء ما يتسبب في تشتيت الساحر وإضعاف تركيزه وإفشال مُحاولة اختراقه للضحية.

وصرَّحت أنَّ أكثر أصناف هذه النوعية المُستعصية كانت من المسلمين.

وذكرت السبب في أنهم في حفظِ وحمايةِ خالقهم، فلا يصل إليهم تأثير السِحر.

وقالت أنها ما أن تُصادف هذا النوع من الناس أثناء عملها، فإنها تنسحب من هذه الجلسة.

وتقوم على الفور بغسل يديها ووجهها بالماء، ثم ذراعيها إلى المرفق.

وقالت أنّ ذلك يُساعدها في عملية الإنفصال عن تأثير هذا الشخص المُحصَّن عليها، ويُعيد لها تركيزها من جديد.

ثُم بالطبع تعتذر عن الإستمرار في هذا العمل، وهو اختراق هذا الشخص المُحصَّن.

ما لَفَتَ انتباهنا، أنها قامت بعمل شيء أشبه بالوضوء، لحِماية نفسها ولاستعادة حيويتها النفسية من جديد.

وهُنا، أدركنا أنَّ الوضوء فيه سِرّ، أودعه الله.

وأدركنا كذلك أنه لايُفترَض أن يفهم المرئ كُل شيء فالوقت الذي يتسائل فيه عن عِلَّة أمرٍ ما.

كأن يسأل عن عِلَّة تحريم لحم الخنزير مثلاً.

فهُناك أشياء أمرنا الله بالتزامها، وأُخرى باجتنابها، والسليم أن نَمْتَثِلَ لأمرهِ سواء أدركنا العِلَّةَ أم لا.

فالله تعالى يَعْلَم ونَحنُ لانَعْلَم.

المُهم.. لنعود للوضوء.
يتضح أنّ الوضوء يقوم بحمايتنا من العوارض السُفلية، كما أنه يُطهِّرُنا،
والطهارة تُقربنا من عالم الملائكة. وعندما نقترب من الملائكة، يبتعد عنَّا إبليس وأعوانه.

ولذلك عندما نُحدِث، يُنتَقَض وضوئنا، فنحتاج للوضوء من جديد إن أردنا الدخول في هذه الهالة النقية مرةً أُخرى.

-هذا رائع.. لكن لماذا نحتاج للوضوء؟
أقصد لماذا لم يجعلنا الله كالملائكة مُطهّرون ذاتياً؟

=لأن الإنسان هو روح بداخل جسد.. ربما لن نحتاج للوضوء في عالم البرزخ لأنه عالم للأرواح بلا أجساد.
لكن بما أننا هُنا على الأرض فَنَحنُ بحاجة إلى الطُقُوس التعبدية التي يدخل بها عمل بدني مع آخر قلبي وعقلي.
فلا نكتفي بالأعمال القلبية فقط ولا بالأعمال البدنية فقط، بل نجمع بينهما.

ولعل هذا أحد مَداخِل الشيطان، أن يأتي فَيُقنِع أحدهم أنه لطالما أنّ الأصل هو عَمَلُ القلب، فاذكُر الله بقلبك، فتكون قد أديت الصلاة المطلوبة دون الحاجة للوضوء وممارسة حركات الصلاة. أليست الصلاة لِذكر الله؟

وهذا الفخ، سقط فيه الكثير من أتباع حركة العصر الجديد، فاستبدلوا التأمُّل بالصلاة، زعماً منهم أنَّ الصلاة هيَ الصِلة على إطلاقِها.

فَضَلَّوا السبيل، وأضَلّوا أتباعهم..

ولاعجب، فاتِّباع الهوى والشهوات يذهب بالناس لِما هُو أبعد من ذلك..

فلو افترضنا أنَّ الذِّكر دون حركات الصلاة يُغني عن الصلاة، لكانَ الرسول مُحمَّد عليه الصلاة والسلام أولى بالقيام به من قبلهم.

لكنه صلى كما رآه الناس يُصلي.. فروضاً ونوافل ومن الليل.

وجدير بالذِّكر أنَّ هذه الطقوس التعبُّدية الدينية يجب أن تكون صحيحة وسليمة.

فالطقوس غير السليمة هيَ أقرب لأن تكون قُرابين للجن وإبليس، فانتبه!.

سنتحدَّث في نهاية هذا الباب عن بعض هذه الحِيَل الإبليسية التي تنحرف بالعبادات لتجعلها قرابين.

مفهوم السعادة

-حسناً.. مالذي أحصُل عليه من الصلاة؟

=تحصل على غذاء الروح الذي تحتاجه. فكما يحتاج الجسد للغذاء والحركة والرياضة، أيضاً تحتاج الروح للصلاة والذِكر والصوم وقلة الكلام.

-هل هذا كل ما أحصل عليه؟

=بالطبع لا.. فالعطايا كثيرة، والخير كثير.

هَبْ أنك بمجلس مَلِك أو حاكِم من حُكَّام الأرض، فيكف يكون حالك؟ أو بم تعود من هذا المجلس؟

بالطبع يصيبك من هذا المَلِك خير كثير، فأنت في مجلس هذا الملك تشعُر بالراحة والطمأنينة والسعادة.

فأنت في أجمل القصور، وتجلس على أفخم السجّاد والأثاث، ويُقدَّم لك أشهى وأرقى أصناف الأطعمة.

فمابالك بالله رب العالمين؟

من جالَسَ الله رب العالمين، بِمَ يَرجِع؟

لنُقرِّب المعنى أكثر..

عندما تقترب من الحدائق الخضراء.. يمتلئ أنفُك من عبير الأزهار الفوَّاحَة.. فتشعُر بالرِّضا والإمتلاء..

عندما تقترب من الغابات الخضرات ذات الأشجار الكثيفة.. فيمتلئ صدرك بالهواء النقي وتشعر بالسعادة..

عندما تقترب من البحر أو من الشاطئ.. فتتمتع الأُذُن بصوت الموج الهادر..

عندما تقترب من الشمس.. فتُعطيك البشرة البرونزية الجميلة وتقوي عظامك..

-حسناً.. عندما تقترب من الله.. صانع كُل تلك العَوالِم.. تقترب مِن منبع الكمالات..

فَبِمَ تعود؟

=تعود بشعور يفوق كل ماتشعر به وأنت فالحديقة أو على شاطئ البحر أو فالغابات والجُزُر الخضراء.

هذا لأنك اقتربت من المُطلَق، الله البديع.

وحينها، تكون جاهزاً لتعريف معنى "السعادة" للناس..

-لماذا؟

=لأنَّ مَنْ جَرَّبَ مُتعَة هذا القُرّب، لم يَعُد تعريف السعادة مجهولاً بالنسبة له!.

لكن السؤال.. هل اقتربت منه حقاً؟

وهذا هو التحدي الحقيقي.. أن تُحاول الإجتهاد والتركيز قدر الإمكان لإحداث حالة اقتراب ولو لثانية واحدة وأنت تصلي.

هذه الثانية التي اقتربت فيها، ستُغنيك عن الكثير من مُتع الدنيا.

والعجيب أنها قابلة للإسترجاع كَذِكرى، وعند استرجاعها،
تجدها قادرة على إمدادك بهذا الشعور الجميل وكأنها حاضرة الآن.

وذلك بعكس أي إنجاز دنيوي أو نُزهة أو مُتعة سابقة. عند استرجاعها، ستكتشف أنها لا تشحنك برُبع ماتشحنك به ذكرايات حالات القرب الإلهي.

-لكن كيف نُؤدي هذهِ الصلاة التي تعود علينا بالسكينة والرضا، أو السعادة التي حاوَلنا تعريفها منذ قليل؟

=هيّا نتكلم أولاً عن أنواع الصلاة،
ثُم ننتقل بعدها لتوضيح كيفية الإرتقاء بها لنصل لتعريف السعادة الجديد.

ترابُط المُجتمع

ترابُط المُجتمع يتحقق بالتقاء أفراده وقيامهم بنشاطٍ يجمعهم بشكلٍ دوريّ.
ولعل أرقى نشاط يجتمعون عليه هو صلاة الجماعة فالمساجد.

-لماذا صلاة الجماعة؟

=كما هو واضح من الإسم، فهي صلاة يتم تأديتها في جماعة، وتهدف بشكل رئيسي بعد الهدف التعبُّدي لله، إلى تقوية العلاقة بين الناس والمُشاركة المُجتمعية وإزكاء أواصر الأخوة، وغيرها من المعاني المجتمعية الجميلة التي تنعكس بالطبع، على هذا الحيْ أو المُجتمع الذي يُصلي أفراده في جماعة.

فمثلاً، يلتقي الأصحاب في صلاة الجماعة ويتَفَقَّدون بعضهم.
وفي حالة تغيَّب أحدهم عن الصلاة لفترة، تجدهُم يفْتَقِدونه، فيذهبوا للسؤال عنه، ليطمئنوا عليه. وهكذا..

فصلاة الجماعة هي عمود الظَهر للمجتمع المُسلم، التي بها يتحقق الترابط المطلوب والتعاون على البر وتحقيق النفع العام.

نجد فالقرءان الكريم، ذِكر إقامة الصلاة مصحوباً بإتيان الزكاة، أي بالحثّ على الإنفاق، فلاتجد مُحتاج في هذا الحي الذي يُصلي أغلب رجاله وشبابه فالمسجد دون انقضاء حاجته.

فهم يعرفون بعضهم بعضاً، ويتفقدون بعضهم بعضاً. ويقدمون العون لصاحب الحاجة، سواء تمثَّل هذا العوْن في المال أو الوظيفة أو غير ذلك من الحاجات.

إذا لم تجد صلاة الجماعة قد حققت هذه الأمور، فاعلم أنه لم تتم إقامتها بشكلٍ كاملٍ بعد.

لكن على الأقل، حاول على المستوى الشخصي أن تقوم بما يلي بعد صلاتك فالمسجد..
إحرص أن تُسلم على أحد المُصلين قبل أن تغادر المسجد إن كُنت لا تعلم أحداً من المُصلِّين.
فما يُدريك، لعل سلامك عليه وتبسمك في وجهه، يُغير مِزاجه وحالته النفسية فيجزيك الله بها خيراً ويُضاعف الأجر لك وأنت لاتدري.
وإن كانت تجمعك صداقة ببعض المُصلِّين، فصافحهم واطمئن على أحوالهم دون أن تَتَدخَّل فيما لا يعنيك أو أن تقع في فضول الكلام.

وهكذا..
فصلاة الجماعة هي الأصل، لأنها شعيرة مجتمعية، ينبني عليها ترابط المجتمعات،
وأجرها عند الله كبير. وهي مُقدَّمة على صلاة الفرد "صلاة الفرد للفروض".

مَدارِج القُلوب

حسناً.. جاء دور الصلاة الفردية.

-ماهذه الصلاة الفردية؟

=الصلاة الفردية هي التي تصليها بمفردك في بيتك دون وجود مشتتات من حولك، ويغلب عليها الهدوء والسكينة.

تُطلَق الصلاة الفردية أيضاً على صلاتك للفريضة بمُفردك في حال فاتتك صلاة الجماعة.

لكننا سنقوم بالتركيز على صلاتك الفردية للنوافل، كصلاة الليل مثلاً.

فالأصل في صلاة الفروض الخمس، أن تكون مع الجماعة إلّا إذا تعذَّر ذلك.

حسناً..

-ماالذي تحققه الصلاة الفردية؟

=تُساعِدك الصلاة الفردية على تقوية الخشوع.

-ماهذا الخشوع؟

=يمكننا وصفه بالإجتهاد والتركيز لجعل الذهن والقلب في حالة حضور، كأنك تقف أمام الله تعالى،

وذلك بصرف الذهن عن المُشتِّتَات والتَفَكُّر فيما تقرأه مِن آيات القُرءان وأنتَ تُصلي.

هذا الخُشوع يظهر أثره على الجوارح كذلك، فتسكُن وتهدأ.

-ومالذي يعود علي عندما أتحقق بهذا الخشوع؟

=ستصلك ثمار هذه الصلاة بشكلٍ أكبر، وتتدفق ينابيع الفيض الإلهي عليك.
فكلما ازداد خُشوعك، كُلما شعرت أكثر وأنت تُصلي أنك بالفعل تدخل لمجلسٍ مَهيب تحضُر فيه روحك أمام مالِك المُلك، الله جل جلاله.
فتنكشف بصيرتك أكثر، وتشعُر بالرّاحة النفسية التي تبحث عنها.

جدير بالذِّكر أنَّ الصلاة الفردية مُهَيَّئة أكثر لإكسابك الخشوع.
ولهذا أمرَ الله تعالى رسوله الحبيب عليه الصلاة والسلام بالصلاة ليلاً وأخبره أنها ترفع شأنه بقوة وتُساهِم في وصوله إلى المقام المحمود.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (79) - الإسراء

وأيضاً ذكر الله تعالى في القرءان، بعض عباده الأصفياء الذين يقومون الليل، أيّ يُصلون نوافل بالليل، كما كان يُصلي نبيهم ومُعَلِّمُهُم.

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ - المُزَّمِّل

تُخبِر الآية أنَّ النبيّ كان يقوم الليل، فتارةً يقوم ثُلثي الليلة، وتارةً نِصفها، وتارة ثُلُثها حسب الظروف.

وواظَبَ على ذلك طائفة من المؤمنين، اقتداءً برسول الله عليه الصلاة والسلام.

ولِعِلم الله أننا نذهب لَمشاغلنا فالصباح، فخفَّف علينا الأمر كما يلي:

عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ

والآية تقول "فاقرءوا من الليل ما تيسَّر لكم من القرآن في صلاتِكُم".

هذا كي لا يأتينا أحد النورانيين فيظُن أنه سيستيقظ بالليل ليجلس في سكون وتأمُّل داخلي بهدف الحُصول على جوابات أسئلته الوجودية من الكوْن ☺.

حسناً..

كما رأيت..

هذا هو الحل السحري الذي سيُعينك على رفع التركيز والخشوع، بقيامك بالصلاة في غرفتك، تتلو ماشئت من القرءان، تطيل السجود كما تشاء، تجلس بعد الإنتهاء لِتدعو بما يحلو لك.

ستُلاحِظ أنك تشعُر بالسكينة والهدوء وصفاء الذِّهن.

وحينها، تكون حَققْتَ هدف هذه الصلاة.

رُبما تصل لهذا الإحساس أثناء الوقوف، أو أثناء السجود، أو بعد الإنتهاء وأنت تدعو..

المهم حاول ألا تنصرف دون تحقيق هذه اللحظة.

-حسناً.. ماذا إن لم أشعُر بشيء سوى رغبة فالنوم؟

=لا بأس، أتظُن أن إبليس يترُكك تنعم بهذه المرتبة المُرتفِعة؟

سيُزعِجُك فالبداية، لكن جاهِدهُ أسبوعين، وسترى تيسيراً بعد ذلك وراحةً في تلك الدقائق الليلية.

وعُموماً لا تقلق..

أعددنا لك خُطَّة ذكيِّة، ستجعل هذا الأمر يسيراً جداً.

سنُطلِعُك عليها لاحقاً في هذا الباب.

وهكذا إن كررت هذه الصلوات مرتين أو ثلاث مرات فالأسبوع أو كل يوم،

فستلاحظ بنفسك تطوراً ملحوظاً في الخشوع.

سنعاود الحديث عن صلاة الليل هذه بمزيد من التفصيل بعد قليل..

-حسناً.. لدي سؤال.

هل هذا يعني أن صلاة الجماعة لاتقوي أو تعزز الخشوع؟

=بلى.. إنها تدعمه كذلك.

مانقصده أن الصلاة الفردية مهيأة أكثر لإكسابك الخشوع.

ومع الوقت ستتمكن من تحقيقه وإزكائه في كلا الصلاتيْن الفردية والجماعة.

وستشعر أكثر وأنت تُؤدي صلاة الجماعة بقوة الترابط بينك وبين المُصلين، لاشتراكِكُم في نفس التوجُّهْ، وأنكم جميعاً في مَحفَلٍ تدخُلون على المَلِك.. القُدُّوس الأعظم.

-حسناً.. هذا جيد.

لدي سؤال عن الصلاة بشكلٍ عام..

كيف أستنتج أن صلاتي مقبولة سواء كانت صلاة جماعية أو فردية؟

=بالطبع لايستطيع أحد معرفة هذا الأمر، فقبول الأعمال بيد الله تعالى.

لكن هُناك بعض المؤشرات التي لابد أن تجدها.. مايلي بعض منها:

- أن تكون الصلاة في أول وقتها. فالله تعالى يُحب ذلك وهو دليل على اهتمامك بمواقيتها.
- أن تكون حاضر الذهن قدر المستطاع. وأن تُحارِب المُشَتِّتات وتَنتَبه لها.
- ألّا تَنْصرِف فور الإنتهاء من الصلاة. فَعَلامة رضا الله عن صلاتك أن تشعُر بالرغبة في الجلوس للاستغفار وختم الصلاة والدعاء، ثُمَّ صلاة النافلة إن كان لديك وقت. فمن يدري.. ربما تكون صلاتك غير مقبولة، فيكون استغفارك عقب الإنتهاء سبب قبولها.

لا تقلل من شأن هذه الدقائق التي تعقب صلاة الفريضة.

-هذا جيّد..

قُمنا للتو بشرح الصلاة وأنواعها وفائدها وكيفية أدائها.

هيا لِنُكمِل الحديث عن تعزيز الخشوع والمُراقبة الذاتية، التي تَفتَح لَنا بَصيرة قُلوبِنا.

البصيرة

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * – المؤمنون

-هيا أخبرني..

كيف أقوم بفتح بصيرتي؟

=حسناً..

سنعطيك بعض التمرينات التي تعمل على تقوية خشوعك وتركيزك فالصلاة، وتعزيز مُراقبتك الذاتية، وفتح بصيرتك فترى بنور الله.

لكن انتبه..

ستحتاج أن تُطهّر جوارحك وعينيك أولاً..

لعلك تفهم مانقصد..

فتطهير العين يكون بِتَجنُّب إطلاق النظر للحرام.

وتطهير الجوارح يكون بكف الأذى عن الآخرين.. لاسيّما أذى اللسان.

حسناً. لنبدأ..

الليل!

ستتمكن من فتح بصيرة قلبك عندما تتقدم في مهارة الخشوع. تعزيز الخشوع يأتي بأداء بعض الصلوات ليلاً كما ذكرنا مُسبقاً.

وبما أنها صلاة نافلة، فيُمكِنك إطالة السجود كيفما تشاء، حتى وإن شرد ذهنك وأنت ساجد، فلابأس،
فقط ابق ساجداً ليعتاد جسدك على السجود الطويل وعلى تنظيم تدفق الدم للرأس، وضبط التنفس أيضاً.
السجود في حد ذاته له فوائد عديدة، فوضع جبهتك على الأرض يعمل وكأنه تفريغ للشحنات، مثلما هو حال القضبان المعدنية التي تراها فالمنشئات والتي تصل إلى الأرض لتفريغ الشحنات في حال تعرضت المباني للصواعق.

أنت أيضاً مليء بالشحنات وتحتاج لبعض التفريغ والتوازن، وتنظيم تدفق الدم للدماغ.
ولهذا يُنصح بالسجود على أرض خشبية أو سجاد ذو خامة طبيعية، لتكون باردة وناعمة، وتجنب قدر المُستطاع السجّاد الصناعي الذي تنبعث منه الحرارة المزعجة، لاسيما عند إطالة السجود.

المهم..
إطالتك للسجود مع ذكر الله تعالى وأنت ساجد، سيعمل على فتح بصيرتك بإذن الله.
فَمَرّن نَفْسَك وواظب عليها.

دُعاء القُرب

هذه الطريقة يُفضَّل فيها الجلوس على سجادة الصلاة واستقبال القبلة،

والإنصات إلى أحد الأدعية، فتشعُر بالراحة والإمتلاء، وفي ذات الوقت، تتعود على ما يُمكن قوله إذا أردت أن تدعو الله،

مع الوقت ستحفظ بعض منها.

سنعطيك خُلاصات ما تحتاجه بشأن الدُّعاء فالباب الخامس بإذن الله.

المُهم..

إبْحَث عن دعاء أو مُناجاة لله في اليوتيوب، قُم بتشغيله على هاتفك، واسرح في بحور كلماته العذبة في أوقات السَّحَر، أو في الوقت الذي تُحِبُه.

يُمكنِك السجود أيضاً وأنْت تُنصِت للدُّعاء، إن كان جُلوسك سيجعلك تتشتت بالنظر للأثاث أو لأي شيء حولك في الغُرفة.

السُجود مُفيد لك في كُل الأحوال.

-جيد، شكراً لك..

حبذا لو تعطيني دعاء من هذه الأدعية؟

=بالطبع..

تفضل..

ستجد هذا الدعاء على اليوتيوب، وهو للدكتور محمد سعود الرشيدي.

اسمه "دُعاء القُرب الإلهي".



الرابط:

https://www.youtube.com/watch?v=W4palP3agfY&pp=ygUg2K_Yudin2KEg2KfZhNmC2LHYqCDYp9mE2KfZhNmH2Yo%3D

الطعام والبصيرة

هُناك حقيقة أجمع عليها كثير من الحُكماء والعارفين تتعلّق بشهوة الطعام وارتباطِها بالحِكمة والنُضج..
وصَدَقَ من قال: "لا تسكُن الحِكمةُ في معدةٍ مملوئةٍ من الطعام"

ويبدو أنّ هذا أحد مقاصِد الصيام.. بأن تُطلِق العنان لروحك، فتَتَمَدّدْ هذه الروح عندما تعتاد معدتك على القليل من الطعام. فالمعدة إذا امتلأت، أصابتك بالعِلَلْ، والتي تُعيق نُضج الروح وتحرُّرِها.

الطعام شهوة!، ومن يَمْلِك القُدرة على ضبط كمية الطعام الذي يتناوله، تَقوى إرادته.
فإن قَوِيَت إرادته، يُصبِح مؤهلاً لضبط نفسه وكبح جماحها في ميادين أخرى،
كالقيام لصلاة الفجر، أو كالإنتباه لقيمة الوقت، وعدم هدره فيما لاينفع.
أو في ضبطه لكلامه مع الناس، فَيَقِل وقوعه فالغيبة والنميمة.

وهكذا..
فكُل هذه الفوائد التي ذكرناها، ستتمكن من إحراز تقُدم ملحوظ بها إذا ما تَحَكمْتَ في شهوة الأكل.
وبالطبع لم يَفُت هذا الأمر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد رُويَ أنه قال:

(ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فاعلاً فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه)

العجيب أنّ أغلب الناس تحفظ هذا الحديث، لكنهم لا يعملون به!

فالرسول عليه الصلاة والسلام ينصح الناس بشكل واضح ألا يُكثِروا من أكل الطعام، وأن يكتفوا بلُقيمات خفيفات.

ولِعلمهِ بصعوبة الأمر على أغلب الناس،

أمرنا ألّا نَمْلأ أكثر من ثُلُث المعِدة.

أما الذي يأكل حتى الإمتلاء أو الشبع، فهذا ليس أكل بني الإنسان.

فوائد المَعِدَة غير المملوءة عديدة.. مِنها أنكَ تستطيع التَحرُّك بسهولة، والتنفُّس بسهولة،

والتركيز فالصلاة أو الدراسة أو العمل. كما أنها تحمي جسدك من التُخمة وزيادة الوزن.

بينما في حالة ملئ المعدة، لن تجد شيأ مما ذَكَرْناه سهلاً.

-حسناً.. ماذا أفعل لأُحقِّق هذا الأمر؟

=سنعطيك الحل.. تابع الفَقْرَة التالية والأخيرة لهذا الباب.

المُعادلة المُتكاملة

تكلمنا فالفقرة السابقة عن بعض الرياضات والتمرينات التي تعمل على تعزيز بصيرة قلبك ومُراقبتك الذاتية.
سنُذكِّرُك بهذه الرياضات.

إنها تتلخص فيمايلي:

1. صلاة الفجر
2. صلاة الليل
3. الذِّكر/القرءان
4. تقليل الطعام
5. الإنفاق

هذه الرياضات الخمس، عندما تقوم بها وتعتاد عليها، سيتغير كيانك داخلياً وخارجياً بالكُلية.
هذا التغيير ستُلاحظ معه أنك أصبحتَ أكثر قوةً وصلابةً وتحكُّماً.
سَتَشْعُر أنك أصبحتَ مُتحرراً من قيود التعلُّق بالأشياء، أو الناس، أو الشهوات إلى درجةٍ جيدّة.
ستكون راضياً عن أقدار الله وأفعاله.

حسناً.. لن نُفصِّل كثيراً، لكن سترى بنفسك تحسُّناً كبيراً.

-لاحظت أنك جعلتهم خمس رياضات؟

لماذا خمس رياضات تحديداً؟

=يقول البعض أنّ الرقم خمسة هو رمز التغيير والإرتقاء.

فنحن نُصلي خمس مرات فاليوم والليلة. والصلاة تعمل على تغييرنا من الداخل، وترتقي بعلاقتنا مع الله و مع الناس.

أيضاً جعلنا هذا الكتاب في خمسة أبواب. ليكون بوصلتك للتغيير والإرتقاء.

وكذلك أردنا تلخيص رياضات اقتحام العقبة في خمس رياضات.

-عقبة!.. ماهذه العقبة؟

=سنتكلَّم عنها بشيء من التفصيل بعد قليل ..

-حسناً..

يبدو أنني بحاجة لُمارسة هذه الرياضات أو التمرينات في نفس الوقت،

وهذا يجعل الأمر أكثر صعوبة. إنه أشبه بعَقَبَة تحتاج لجهد!

-إذاً.. فأنا بحاجة لاقتحام هذه العقبة. أليس كذلك؟

=نعم.. هذا ما ستقوم به ياصديقي.

-لكن كيف ذلك؟ فإسمها في حد ذاته يوحي بصعوبة الأمر..

إنها عَقَبة!

=أجل.. نعلم ذلك. ولهذا،

جهزنا لك خُطةً ذكية ستجعل اقتحام تلك العقبة أمراً يسيراً عليك.

-رائع!

=حسناً. لنبدأ..

أعطانا الله هدية ثمينة.

هذه الهدية هي شهر رمضان المُبارك.

كُنت أتسائل.. لماذا يقول لنا الله في سورة البقرة (وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)

حسناً.. تعال نُفكِّر أولاً لماذا الصيام وماذا يفعل بنا؟

لِنذْكُر بعضَ فوائد الصيام..

النفس البشرية بطبيعتها تميل إلى الركون لمناطق الراحة. لاتُحب بذل الجهد أو الحِرمان مما تشتهيه أو تُريده.

والحقيقة أنه كُلما استطعت ترويض هذه النفس أو مُقاومتها،

ستكون أَقْدَر على تحمُّل الأمور الصعبة في حياتك وتحقيق بقية الأهداف بشكلٍ يسير.

فهذه الأهداف فالنهاية هي عبارة عن تحديات، والصوم أيضاً نوع من التحديات، الذي تُجبر نفسك فيه على الإلتزام بعدم الأكل والشُرب، والإقلال من الكلام، وغيرها من الإلتزامات، من بداية الفجر وحتى الليل.

ثُم تُكرِّر هذا النشاط لثلاثينَ يوماً.

ولعل هذا أحد أسباب تفوُّق المُسلمين بشكل عام على غيرهم من الناس في مستوى تحمُّلِهم للضغوط وتجاوز المِحَن والآلام.

حسناً..

جدير بالذكر، أنّ كُل مِنا لديه قيود أو عقبة أساسية خاصة به. وأننا بحاجة لاقتحامها لتبدأ رحلة التحرُّر الحقيقية.

-ماذا تقصِد بهذه العقبة الأساسية أو الرئيسية؟

=لنُعطي أمثلة..

- عقَبَة أحدهم هيَ المال، فهو يُحِب المال، شَحيحٌ في إنفاقه، لأنه مُتعلِّقٌ به.
- وعَقبة شخص آخر في ضعفه أمام النساء، فهو يُطلِق نظره إلى الحرام، ويُصادِق النساء..
- وآخَر عَقَبته في كثرة النوم، فهو ينام كثيراً في يومه، وهذا ينعكس على نشاطه وإنتاجيته وسَعْيِهِ.
- وهذا عَقَبته في ضعف شخصيته.. فهو لايستطيع طلب مايُريد، أو طلب حقوقه، سواء كانت في بيئة العمل، أو في المجتمع الذي يعيش فيه.

وهذه بالطبع، عَقبَة كبيرة. فالتحرُّر يبدأ من اقتحام هذه العقبة تحديداً..

وبما أنّ الكثير من الناس لايعلم أو لايُدرك عقبته الرئيسية..

فهذه الرياضات ستختصر عليك الأمر.

لأنها تشحنك بالقوة والصلابة التي تستطيع معها اقتحام أيٍ من تلك العقبات التي ذكرناها، وغيرها بإذن الله.

-حسناً.. لندخُل فالموضوع.

قد أجمع الحُكماء على أسلوب اكتساب العادات،

والذي يتلخَّص في تكرارك لهذه العادة مدة أربعين يوماً مُتتالية.

حينها يقوم دماغك بتكوين اعتقاد أنك الآن أصبح لديك روتين جديد فيقوم بإضافته في سجلاته.

ومع الوقت تُصبح هذه العادة شيء أساسي، فلا ترى صعوبةً في أدائها.

-هل أدركت الآن أحد فوائد شهر رمضان؟

=نعم!.. أنه يساعد بشكل واضح على خلق العادات الإيجابية التي نُريدُ بِنائها.

-هذا سليم..

وهذا ماسنقوم باستثماره لغرس هذه الرياضات التي تكلمنا عنها.

=لكن مهلاً..

ذَكَرْتَ أنّ تكوين العادات يَحتاج أربعين يوماً.

بينما شهر رمضان ثلاثين يوماً فقط!

-نعم، وهذا يُفسِّر رجوع أغلب الناس لما كانوا عليه قبل رمضان.

ففي النهاية.. تَرَكَ الله لك هذه العشرة أيام التي تَعقُب رمضان، لتُكمل فيها مسيرة ترسيخ تلك العادات.

إن كُنت حقاً تود اكتسابها والإستمرار عليها.

حسناً..

يبدو أنك فهِمت مايجب عليك فعله.

تعال أولاً نُلق نظرة على يومك في رمضان باختصار..

أنت تستيقظ كل يوم في رمضان، قبل الفجر بنصف ساعة تقريباً. تتناول السحور. ثُم يدخل الفجر، فتُصلي الفجر وتنام قليلاً إلى الصباح.

وفالليل، تُصلي العشاء وبعض الركعات، وهي التراويح.

ثُم تأتي فالعشر الأواخر، لترفع وتيرة عملك أكثر. فتستيقظ قبل موعد السحور بما هو مُتاح لك من الوقت.

فتُصلي بعض الركعات لعلها تكون ليلة القدر.

ثم يدخل وقت السحور، فتذهب لتأكل شيئاً.

وهكذا.. تجد نفسك فالأسبوع الثالث أو الرابع من رمضان، قد اعتدت على الإستيقاظ قبل الفجر بشكلٍ تلقائي، وتجد معدتك قد تأقلمت على كميةٍ قليلةٍ من الطعام.

لا بأس.. هذا جيد جداً..

كل مانريده منك.. هو ألا تُسرِع بتخريب هذا النظام الجديد بعد انقضاء العيد.

فبعد انقضاء العيد.

استيقظ كما كنت تستيقظ، قبل الفجر بنصف ساعة أو عشرين دقيقة.

تُصلي ركعتين لتُكْتَب مع القائمين بالليل. ثُمّ تَخْتِم بركعة الوتر.

مع الوقت ستجد أنك تُحب زيادة وقت صلاة الليل هذه.

إن وجدت ذلك، قم بزيادة وقت الليل هذا كما تُحِب لكن احرص ألّا يؤثر على نشاطك بالنهار.

ستستفيد من صلاة الليل في التعرُّف أكثر على القرءان الكريم. فتُفتَح لك بعض الفُتوح وأنت تقرأ منه، سواء كُنت تقرأ من المصحف أو من هاتفك.

أيضاً ستبدأ بمُلاحظة ذاتك الحقيقية التي كانت مُخبأة طوال اليوم..

بعض الناس لا يُقابِل ذاته الحقيقية إلّا عند الموت!، فيفيقُ عليها فجأة ليكتشف أنهُ كانَ يعيش وهماً.

-عفواً.. ماذا تقصِد بالذات الحقيقية هذه؟

=إنها ذاتك التي يَحول الشيطان دون وصولك إليها، كما تَحول ظُروف يومك وعملك ومُخالطتك للأهل والأقارب وللناس دون وصولك إليها أيضاً.

فنحن طوال اليوم نرتدي قُبَّعاتٍ مُختلِفة، أو ندور في عدة شخصيات، كشخصية الأب، والأم، والأخ، والإبن، والموظف، واللقب الوظيفي.

ويحدُث الخلل عند طُغيان شخصية من تلك الشخصيات على البقيّة.

كأن يعيش أحدهم في شخصية أو قُبَّعة المُسمى الوظيفي هذه طوال يومه، حتى داخل بيته!،

وهذا بالطبع محروم.

لنعود..

فبسبب وجود كُل هذا التشتُّت على مدار اليوم، يأتي الليل حيثُ السكون مع الله المَلِك القُدُّوس،

ليكون الوصفة السحرية التي تُزيل هذه الذوات المُزيّفة، وتضعك أمام ذاتك الحقيقية، لِتتمكن من رؤيتها على حقيقتها وتتعرف على نقاط ضعفها.

حسناً..

بعد انتهاء صلاة الليل، ستجلس في مُصلاك تستغفر الله.

فقد أشار القرءان لوقت السَحَر بأنه وقت الإستغفار.

كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (19) – الذاريات

لاحظ أنّهم يفعلون رياضتين معاً..

فهم يقومون الليل، ويجعلون جزءاً من أموالهم وكأنه حقٌّ، وقد فسره المُفسِّرون بالزكاة.. وهذا سليم، لكن هذه الزكاة أكبر وأشمل من الزكاة التي يحول عليها الحول، فالأخيرة هي الحد الأدنى كما ذكرنا سابقاً، الذي يُخرِجه جميع الناس.

أيضاً هذا الصنف المذكور فالآية، هُوَ على درجة عالية، لا يستطيعها إلا القليل من العباد.

لأنهم يقومون أغلب الليل..

فالآية تقول أنهم كانوا ينامون قليلاً من الليل "قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ"

ثُم هم يعلمون أنّ وقت السَحَر، هو وقت الإستغفار. فيجلسون للإستغفار فيه. وهو قُبيْل الفجر.

هذا جيّد..

عند دخول الفجر.اذهب وصلِّ الفجر. أو صَلِّ فالبيت إن تعذّر الخروج.

ثُمّ نِم قليلاً إن شئت، أو ابدأ يومك إن استطعت ببعض التمارين الرياضية الخفيفة. فهذا أفضُل لك على أي حال.

فقد بورِك في البُكُور.

أخيراً.. إن وجدت صعوبةً في الإستيقاظ للقيام، فعلى الأقل لاتُفرِّط في صلاة الفجر. ثُمّ بعد تمكُّنِك من الفجر، إبدأ بضبط المُنبّه لصلاة الليل هذه.

هذا مُمتاز!

أنت الآن حققت رياضتين من أهم الرياضات التزكوية التي تكلمنا عنها..

وهُما صلاة الليل، وصلاة الفجر.

بقي لنا ضبط غريزة الطعام، والمواظبة على ذِكر الله والقرءان.

فيما يخُصّ الطعام.. الأفضل لك الإقلال منه، لطالما اعتادت معدتك في رمضان على القليل من الطعام، وتَقَلّصَت وهيَّأَت نفسها لهذا النظام.

فقط قُم بالإستمرار عليه قدر المُستطاع.

إن لم تستطع، فعلى الأقل إحرص ألا تصل لمرحلة الشَبَع إذا أكلت، فهذا يضرُّك.

وأخيراً، فيما يخُص القرءان والذِكر..

الذِكر:

قُم بالمواظبة على أذكار الصباح والمساء كبداية، ثُم إن أردت الزيادة، فلابأس بحمل مسبحة معك لتذكيرك.

ومع الوقت، ستشعر أنّ الله موجودٌ معك، وفي قلبك،

وهذا هو المُراد من الذِكر، ألاتغفل عن استحضار معية الله.

القرءان:

خصصنا باباً كاملاً للقرءان، وهو الباب الثاني..

بالتالي ستعمل بما ذكرناه بشأن جمع السُوَر في جوالك.

لا تترك يوماً يمُر عليك دون سماع ساعة إن توفّر الوقت..

لا تقلق لن تشعُر بأنه وقت كبير لأنه سيكون مُوَزّعاً على يومك وقبل نومك.

واجعل لك ورد تقرأه إن استطعت.

حسناً..

كانت هذه الرياضات الأساسية.

يُمكنك أيضاً إضافة بعض اللياقات الأخرى إليهم إن شئت.

فمع إقلال الطعام، يُمكنك أيضاً تجربة إقلال الكلام. فكثرة الكلام توقع في الخطأ.

ومع رياضة الذِكر، سترى أنك بحاجة لاعتزال الناس.. فاعتزال الناس لبعض الوقت، جيّد وصحي، لاسيما في هذا الزمان، حيث يغلب على مجالس الناس الغيبة والنميمة، أوالكلام فيما لا ينفع.

-لكن لحظة..

ماذا عن الرياضة الخامسة؟ الإنفاق

=هذا سؤال جيد!

هذه رياضة مُمّيزة،

سنتكلم عنها في نهاية الباب الخامس والأخير بإذن الله.

والآن تعال نختِم هذا الباب بالحديث عن السُبُل كما وعدناك.

-سُبُل!..

ماهذه السُبُل؟

=إنها السُبُل التي تعوق مسيرتك و تَصْرِفك عن إنجاز رسالتك.

مدارس الطاقة والنور

بعد أن تعرَّفنا على الطُرق السليمة التي نتصل بها بالله ربنا، وبعد أن تعرَّفنا على أساليب اقتحام العَقَبَة الخاصّة بنا.

سنتعرَّف على بعض السُبُل والمُشتِّتات، التي حذَّرنا الله من الدُخول بِها فتَفرَّق بنا عن سبيله كما جاء في سورة الأنعام.

وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ – الأنعام

حسناً.. لنبدأ بالحديث عن الطاقة..

السلام الداخلي

–دعني أبدأ بالسؤال الأكثر شُهرة.. هل يوجد طاقة؟

=إنه الأكثر شُهرة حقاً.

فالحقيقة، لا تهمنا التسمية!..

لكن يُمكننا القول أنها بعض القوى الخفيّة، أو الخارقة، أو الإستثنائية التي تُعطى للإنسان،

كأن يتمكَّن أحدهم من الإرتفاع بجسده عن الأرض، أو الجلوس تحت الماء لساعات طويلة دون أن يموت، أو أن يُخبِر الناس ببعض متاعهم الضائع أو ببعض الأشياء في بيوتهم، أو أن يرى بعض الأحداث التي رُبما تحدُث في المُستقبل

القريب، أو بالسيطرة على خيالات بعض الناس، أو بعض الأمور التافهة كأن يَعْلَم بعض المعلومات الشخصية عنك فيوهمك بأنه يعلم عنك الكثير.

والحقيقة أن كل هذه الأشياء يُمكن حدوثها عن طريق الإستعانة بالجن والشياطين.

وهيَ بالطبع لاتُقدَّم بالمجَّان.

وجدير بالذكر أن الجن والشياطين يستطيعون القيام بأشياء أكبر من ذلك، لكنهم محكومون بقوانين الله بعدم التعرُّض لبني آدم. فهُم في عالَمهم، ونحنُ في عالَمنا.

-لدي سؤال..

هل يستطيع إبليس وقَبيله من الجن التسلُّط على الإنسان أو إلحاق الأذى به؟

=لا، لكنهم يستطيعون أذيتنا إن أعطيناهم الإذن وسمحنا لهم بأذيَّتنا، وذلك عند اتصالنا بهم واتِّباعِ إرشاداتهم.

حينها يكون هذا الإنسان، اختار بإرادته أن يسلُك سبيل إبليس، فيخرُج بذلك من الحصانة التي كان فيها بأمر الله.

إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42) – الحجر

إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27) – الأعراف

-هل يرانا إبليس والجِن؟

=نعم.. لكنه لايستطيع أذيَّتنا بأي حال.

إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ - الأعراف

-فَهَل نراهُم نحن؟

=لا،

لكن يراهم من ارتضى أن يكون تابعاً لهم. أو من دخل في عالَمِهم وتشابكت مصالحهُ معهم. كالذين يمتهنون مهنة "مُدرب طاقة" التي لانعلم لماذا لا يُطلِق المجتمع عليها مهنة "الدَّجَل" كما كانَ يُطلَق على أجدادهم فالسابق.

-هل لديك دليل أن الإستعانة بالجن تضُر بنا؟

=نعم.. اقرأ مايلي:

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6) – الجِنْ

هذه الآية تُخبِرُك بكُل وضوح، أنك أيها الإنسان عندما تطلُب العوْن والمدَد من الجِن، فإنهم يتجرأون عليك بعدها، ويُرهِقونك.

-حسناً.. كيف يتجرأون عليّ؟ كيف يُرهِقوني؟

=الأساليب كثيرة..

أبسطها أنهم يحومون حولك باستمرار. يأتوك ليلاً، يوقظوك من نومك، يُخيفونك بالكوابيس، يُزعِجوك بصُراخِهم، يُدخِلونَك في دوَّامات من المعلومات والأحداث المُتداخلة المُزعِجة بهدف تشويشك، يتسببون بإصابتك بآلام الرأس والجسد، يوسوسون لك بوساوس وأفكار كُفرية وإلحادية تجدها تتزايد بداخلك.

والذي يدخُل معهم لِمُستوياتٍ أعلى، فإنهم يظهرون لهُ، وأحياناً بصُور مُخيفة.
ويتحتَّم على هذا الشخص الذي ارتضى العمل معهم أن يُنفِّذ بعض الطلبات التي تُطلَب مِنهُ.
وتتحدد هذه المُستويات والترقِيات حسب أنواع القرابين المُقدَّمة.

-عفواً..

لكن مدربو الطاقة لايقولون لمُتدرِّبيهم أنهم يتعاملون مع جن وشياطين، وإنما يقولون لهم أنها كينونات وملائكة!

=نعم، ألم نقل لك أنهم دجَّالون؟

أغلبهم يعلم أنها شياطين وجِن. لكنهم لن يُخبِروك بهذا كي لا تضيع تجارتهم ومكاسبهم الماديّة.

هُم لديهم أجوبة لأي سؤال.. فعندما تُخبِرهم بالأعراض السلبية التي أصابتك، يقولون لك بأنك أنتَ السبب، فقد مارست التمرين بشكلٍ خاطئ!، أو يقولون لك بأنها أعراض التحرُّر من القيود.

وهُم أذكياء كذلك.. فيأتونك مِن مَداخِل رائعة وإيجابية..
كجلسات تنظيف الهالة والشَاكرات، والصحة النفسية، وجلسات التشافي أو الإستشفاء الذاتي، وكارما العلاقات، ورفع الإستحقاق، وجذب شريك الحياة، وجذب المال والثراء..

ومِنهم من طَرَح مُبادرة أسماها مُبادرة صناعة مليون قائد عربي بكل جُرأة..
ولا ندري أي قائد هذا الذي سيصنعه بجلسات الرقص والتأمُّل، والكلام السفسطائي، والجدل البيظنطي، والغوص في أعماق توحّد الذات للبحث عن حقيقت الحقائق.. ☺

-معذِرةً.. لانُريد خلق عداوات أو السُّخرية من أحد..
لنسأل أسئلة مُهمة، فنحنُ قومٌ عمليون.
لماذا لا نَنْظُر للأمر من زاوية أخرى؟
كأنَّ تكون هذه الكينونات تُقدِّم لنا النفع، بالتالي يُمكِن استثمارها والإستفادة منها.

=لا بأس..

هل تَعلَم أحد تعامل معها وحقَّق النفع المطلوب؟

كأن يُخبِرونه بأسعار الأسهُم والعُملات، فيشتري هُنا وهُناك ويُصبح مليارديراً صاحبَ ثروةٍ مالية؟

أو ينقلون له البضائع والحاويات، كالتي حدثت في عهد سُليمان، فينقلها نقلاً جُزيئياً أثيرياً، بدلاً من عملية النقل البحري التقليدية. ويتكسَّب من وراء هذه القوة والطاقة الخارقة ملايين الدولارات.

أو يطير فالسماء ويُسافر بجسده ليزور البلاد الجميلة، فيأخذ فطوره في روما، وغداءه في النرويج، ويستمتع بجلسة سَمَر في جنوب أفريقيا.

لكن للأسف هذا غير مُتَوفِّر!

بل إننا نجدهم يتمعيشون على بيع دوراتهم بأسعارٍ باهِظة،

وبتقديم استشاراتهم للمُتدربين بمُقابل مادي مُرتفع تحت ذريعة الإستحقاق.

فيقولون لهم، نحن لسنا بحاجة للمال، لكنه استحقاقنا المُرتفِع ليس إلّا.

ويُحدِّثونك عن عقلية الثراء وجذب المال، ثُم لا تَجِدُهم يُطبِّقونها!

فهُم يصنعون ثرائهم ببيعك هذه الدورات.

ومنهم الموهوب الذي يجذب مُتابعيه بالقُرءان. فيستخدم آيات القرئان ويستدل بها ويُفسِّرها كما يشاء دون ضوابط أو معايير عقلانية.

ثُمّ تجده يُوظف هذه التفاسير في خدمة أهدافِهِ ومصالِحِه، أو في مُهاجمة خُصومه، أو لتسويق دوراته.

حسناً..

لنكتفي بالحديث عن هؤلاء المُدرِّبين..

-لدي سؤال..

ما حقيقة هذا الأمر؟

كيف ولماذا نشأت هذه الأفكار والإتجاهات الطاقيّة أو الماورائية؟ والإتصال بالجن والكينونات..

=هذا سؤال جيِّد..

لن ندخُل في تحليلاتٍ وجدلياتٍ بيظنطية عن هذه الظاهرة، لكننا سنبدأ من بداية مُلكِ سُليمان.

ونقوم ببعض التدبُّر والإستنتاجات.

كما نعلم، أنَّ سُليمان عليه السلام هو النبيّ الوحيد الذي أُعطِيّ مُلكاً لم يُعط لأحدٍ من بعده.

جاء هذا في سورة ص كما يلي:

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (38) هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (39)

يَظهَر أنهُ تَمَّ تسخير الرياح له، فكانت تَحمِله حيثُ يَشاء.

وأُعْطِيَ مُلكاً على الشياطين. فكانوا يعملون تحت أمرهِ. ويَخافون منه، لأنَّ الله هو الذي منحهُ سُلطَةً عليهم.

-حسناً..

وماذا بعد؟ مالذي تُريد أن تصل إليه؟

=نُريد أن نُمسِك بأول الخيْط

سُليْمان مَلِك من مُلوك بني إسرائيل، ويبدو أنّهم كانوا ولازالوا مُنبهرين به وبسُلطانهِ الفريد.

فأرادوا من بعده مُحاولة مُحاكاة بعض تلك القوى الخارقة التي كان يتمتع بها سُليْمان عليه السلام.

مع أنهم يعلمون جيِّداً أنهم ليسوا مُستحقين لها، وأنَّ الله تعلى كانَ قد خصَّ سُليْمان بها.

-هذا عجيب! هل تُريد أن تقول أنهم حاولوا التواصُل مع الجن والشياطين؟

=نعم.. بالظبط!

ظَنَّ هؤلاء أنهم سيحصلون على بعض امتيازات سُليْمان عليه السلام.

ويُقال أنَّ إبليس خَدَعَ بعض أحبارهم وقال لهم أنّ سُليمان كانَ يُخبِّئ بعض الكُتُب تحت كُرسيه، وفيها الأسرار التي كان يتحكم بها في مملكته. ثُمَّ دلَّهم على بعض كُتُب السِّحر عوضاً عن ذلك.

وسواءً كانت هذه الروايات حقيقية أم خيالية..

إلّا أنَّ بني إسرائيل فالنهاية رحَّبوا بفكرة التواصُل مع الشياطين.

لِنُلقِ نظرة على الآيات في سورة البقرة:

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102) – البقرة

تنفي الآيات الكُفر عن سُليمان، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ إبليس أوهمهُم أنَّ هذا ما كان يقوم به سُليمان!

ثُمَّ تُكمِل الآيات لِنكتشف أنَّ خُلاصة ما حَصَلَ عليه هؤلاء هو سِحْر تفريق بين الأزواج وبعض الأعمال السُفلية. فتعَّلموا ما يضُرُّهم ولا ينفعهم. وتختِم بأنهم باعوا أنفسهم لإبليس بثمنٍ بخس!.

ثُمَّ تأتي هذه الآية:

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (103) – البقرة

فلو أنهم انشغلوا بواقعهم وبما هُم مُستخلفين فيه على الأرض، وآمنوا بربهم واتقوه، لكانَ خيراً لهم من سعيهم خلف الطلاسم والتعاويذ الشيطانية التي لم تنفعهُم، بل أضرَّتهُم وأضاعت عليهم دُنياهُم وآخرتهم.

فماذا نتوقع من سبيل إبليس غير ذلك!

لعلك أدركت الآن أسرار اللُّعْبَة!

الأمر باختصار، أنَّ سُليْمان عليه السلام هو الوحيد المُتفرِّد من بني آدم بسُلطَتِهِ ومُلْكِهِ على الشياطين..

فكانَ فوقهم، فلا يستطيعون إيذاءه، وكانوا يأتمرون بأمره. ومن يزِغ منهم يُعاقب ويُعذَّب.

بينما إذا سألتَ أي ساحِر يتعامل مع الشياطين، فسيُخبِرُك أنه إن أخطأ، فإن الشياطين تُعاقِبه.

فشتَّان بين مُلك سُليمان على الشياطين وبين السَّحَرَة التابعين لِصِغار الشياطين. فهؤلاء لم يبلُغوا من الشأن ما يصل بهم لإبليس بعد!

وهكذا.. فأي شخص يَدّعِي أنه يُسَخِّر الشياطين أو حتى الجِن، فهو كاذِب.

فعلاقة الإنسان بالشيطان هي علاقة تابع ومتبوع، وليست شراكة أو منفعة.

فالشيطان بينه وبين الإنسان عداوة. وهُو بالطبع أخطر من الجِن في تأثيره وانتقامه من أتباعِهِ.

-حسناً..

لقد فهِمت الآن!

ماهيَ القرابين التي يُقدِّمها أتباع مدارس الطاقة للجِن والشياطين؟

فأنا لا أرى أية قرابين في جلسات التشافي والإسترخاء والعلاجات وغيرها!

=لا ياعزيزي.. القُربان موجودٌ بالطبع!

يكون القُربان في هذا النوع من الجلسات هو رقصهم قبل البدء فالتأمُّل.

لن تَجِد أياً من هؤلاء المُدرِّبين يُقيم فعالياته دون رقص جماعي بدعوى أنها تُعزِّز البصيرة والتكامُل وأي شيء تود قوله..

المُهم.. إجعلهم يرقصون ليُقدموا قُربانهم ☺.

بالطبع هُناك قرابين كثيرة ومُتنوعة، لكنها ليست مَحَل اهتمامنا هُنا..

-هذا مُمتاز، لقد فهمنا السّر!

-حسناً.. نرى عنواين لدوراتٍ رائعة ومُثيرة للفضول، تحوي كَلِمات مُشابِهة لما يلي:

استشفاء ذاتي\المجال الطاقي\جذب الشريك\الوَفرة والثراء\الإستحقاق\التجلِّي السريع\قوانين الكوْن\السلام الداخلي\العيْش بوعيْ\تحديد المسار..

وغيرها من العناوين البرَّاقة ذات الطابع النوراني الإبداعي.

سؤالي هو.. هل تنصح بِشرائها؟

=لابُد وأنك تعلم إجابتي.. ☺

لا تدع تلك العَناوين تُثير فضولك، ولا ننصحك باستثمار أموالك فيها، إلّا إن كُنت مولعاً بالروايات والأفلام الخيالية ودفع المال في اليانصيب.

وحتى وإن افترضنا أنها دورات مُفيدة، مع استبعاد هذا الإحتمال..

فهي لازالت لا تستحق رُبع قيمتها المالية.

حسناً..

هذا يكفي فيما يخُص مدارس الطاقة وأتباع حركة العصر الجديد.

لننتقل الآن إلى النوع الثاني، وهُم أتباع المدرسة النورانية.

تصوُّف نَوراني

فالحقيقة، هؤلاء ليسوا بوضوح أتباع مدارس الطاقة.. ويصعُب كشفُهم، لأنه يغلِب عليهم سَمْت المُحافِظ المُلتزم بالدين.

لكنهُم للأسف يشتركون مع أتباع مدارس الطاقة في تواصُلِهم مع الجِن كذلك،

الفرق أنَّ هذا التواصُل يتم عن طريق الأوراد والأحزاب والمُجرَّبات وغيرها من الطقوس المُبتَدَعَة.

-عفواً.. كيف يكون وِرْد لذِكرٍ ما، وسيلة لجذب الجن؟

=عندما يتحول الذِكر من مُجرَّد وِرد للتقرُّب لله إلى قُربان!

-وكيف يتم ذلك؟

=يتم ذلك عندما يُعطيك المُعالِج الروحاني المُتصوِّف ذِكر أو وِرْد أو حِزب تُردِّدُه عدد مِن المرات، ويكون هذا العدد مُريباً بعض الشيء.

لنعطي مثال..

مايلي بعض المُجرَّبات "حسب قولهم" التي وجدناها في مكتبات المُتصوَّفة:

- *للخلاص من السجن ودفع الغم وصلاح الأمور قل "يا بديع" 86 مرة يوميا ولمدة أربعين يوما .*
- *ومن أغمه أمر فليصل ركعتين ، ثم يقول" يا بديع السماوات والأرض" سبعين مرة، ثم يقول "البديع" ألف مرة ، ثم يتصدق فتقضى حاجته إن شاء الله تعالى.*
- *من أراد أن يطلع على علم الضمائر ، أي أن يدرك ما يضمره الآخرون فليقل "يا باطن" 62 مرة يوميا لمدة أربعين يوما.*
- *ومن قال" أجب يا جبرئيل بحق الله الباسط" 2002 مرة لمدة أثنين وسبعين يوما ، وسبقها بعشر صلوات على محمد وآله ، وختمها بعشر صلوات نال حاجته .*

=هل تساءلت لماذا هذه الأعداد على التحديد؟

هذه الأعداد هيَ القُربان الذي تُقدمه للجن وأنت لا تدري!
هذا العدد هو التعويذة التي تقوم بتحضير الجن المُختص بها.
لكنه ليس أحمقاً.. سيأتيك هذا الجن في منامك على هيئة رجُلٍ صالح بلحية بيضاء، يحمل مسبحة ويُصلي معك.

-وماالُمشكلة!.. رجُلٌ صالح، يُعينني على العبادة والصلاح

=المُشكلة أنه سيتدخَّل في أمورٍ كثيرة في حياتك. يُريك مشاهد وأحداث أنت في غنى عنها.

يُنغص عليك نومك ويُرهِق راحَتَك بأحلام ثقيلة، وهي الإسقاط النجمي.

هل نسيت ما قُلناه عن الجن مُنذ قليل؟ "زادوهم رَهَقا"

وأخيراً.. ستتحول مع الوقت لشخص يستخير هذا الجن بدلاً من أن يكون اعتمادِك على ذاتك أو بدلاً من استخارتك لله.

فتكتفي بالتفكير فيما تُريد قبل النوم، فيأتيك في منامك بأي شيء يراه مُناسباً. فتعمل به مثل "الزومبي"، لتنحدر مع الوقت من رُتبة الإنسان المُستخلَف الذي يعتمد على نفسه، إلى تابعٍ يتَلَقى الإرشادات من مُرشِده الروحي حسب قولهم.

ودائماً ستجد هذه التسميات البرَّاقة والتي تهدِف لِخداعك.

فيُطلِقون على هؤلاء الجِن اسم الروحانيات العُلوية، أو الصُحبة الصالِحة، أو مُرشِد روحي، أو المَلاك الحارس، أو الكائنات النورانية.

حسناً..

نقول لك مُجدَّداً.. لا تنخدِع بهذه المُسمَّيات ياصديقي..

فكُلُّهم من الجِنْ، والجِن لن يزيدك إلا رَهَقا.

والذي لَفَت انتباهنا، أننا وجدنا تعريفاً لشخصية فريدة في قواميسهم وهي "الشخص الزوهري". والمُضحِك أنَّ نفس التعريف موجود عند أهل الطاقة تحت إسم "عامل النور".

وجدنا كذلك مجموعة مِن المُتشابهات الأخرى بين هاتين المدرستين، لكنها ليست مَحل اهتمامنا هُنا.

-حسناً..

رُبما تكونُ مُحِقاً ببعض هذه الأوراد العجيبة.. لكن ما بال الأحزاب الصوفية؟

كحِزب البحر وغيره من الأحزاب الطاهِرَة. التي يُقال عنها أنه تم تلقينها لكِبار المشايخ من الرسول عليه الصلاة والسلام.

=لا بأس..

بغض النظر عن عدم واقعية الأمر، بأن يقول أحدهم، قابَلتُ الرسول عليه الصلاة والسلام وأعطاني هذا الحزب!

لكن على أي حال.. تعال نُلقِ نظرة على حزب البحر للإمام الشاذلي.

اخترنا هذا الحزب لأنه خفيف. فَغَيره من الأحزاب كالحزب الكبير مثلاً، وجدنا به شعوذاتٍ فاضحة.

المُهم..

يبدأ هذا الحزب ببعض الذِكر والآيات، فترتاح وتستأنس..

جلسنا نقرأ حتى وصلنا للرُبع الأخير من الحِزب.. فوجدنا هذه التعويذة المُدهِشة ☺

*طس * حم عسق * مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * حم حم حم حم حم حم حم حم * حُمَّ الأمرُ وجاء النصرُ فعلينا لا يُنصرون *حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ *بسم الله بابُنا * *تَبارَكَ *حيطانُنا * *يس* سقفُنا * *كهيعص *كِفايتُنا * * حم عسق *حمايتنا*

ماهذا يارجُل؟ ماهذا التداخُل فالآيات الذي يجعلها أشبه بتعويذة!

أهذا أعطاك إياه رسول الله!

حسناً.. لا بأس، لعلهم لا يقصدون إدخال تعويذات، أو أننا لم نفهم الحِزب وأسرعنا في إصدار الحُكم..

نعم.. إنها الثانية، نحن لا نفهم. ولهذا، تعال نأخُذ حزباً آخر.

لِنُلق نظرة على الحزب الصغير لسيدي أحمد الرفاعي.

حسناً. هيا بنا..

كالعادة يبدأ بأدعية وآيات مُباركة،

منها آية الكُرسي..

هذا مُمتاز..

آية الكُرسي حِصنٌ منيع!

أكملنا القراءة الطيِّبة حتى وصلنا إلى مُنتَصَف الحِزب

فوجدنا مايلي من مُفاجآت:

وبسمو نمو علو رفعتك وبقيوم ديوم دوام ابديتك وبرضوان غفران امان مغفرتك وبرفيع بديع منيع سلطانك وبصلات سعات بساط رحمتك وبلوامع بوارق صواعق عجيج وهيج بهيج رهيج نور ذاتك وببهر جهر قهر ***ميمون*** *ارتباط وحدانيتك وبهدير تيار امواج بحرك المحيط بملكوتك وباتساع انفساح ميادين برازيخ كرسيك وبهيليكليات علويات روحانيات املاك عرشك وبالاملاك الروحانيين المديرين لكواكب افلاكك*

تم ظليل اسم "ميمون" هذا كما ترى..

هل تعلم من هو ميمون هذا؟

إنه أحد مُلوك الجن السبعة. يُمكنك البحث عنه إن شئت.

ومن هؤلاء "الملوك الروحانيين المُديرين لكواكب أفلاكِك"؟

فالحقيقة لا يبدو لي أنه يُخاطب الله في تلك الفقرة، بل يبدو أنه يُخاطب أحد ملوك الجِنْ ويطلُب المَدد منه!

والآن مارأيك؟

أليس هؤلاء النورانيون دجَّالون كذلك؟

-لكنّي أُتابع بعض قنواتهم على اليوتيوب، ولا أجِدُهم كذلك! بل أجدهم طيبون.

=رُبما لأنهم مازالوا على السطح ولم يتعمَّقوا في مذهبهم بعد.

أو لأنهم يُريدون جذب المُريدين، فيُظهِرون لهم مُسمياتٍ روحانيةٍ دينية.

ومع الوقت تجدهم يُدخِلون مفاهيم الطاقة والكواكب والقرابين تحت أقنعة روحانية.

فتجد لديهم الشاكرات الطاقيّة، لكن بمُسمَّى آخر، وهو "اللطائف الستة".

يُمكنك قرائتها في قوقل وستجد أنها تُناظِر شاكرات الطاقة!.

سَتجد الكثير من قنوات اليوتيوب التي تتبنى منهج الأوراد ذات التكرارات العجيبة "القرابين"، والمُجرَّبات المكتوبة بالزعفران، والحديث عن الكواكب، والبوابات الطاقيِّة، والنُسخة الأثيرية، والسفر عبر العوالم، والدخول للبُعد الرابع والخامس، وكشف البصيرة والعين الثالثة.

ولا ننسى أهم مصيدة يستخدمها كُل أتباع تلك المدارس..

وهي إخبارك بأنك في وعيً مُرتفِع.. أنت في بُعدٍ آخر أعلى ممن حولك!

فلا تُناقشهم، واعتزلهم.. لا بأس بمُخالطتهم بجسدك، لكن اعتزلهم طاقياً. لأنهم أدنى منك فالوعي ☺.

وأخيراً..

وجدناً نموذجاً فريداً لا ينتمي لهؤلاء "الطاقة"، ولا لهؤلاء "النورانيون" !

إنهُ غُلام المَغْرِب، الذي أبهَرَنا بتفاسيره اللوذَعيَّة للقرءان الكريم.

وبدوراته ذات العناوين الساحِرة..

ويتميَّز باستخدامه أساليب التشويق وإثارة فضول المُتابعين، فيجذبهم لشراء كُتُبه ودوراته التي يبيعها بأسعارٍ مُرتفعة، كعادة إخوانه أتباع مدارس الطاقة.

فكلهم أصحاب استحقاقٍ مُرتفع!

لا تنسَ قوانين الإستحقاق يا صديقي ☺

حسناً..

لنكتفي بهذا القَدر..

في الحقيقة،

فَضَّلْنا جَعْل هذه الفقرة في نهاية هذا الباب، كي يكون السبيل واضح أمامك.

فقد عَرَفت للتو السُبُل التي تتفرَّق بِك عن سبيل الله.

فلن يستطيعوا إليك سبيلا.

لأنكَ أصبحتَ مُحَّصناً ضِدَّ أفكارهم الضَّالة، عالِماً بِخَباياهُم ونقاط ضعفهم.

نود أن نشكُرك

لقد وصلت معنا لنهاية هذا الباب.

أنت الآن تمتلك قدراً من المعارف والعلوم النظرية والتطبيقية،

والتي لها القُدرة على إحداث التغيير الكبير الذي تطمح إليه في مُختلف جوانب حياتك.

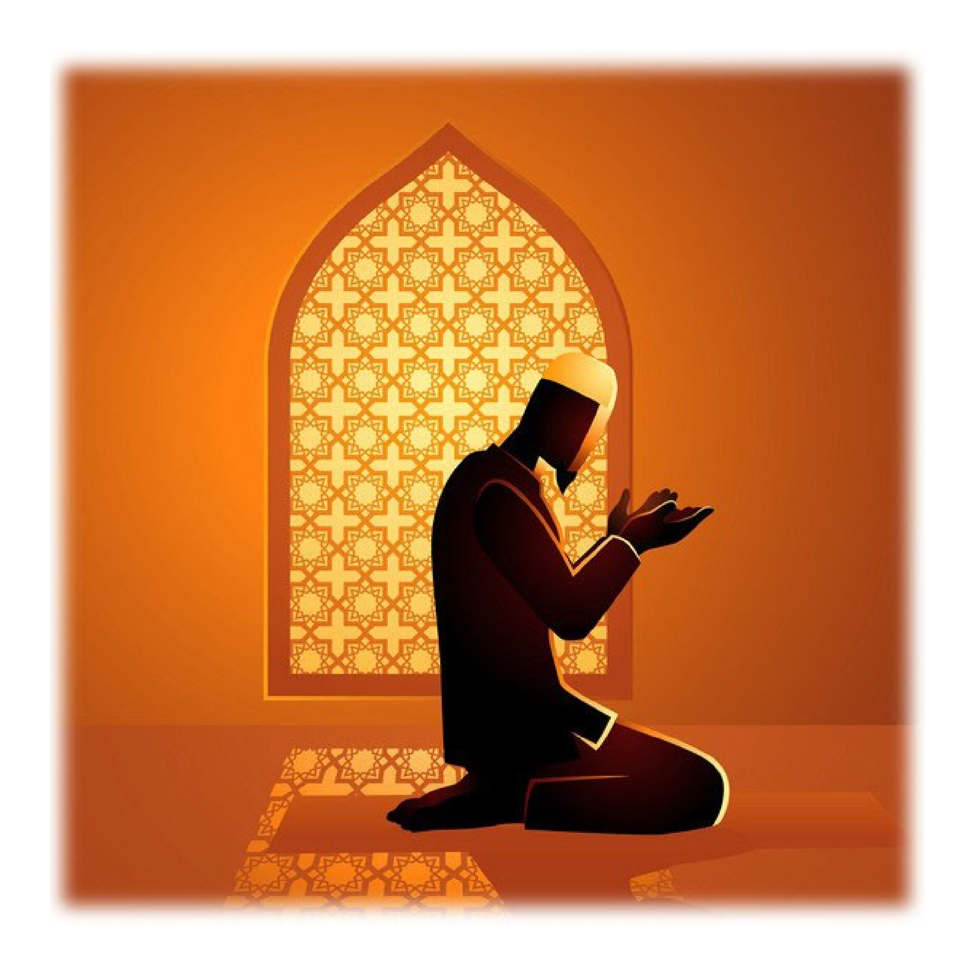
بقيَ لنا كنز من أهم الكنوز الذي نُحب أن نُرشِدك إليه..

إنه كنز فريد. أنت بحاجة لاستثماره أثناء رحتلك على هذه الأرض.

هيا..

نحن بانتظارك فالباب الخامس والأخير، بإذن الله..

This page is intentionally left blank



احصُل على ما تُريد

عطايا السّماء

حسناً..

ها قد وصلنا إلى الباب الأخير..

لقد كانت رحلة شيّقة.. بدأنا فيها بالحديث عن بدايات الخلق.

ومررنا على بعض المحطات المُهمة.

تناولنا الرسالات السماوية وحاولنا الإقتراب من غاية وجودنا.

تعرفنا على المُعَلِّم والحكيم الأكبر.

وتَعلَّمنا كيف ندخُل على المَلِك.

بقي لنا أن نتعلم كيف نستقبل مِنَح وعطايا ربنا رب العالمين.

الذي أمرنا أن ندعوه، وأخبرنا أنه يُجيبنا.

إنها المِنح والعطايا التي تستقبلها من مصدرها الحقيقي، وهو الله، مالِك الخزائِن والمَفاتِح.

وليست تلك المِنَح التي يستقبلها ضحايا مدربو الطاقة خِلال طقوسهم وكتاباتهم المكتوبة بتعاويذ الجن.

فيستقبلون الحيرة، والضياع، والنسيان، وخسارة العلاقات، وفُقدان البَرَكة.

ولا عَجب، فما الذي ينتظرونه من إبليس وأتباعِهِ!

سنقوم في هذا الباب بتسليط الضوء على فلسفة الدُعاء وكيفية استقبال المنح والعطايا، ومحاولة فهم الملابسات والإشكالات المتعلقة بعدم استجابة الكثير من الدعوات. ثُم نختِم بتجربة عملية تضمن لنا أفضل النتائج.

-حسناً..

انطلاقاً من عنوان هذا الباب،

هل يستجيب الله دُعائنا؟ هل نحصُل على مانُريده؟

=نعم، فالله أمرنا فالقرءان أن ندعوه.

- لكننا دعونا كثيراً من قبل، ولم نرى استجابة!

=نعم، أعلم ذلك..

دعني أُذكِّرُك بشيء..

قرأنا فالباب الأول عن جدوى استخلافنا على الأرض، وفهمنا تجارب أصحاب الرسالات والمؤثرين، وتدبرنا بعض معاني النصوص السماوية. وتعلمنا كيف ندعم الصلة مع المُعلم والحكيم، والدخول على المَلِك الأعظم.

بعد كل ما مررنا عليه فالأبواب السابقة.. هل تظن أنّ تلبية طلبات العباد تتم بتلك السّذاجة؟
كأن يطلب كل الناس مايريدون، فيحصلون عليه؟

-نعم، مالمشكلة! أليس هذا ماجاء فالقرءان؟

=إنها عدة مشاكل وليست مشكلة واحدة..

أولاً :

هل كل من يطلب شيء، هو بالفعل يستحقه؟
ربما يكون صاحب الطلب ظالماً أو مُختلساً أو سارقاً لحقوق الناس أو غير ذلك.
لو أعطيناك خزائن السماء.. أكنت تعطي هذا الشخص؟

-لا.. بالطبع لا

=حسناً.. هم كذلك لم يُعطوه سؤاله، فالأوْلى له أن يتحرر من المظالم ويردها لأصحابها.

ثانياً:

ليكون الطلب ملائم.

هناك من يطلب مالاينفعه، وهو لايدرك ذلك.

-هلّا أعطيتني مثال؟

=حسناً..

يطلب شاب الزواج من فتاة بعينها.

فترى السماء أنّ هذا الزواج يعود عليهما بكثير من الضرر . فتُعرقل لهما إتمام الأمر.

-مالمشكلة في وقوع ضرر عليهما بسبب الزواج؟، أليست الحياة مكان الإبتلاءات؟، لماذا لا يتزوجا ويستقبلا الضرر ويتحمّلانه معاً؟

=حسناً.. مايُدريك أنّ الضرر سيُقرِّبهما من بعضهما! رُبما يزيد المشاكل بينهما!

ورُبما لم يكن هذا الضرر هو ابتلائهم الذي ينتظرهم. فتم صرف هذا الضرر عنهم.

إلا إن كانا على استعداد لتحمل ابتلاء آخر فوق ابتلائهم.

ثُم لا تنس أننا ندعوا الله دائماً ليرفع الإبتلاءات المُقدّرة علينا، فكيف سنتحمل واحداً إضافياً معهم لم يكن مُقدراً!

-لكن الشاب والفتاة يُصرّان على إتمام الأمر!..

=لابأس.. ليتحملا تبعات قرارهما ويستقبلا الإبتلاء الجديد، وستُفتح لهما أقدار جديدة.

المُهم، أن يقوما بالتسليم إن تَعَذَّر الزواج بعد سعيهم لإتمامه، ولِيشعُرا بالرضا عن اختيار السماء.

ثالثاً:

أن لا يدعوا بدعاء يريد به إلحاق الأذى بالآخرين. باستثناء من وقع عليه الظلم ويكون مُحقاً.

فكثير من الناس يظن أنه مظلوم أوضحية شخص ماً، بينما هو ليس كذلك.

وأحياناً يكون هو الظالم ويعمى عن رؤية الحقيقة.

رابعاً:

ربما يكون دعائك برفع بلاء من الإبتلاءات الرئيسية التي يجب أن تكون في خطة نضجك الروحي.

بالتالي الأفضل لك التعايُش معه وتحمُّله.

من الأمثلة على ذلك عندما طلبت امرأة من الرسول عليه الصلاة والسلام أن يدعو لها بالشِّفاء من الصَرَع.

فأجابها بأن اصبري عليه ولك الجنة. لعلمه أنها إن شُفِيت منه الآن، فلن تكون فالمرتبة المرتفعة المكتوبة لها إذا ما صَبَرت على هذا المرض.

ولا نُعمِّم تلك الحالة. فليس كل ابتلاء يُصيبنا، يكون الخيار الأفضل لنا فيه هو الصبر والتحمُّل.

بعض الإبتلاءات يكون الواجب علينا فيها المُقاومة ودفع الأذى. لاسيما عند وقوع الظلم والقهر.

وهذا يأخذنا إلى نقطة مهمة..

وهي أن تكون ذكياً وأنت تدعو الله.

وتحاول إدراك فلسفة الإبتلاء بشكل جيد قبل أن تدعو بما تريد.

ولا ننسى أنّ بعض التحديات تحتاج منّا السعي والتحرُّك نحو تحقيقها بأنفُسنا، ومن ثم تأتي معونة السماء.

بينما لن تأتي هذه المعونة ونحن في أماكننا، ننتظر الفَرَج.

حسناً..

عَرَفْنا بَعض الأمور التي ربما تحول دون إجابة الدعاء.

يُمكنك أيضاً مراعاة النقطتين التاليتين لزيادة فرصة الإجابة:

الإستعانة بالوسطاء:

يذهب الناس دائماً لمن هُم مشهود لهم بالصلاح والتواضع والقرب من الله، يطلبون منهم الدعاء لشفاء أبنائهم من الأمراض، أو لقضاء الحوائج. لأنهم يدركون شيء ما..

وهو أنّ هذا الرجل الصالح، مؤهل أكثر منهم لإجابة دعاءه.

وقد رأينا ذلك كثيراً..

-من هو الوسيط الذي سأطلب منه التشفّع في إجابة مسألتي؟

=إنه الرسول مُحمد عليه الصلاة والسلام

فأنت عندما تطلب وساطة النبي الحبيب لك في طلبك، تزداد بذلك فرصة الإستجابة.

فكما نقرأ في صحيح البخاري أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام قال إنَّما "أنا قاسِمٌ واللّهُ يُعْطِي"

ممايعني أنّ الله تعالى بيده خزائن الأرزاق، والرسول عليه الصلاة والسلام يقسم بين الناس وفق بصيرةٍ وحكمةٍ أودعها الله لديه.

اختيار التوقيت المناسب:

اختر التوقيت المناسب. فهناك أوقات تُفتَّح فيها أبواب السماء، وأوقات أخبرنا الله أنه يتنزل فيها إلى السماء الدُنيا.

بعد الصلوات، وفالليل، وشهر رمضان، وتحديداً قبل الإفطار، وفالعشر الأواخر وليلة القدر.

-حسناً.. شكراً لك

لقد راعيت كل هذه الشروط. والآن كيف أدعو وأحصل على ما أريد؟

=ممتاز.. دعني أسألك سؤال قبل أن ندخل في الموضوع.

هل أنت جاهز بطلبك؟

-نعم بالطبع!

=ماهو طلبك؟

-الطلبات التي نعرِفها كالنجاح فالدراسة، أو اجتياز امتحان، أو الزواج، أو الحصول على وظيفة ما أو غيرها من الأمور التي نراها في دعاء الناس كل يوم.

=حسناً.. ماذا لو قلنا لك تعال وادخل إلى ديوان سلطانٍ كبيرٍ فالدولة التي تعيش بها، وقيل لك على الباب:

سيعطيك هذا السلطان ماتريد.

هيا ادخل واسأله حاجتك.

ماذا ستطلب منه؟

-مممممممممم..

حسناً.. سأطلب أن أتملّك مَنْزِلاً، وثلاث سيارات، ومبلغاً كبيراً من المال، و وظيفة مستقرة، ووظائف لأبنائي وبعض أفراد عائلتي.

=ماهذا!.. مالذي تغير؟

لماذا زدت في طلباتك الآن وجعلتها أكثر دقة؟

يبدو أنك بدأت تشعر أنك بالفعل ستحصل على ماتريده عند دخولك على هذا السلطان!

بينما عندما كنت تدعو الله، لم تكن واثقاً أنه سيعطيك ماتريد.

فاكتفيت بطلب النجاح فالإمتحان، أو النجاح في مقابلة مهنية، أو الزواج.

-لا أدري.. لست مُتأكداً.

ماذا تُريد؟.. لماذا تسأل هذه الأسئلة؟

=لابأس.. أنت أيضاً معك بعض الحق في ظنك.

فالله تعالى أخبرنا فالقرءان أنه يستطيع بكل سهولة أن يُغْني جميع الناس.

ويُلبي أمنياتهم وطلباتهم. لكن هذا سيجعل استخلافنا على الأرض بلا أي معنى.

فإن حَدَثَ أنْ حَصَلَ كُل منا على مايتمناه على الأرض بمُجرد طلبه إياه، فلن تنضج الأرواح ولن يكون للكفاح والسعي والإبتلاء والفتنة أي معانٍ.

بالتالي، ليست كل الطلبات المادية يتم تلبيتها بمجرد الدُعاء بها، لأنها ببساطة، تتقاطع مع أهداف وجودنا على الأرض.

-عفواً.. هل تقصد أننا لايجب أن ندعو بمكاسب مادية أرضية؟

=لا.. يُمكنك الدعاء بما شئت.

لكن علينا أن نفهم أنّ الإجابة ربما تكون عبارة عن دعم أو عون يُقدَّم لنا ونحن في طريقنا نحو تحقيق هذا الهدف.

فمثلاً..

لنفترض أن أحدهم يريد وظيفة في مكانٍ ما.

فهو يتجهز جيداً، ويُحضِّر للمقابلة بكل اجتهاد.

ويصل قبل الميعاد وهو واثق في نفسه.

ويدعو الله أن يوفقه، ثم يتوكل على الله.

حينها يأتي العون بأن تعمل السماء على وضع القبول لهذا المُتقدم للوظيفة دون غيره ممن اجتازوا نفس الإمتحان. كأن يشعُر صاحب العمل أنّ هذا الشخص أفضل من نظيره في بعض مهارات التواصل مثلاً. ويتم تعيينه

-حسناً.. بدأت أفهمك..

تقصد أنّ الدعاء للأهداف المادية الأرضية، يحتاج منا السعي في نفس الوقت.

وتقوم السماء بالنظر فالأمر، إن كان فيه خير لنا، تتهيأ الأسباب لدعمنا.

وإن وجدوا غير ذلك، صرفوها عنا.

ولا ننسى أننا أيضاً خلفاء الله على الأرض. أطلق أيدينا لنتصرف ونتحكَّم في سير الأمور، ونتحمل العواقب.

=حسناً.. فهمت ماتقصده.

-هذا رائع!

تعال نعود للسلطان الذي ينتظرنا في مجلسه الفخم.

لنفترض أنّ هذا السلطان الذي تكلمنا عنه منذ قليل، أنه في دولةٍ أجنبية. وأنَّكَ زائر جديد عليهم.

بالتالي فأنت لست على دراية بأفضل الإختيارات المُمكنة في هذا البلد.

فإنك إن تركته يختر لك العطايا، ربما يُعطيك أفضل مما كنت ستطلبه لنفسك.

=فماذا سيكون قرارك؟

-نعم.. سأترك له الإختيار.

=لماذا فضَّلتَ اختياره لك دون تَردُّد؟

-لأنه سلطان، يمتلك خزائن المال والسلطة.

بالتالي إن وكلت الأمر له، فإنه يعطيني أكثر مما كنت سأطلبه أنا لنفسي!

وهذا معروف عند أصحاب النفوذ أنهم يعطونك وفق قَدْرِهم، لا وِفق قَدْرِك أنت.

=حسناً.. فهمت ماتريد قوله.

أنني عندما أدعو الله، أنتبه ألا أُضيّق على نفسي بتحديد مطالب ذات سقف منخفض. أليس كذلك؟

-بالضبط، هذا ما أردنا قوله.

أحسنت.. أنتَ ذكيّ!

يبدو أننا وصلنا لنقطة اتفاق،

يمكننا الإنطلاق منها إلى الفقرة التالية..

وهي كيف أدعو؟

ماذا أقول؟

كيف أرفع سقف ما أريده وأجعله عالياً؟

=تعال نأخذ تجربة عملية نوضح عليها كيف نُحقق هذه النقاط.

سِرّ الطريقة!

أولاً.. سنحتاج لتحضير النفس للدخول فالحالة المطلوبة.

وهذا يتحقق بأن يكون الدعاء بعد الصلاة وبعض الذكر.

ولتوضيح مانقصده بتحضير الحالة..

ربما تجد صلاة المغرب على سبيل المثال، مُميزة وفيها روح جميلة إذا ما توضأت وتلوت أذكار المساء قبل شروعك فالصلاة.

فالأذكار تُعطيك حالة تأهب وشحن روحي تجعلك أكثر هدوءاً وخشوعاً فالصلاة.

وكذلك الدعاء يحتاج هذا التحضير النفسي أو الروحي.

يُمكنك إسقاط الأمر على ذاك السلطان الذي كنت ستدخل إلى مجلسه الفخم.

-ألا تتفق معنا أنك بحاجة للإعداد النفسي ولما تود قوله أمامه قبل دخولك عليه؟ كأن تبدأ بتحيته وشُكره على إتاحة الفرصة لك بزيارته وغير ذلك من بعض الأدبيات؟

=نعم أتفق معك! هذا سليم..

-حسناً..

نقوم بفعل ذات الأمر قبل دعائنا..

سنبدأ بحمد الله تعالى.

فماذا نقول؟

يمكنك البدء بأعظم عبارة تلقيناها، وهي "الحممد لله رب العالمين"

هذه العبارة هي خُلاصة الدعاء وجامعته.

فمن أراد أن يختصر الدعاء في جملة واحدة فهي "الحمد لله رب العالمين".

نقرأ في سورة غافر، دعاء الله، يتلخّصَ في آية الحمد، لعظمتها وجلالها.

هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (65) – غافر

يمكنك تلاوة بقية الآيات التي ابتدأت "بالحمد لله" أيضاً، كنوع من تهيئة القلب المطلوبة.

فليس أفضل من الحمد للوصول لهذه الحالة.

فهي تُحدِث داخلك إحساساً بعظمة الله.

وكلما زاد هذا الإحساس، كلما وجدت نفسك مُقبِلاً على الثناء على الله أكثر..

وكأنك تصف منظراً طبيعياً خلاباً قد جذبك إليه بجاذبيته وجماله.

فالبعض يشعُر وكأن روحه أصبحت خفيفة أو بِفَقْد الإحساس بالأرض من تحته، وكأنه ارتفع عن الأرض من جمال الحالة التي تحضُرُه.

المهم.. تعال نُرَتِّب فقرة الحمد هُنا

- الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.
- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ.
- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ.
- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا.
- الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ.
- الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

يمكنك قول ماشئت منها أو كلها، حتى تشعر بالراحة النفسية التي تُرضيك.

ثم ابدأ بذكر بعض الأدعية التي جائت في حمد الله أيضاً، كأن تقول بعضاً مما يلي:

- يا ربّ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك
- يارب لك الحمد في الأولين، وفي الآخرين، وفي الملأ الأعلى إلى يوم الدين، ولك الحمد في كُل وقت وحين.

لك الحمد ماطلعت شمسٌ وغابت، ولك الحمد عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومِداد كلماتك.

والآن وبعد حمدك الله، والحمد هو الثناء الكامل على الله جل وعلا. تكون بذلك ارتفعت بدخولك إلى حضرة المَلك. يمكنك استكمال الثناء على الله بأن تُكمل بمقام التنزيه والتقديس كما سنوضح.
وللعلم ستشعر أحياناً أنك اكتفيت بعد الثناء على الله وتشعر أنك لا تريد أن تدعو بشيء آخر بجانب ما أنت فيه الآن باستثناء الصلاة والسلام على النبي الحبيب.

حسناً.. هُناك لفظتان لتقديس الله وتنزيهه.
"تبارك" وهي تعني تقدس وارتفع، وهي الأقوى فالطاقة.
"سبحان" وهي تعني تنزيه الله عمالايليق به.
فالأولى تُقدس الله والثانية تنفي عنه الشريك والضد والكُفء وكل شيء لايليق بجلاله.

فنبحث عن الآيات التي وردت فيها لفظة "تبارك" لتكون أفضل ماسندعو به ونحن نقوم بالثناء على الله.

ويمكنك أيضاً استخدام صيغة توجيهية كأن تقول "تباركت يا من بيدك المُلك وأنت على كل شيء قدير" بدلاً من قول "تبارك الذي بيده المُلك وهو على كُل شيء قدير"

وهكذا يمكنك وضع أي عبارة ثناء تريدها بعد "تباركت يا"

لنعطي أمثلة:

- تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
- تبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ
- تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ
- تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
- تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

الصيغة التوجيهية:

- تباركت يا مَلِك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مُهيمن
- تباركت يا عزيزُ ياجبّارُ يا مُتكبّر
- تباركت ياذاالجلال والإكرام
- تباركت ياذاالعرش الكريم

- تباركت يا مالكَ المُلك
- تباركت يامن بيدك ملكوت كل شيء وأنت على كُل شيءٍ قدير
- تباركت يامن لك الكبرياء فالسماوات والأرض وأنت على كُل شيءٍ قدير

ثم تنتقل لتنزيه الله عمالا يليق به

فتقول مايلي:

- سبحانك اللهم عما يُشركون
- سبحانك اللهم عما يصفون
- سبحانك يا واحد يا أحد ياصمد
- سبحانك يامن بيدك ملكوت كل شيء وأنت على كل شيء قدير
- سبحانك يا من يداك مبسوطتان تنفق كيف تشاء

ثُم بعد الثناء على الله تعالى، ستقوم بالصلاة على النبي مُحمد عليه صلاة الله وتسليماته.

وذلك لأنه هو الرحمة المُهداة إلينا. هو الذي علمنا ونقل لنا الوحي، وكان لنا الأسوة الحسنة التي أمرنا الله بالتأسي بها.

نُصلي عليه لأنه الباب الذي ندخل من خلاله إلى الله جلّ جلالهُ.

يُمكنك الصلاة بأي صيغة تُحبها..

- اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا مُحمد فالأولين وفالآخرين وفالملأ الأعلى إلى يوم الدين
- اللهم صلي وسلم وبارك على المبعوث رحمةً للعالمين
- اللهم صلي وسلم وبارك على مُعلِّم الناس الخير
- اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا مُحمد النبي الأميّ الحبيب
- اللهم صلاةً وسلاماً دائمينِ مُتلازميْنِ على المبعوث رحمةً للعالمين
- اللهم اجزه عنّا خيرَ الجزاء.. اللهم اجزه عنّا خيرَ ماجازيتَ نبيٍ عن أُمته
- اللهم صلي وسلم وبارك عليه عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومِداد كلماتك..

هذه بعض العبارات التي يدعو بها الناس. يُمكنك أيضاً الصلاة على النبي بما تحب..

كما يُمكنك الإسترسال فالصلاة عليه والدعاء له كما يحلو لك، لاسيّما إن شعرتَ بسكينة وسعادة وأنت تُصلي عليه.

فربما هذا دليل على حضور ملائكة الله الموكلة بالصلاة على النبي في مجلسك. فلا تحرم نفسك من هذا المقام.

بعد الصلاة على النبي الحبيب..

ستبدأ بشكر الله على نعمه التي أنعم بها عليك.

-لكن لماذا؟

=لأنك بهذا الفعل تُبعِد تأثير الشيطان عنك.

فهو يحرص على حرمانك من مُشاهدة نعم الله عليك، ليمنعك من شكر الله عليها.

ممايُسبب تضييق عطاء الله الله لك بكفرك النِعَم.

فباختصار، أنت ستقطع على إبليس هذا الباب، وتبدأ بالتفكر في بعض هذه النعم والمِنَح، وتشكر الله عليها.

هذا سيعمل على تطهير قلبك ورَفْع طاقاتك الروحية.

فقد وَعَدَ الله الشاكرين بالزيادة.

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ - إبراهيم

-حسناً.. فهمتك.

ماذا أقول هُنا؟

=ستقول بعضاً ممايلي:

- يارب لك الشكر على نعمك ظاهرةً وباطنة

- يارب لك الشكر على نعمة الإصطفاء
- لك الشكر على نعمة الإسلام
- لك الشكر على نعمة الإيمان بك
- لك الشكر على نعمة الوقوف بين يديك والصلاة والدعاء
- لك الشكر على أن عافيتني في سمعي وبصري وبدني
- لك الشكر على أن عافيت أهلي وعائلتي ولم تفجعني فيهم
- لك الشكر على نعمة الأمن والإستقرار – إن كنت آمناً في بلدك مُستقراً
- لك الشكر على نعمة الرزق الحلال – إن كان يأتيك رزق
- لك الشكر على نعمة الوزجة الصالحة – إن كنت متزوجاً
- لك الشكر على نعمة الذرية الطيبة – إن كان لديك أبناء
- لك الشكر على نعمة السكن – إن كنت تسكن في بيت
- لك الشكر على نعمة المركبة – إن كانت لديك سيارة

وَرَدَ عن بعضهم أنه كان يقول "اللهم لك الشكر على الشكر" فهو يشكر الله أن وفّقهُ لملاحظة عبادة الشكر.

يمكنك أيضاً قول:

- اللهم أعنّي على شكر نعمك وحُسن عبادتك

- اللهم اجعلنا من عبادك الشاكرين
- اللهم لا تجعلنا ممن ينشغلون بالنعمة عن المُنعِم – لاسيما إن كنت تتمتع ببعض النعم في آنٍ واحد كالمال والبيت والزوجة والأبناء والمركبة والإستقرار..

فانتبه، قد حيزت لك مجموعة كبيرة من النعم التي حُرِم منها الكثير من الناس.

يمكنك أيضاً الدعاء ببعض الآيات التي ورد فيها الشكر صراحة كمايلي:

- رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ – النمل

وبشكلٍ عام..
ستُلاحظ وجود أدعية واضحة وصريحة فالقرءان الكريم على لسان عباد الله الصاحين من الأنبياء والرُسُل والصالحين ومن الملائكة ومن غيرهم..

هذه الأدعية موجهة لك كي ترى كيف يكون الدعاء وتفهم ماهي الأمور التي من الأفضل لك أن تدعو بها.
هي إشارات مُهمه فلا تقم بإهمالها.

سنحرص على إدخال بعض منها في دعاءنا. فقد جاءتنا من فوق سبع سماوات.بالتالي هي فعّالة.

حسناً..

أنت الآن جاهز لاستقبال عطايا الله ونعمه باعترافك بفضل الله عليك وبشكرك إياه على نعمه.

لكن انتبه..

لا تقع في فخ الظن بأنك هكذا قد أديت شكر النعم كما هو مطلوب منك.

تكلمنا فالباب الأول عن كيفية أداء حق شكر النعم وضربنا مثال بنعمة المال، وأداء شكره يكون بإنفاق جزء لابأس به من هذا المال. ولانتكلم هُنا عن الزكاة المفروضة.

حسناً..

هذا رائع!

بدأنا بحمد الله تعالى، والثناء عليه، ثم بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وشكرنا الله على نِعمِهِ التي أنعم بها علينا.

والآن سنقوم بعملية تطهير أنْفسِنا وقلوبنا لتكون نقيّةً بيضاء.

فبعد مرورك على الفلاتر المذكورة، ستحتاج تنقية قلبك من الضغائن والأحقاد والظن السيّء.

فبدون ذلك رُبما تتعطل دعواتك ولاتصل للسماء.

-حسناً.. ماهذا التطهير؟

=إنه الإستغفار بمستوياته المُختلفة.

-مُستويات!..
ماهذه المُستويات؟

-سنقوم بتوضيحها ونحن نذكر الضيّغ والعبارات التي سندعو بها.

نبدأ بالمُستوى الأوسع وهو الدُعاء لنا وللمؤمنين، وبتنقية قلوبنا من الضغائن تجاههم. فتقول مايلي:

- رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ – الحشر

-هل تذكرت عندما تكلمنا عن أهمية تلك الأدعية التي وردت فالقرءان؟
=نعم

-هذا واحد من أهم تلك الأدعية

لنُكمِل..

- رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ

جاء هذا الدعاء في آية في سورة آل عمران. والتي تصف مشهد لمنادٍ، يُنادي الناس كي يؤمنوا. فاستجابوا وآمنوا.
وبما أنهم لم يكونوا مؤمنين من قبل دعوة هذا المُنادي. فسألوا الله المغفرة على ماكان، ثم سألوه أن يُكفِّر عنهم سيئاتهم.

رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) – آل عمران

وتكفير السيئات يبدو مُتعلقاً أكثر بالذنوب التي تعلقت بالناس أو بالبيئة المُحيطة، كأن نكون قد ألحقنا ضرر للآخرين بذنوبنا.
فندعو الله أن يُكفِّر هذه السيئات، وتُكمل الآية.. وتَوَفَّنا مع الأبرار.
وهُم طبقة مُتميزة من عباد الله الصالحين.

يُمكنك أيضاً الدعاء للناس، وهو من أسرع الطُرق لترقيتك وغُفران ذنوبك. لأنك بذلك وكأنك تُنقي نفسك من أي مشاعر كراهية أو حسد تجاه الناس.

- اللهم اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات، وللمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات

ثُم تبدأ بتضييق الدائرة فتذكُر الوالديْن لتُزيل المشاعر السلبية تجاههم إن وُجِدت

- رب اغفر لي ولوالديّ وارحمهُما كما ربياني صغيرا

أيضاً يُمكنك قول

- ربِ اغفر وارحم وأنتَ خيرُ الراحمين

فقد أتى هذا الدُعاء فالقرءان بأمر من السماء ب قُل، كما يلي

وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ – المؤمنون

ثُم تبدأ بالإنتقال للدعاء لنفسك بالمغفرة على طريقة سُليمان عليه السلام.

-وماهي هذه الطريقة؟

=ستُلاحظ أنّ سُليمان عليه السلام عندما دعا ربه، تمت الإجابة. وكان أُسلوبه بأن قدم الإستغفار أولاً، ثُم سأل الله مايُريده.

فَطَلَبك المغفرة يُطهرك ويرفعك، بالتالي يرفع من قوة الإستجابة.

وهذا أفضل بكثير من أن تسأل الله بشكلٍ مُباشر دون أن تستغفر من ذنوبك أولاً.

مايلي الدُعاء الذي دعا به سُليمان عليه السلام

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (35) - ص

لاحظ أن الآية التي أعقبتها كانت "فاستجبنا له" في إشارة لسرعة الإجابة.

أنت أيضاً يُمكنك الدُعاء بشكلٍ مُشابه بتقديمك الإستغفار قبل طلبك.

سنضع لك أفضل مايمكنك قوله من أدعية والتي تتوسع فيها دائرة العطاء كما نَوهْنا سابقاً بأن يكون سَقْفُ أهدافك مُرتفعاً. فلا تُضيِّق قنوات عطاء السماء أمامك.

- رب اغفر لي وهب لي من لدُنك رحمةً إنك أنت الوهّاب

هُنا تطلب من الله أن يهبك رحمةً، وهي تعني كل شيء يندرج تحت العطايا أوالهِبات بمُختَلَف أشكالها.
وكأنك تترك الإختيار لله في تحديد نوعية هذه الهبات ووقت منحها إياك.

- رب اغفر لي وهب لي من لدُنك رزقاً، إنك أنت الرزّاق الكريم

هُنا تسأل الله رزقاً دون تحديد حجمه أو شكله.. فكل أشكال الرزق مُندرِجة تحتهُ. فتترك الإختيار لله تعالى في ماهية هذا الرزق وتوقيته المُناسب.

- رب اغفر لي وافتح لي أبواب رحمتك
- رب اغفر لي وافتح لي أبوب رزقك
- رب اغفر لي واغنني بفضلك عمن سواك

أيضاً هُنا تؤكد على نفس الدعائين الأول والثاني لكن بشكل مُختلف.

وإن أردت أن تتعلم من العلوم اللدُنية والفتوح التي تأتيك من فضل الله فقل مايلي:

- رب اغفر لي وعلّمني من لدُنك عِلماً، إنك أنت علاّم الغيوب

مُمتاز!..

يُمكنك أيضاً إن أرَدْت، أو لنقُل أنه مِنَ الأفضل لك، أن تدعو للوالدين المتوفين، والأجداد، والأصدقاء والمَعارف كذلك. فهذا ينفعهم كثيراً في حياة البرزخ، ويرفع درجاتهم. ويُصيبك بالخير فالدنيا ببركة تَذَكُّرِكَ إياهم.

حسناً.. بعد فروغك من الإستغفار.

يُمكِنك الإنتقال للأدعية الشخصية.

سنقوم بترشيح دعائين اثنين. هُما وصفة الرسول الحبيب عليه الصلاة والسلام.

يُطلق على هذه الأنواع من الأدعية "جوامع الدعاء".

وهُما أفضل مايمكن أن تدعو به لنفسك.

اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ،

وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ.

اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ.

اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ،
وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

كما رأيت.. دعاء جامع لكل ماهو خير.
هذا أفضل بكثير من تضييق الخير على نفسك بطلب مكتسبات مادية محدودة كالنجاح المؤقت أو نيل وظيفة بعينها أو غيرها من الأمور المؤقتة. فكل هذه الحاجات محتواة في أول جملة من هذا الدعاء "اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ"

رائع..
لنأخذ الدعاء الثاني من الأدعية الجامعة:

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ،
وَأَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ،

وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ،
وَأَسْأَلُكَ قَلْبَاً سَلِيمَاً، وَلِسَانَاً صَادِقَاً،

وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ،
وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ.

إنهما حقاً دعائين رائعين!

-حسناً.. ماذا بعد؟

=يُمكنك الدُعاء ببعض أدعية القرءان الكريم. كأن تدعو بما يلي:

- رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ – الدعاء بخيريّ الدنيا والآخرة
- رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا – الدُعاء بصلاح وحفظ الأهل، وبالإرتقاء لرُتَب مرتفعة عند الله
- رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ – طلب الثبات على الدين والمبادئ لاسيما بعد الهداية
- رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ – طلب الجنة والسلامة من خزي يوم القيامة
- رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ – طلب الإعانة من الله على إقامة الصلاة، وهي الصلاة الحقيقية المطلوبة منا

- ربِ أدخلني برحمتك في عبادك الصالحين.. أدخلني برحمتك في عبادك المخلصين.. أدخلنا الجنّة مع الأبرار

ثُمَّ حبذا لو خصصت شيئاً للقرءان من دعائك. فالقرءان هو الروح التي تحيا بها فالدنيا.

يمكنك الدعاء بمايلي:

اللهم إني أسألُكَ بكلِّ اسمٍ هو لكَ سمَّيْتَ به نفسَكَ أو أنزَلْتَه في كتابِكَ أو علَّمْتَه أحَدًا مِن خَلْقِكَ أوِ استأثَرْتَ به في عِلمِ الغيبِ عندَكَ أنْ تجعَلَ القُرآنَ ربيعَ قلبي، ونورَ دربي، وجِلاءَ حُزْني وهمِّي، واجعلهُ الوارِثَ مني.
ذَكِّرنِي مِنْهُ مَا نَسِيْتُ، عَلِّمْنِي مِنْهُ مَا جَهَلْتُ، وَارْزُقْنِي تِلَاوَتَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وأَطْرَافَ النَّهَارِ.

ثُم إن كانت لك أدعية خاصة، يمكنك الدعاء بها الآن.

والأدعية الخاصة متنوعة، حسب حاجة كل شخص.

فمنهم من حاجته الإنجاب

ومنهم من حاجته العفاف بالمال أو الرزق الحلال

ومنهم من حاجته فك الأسر

ومنهم من حاجته العفاف بالزواج

ومنهم من حاجته الشفاء من مرض

وهكذا..

ثُم تختم بالصلاة والسلام على رسول الله، ثُم يقول:

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين.

إلى هُنا نكون قد حققنا أغلب الأهداف والغايات التي يُمكنك تخيُلها حين تدعو الله.

حسناً..

هذا رائعٌ حقاً!

-لكن عفواً..

لدي سؤال

=تفضل..

-هذه الحزمة من الأدعية ربما تستغرق قرابة عشرين دقيقة.. من أين لنا بهذا الوقت؟

=أجل أعلم ذلك..

لَسْتَ مُضطراً أن تدعو بشكل يومي.

لكن حاول تجربته مرتين فالأسبوع مثلاً. ومع الوقت سَيَتَكَشّف لك ماهو أفضل وأنسب لك، فتدعو به.

كما أنك لست مُلزماً بالدُعاء بكل ماذكرناه.

المقصد هو إيضاح المحطات التي من الأفضل لك المرور خلالها وأنت تدعو.

- فتبدأ بحمد الله والثناء عليه.
- ثم بالصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام
- ثم بشكر الله على نعمه
- ثم بالإستغفار
- ثم تدعو بما شئت
- ثم تختم بالصلاة على النبي والحمد لله رب العالمين

أما الأدعية السريعة التي تعقب الصلاة فالمسجد أو في حالة كنت على عجلٍ..

فهي الإستغفار ثلاثاً بعد الإنتهاء من الفريضة، ثم قل اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذالجلال والإكرام.

ثُم أدعية الإستغفار:

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ – الحشر

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ

رب اغفر وارحم وأنت خيرُ الراحمين

وزد إن شئت بما تُحِب من الدعاء..

بهذا تكون قد وزعت الإستغفار في يومك على أوقات الصلوات الخمس.

هذا يجعلك أفضل، فكثير من الناس يمر عليه اليوم والليلة دون أن يستغفر لأنه لم يُخصص وقتاً للإستغفار.

بينما بهذه الطريقة، تجعل الإستغفار أشبه بروتين يومي.

هيَ ثوانٍ معدودات عقب كل صلاة، لكن أثرها كبير فلا تُهملها.

حسناً..

هذا ممتاز.

لقد أتممنا الجزء الخاص بالدُعاء..

والآن سنختم هذا الباب بإعطائك سر من الأسرار المُدهشة، والذي سيفتح لك باباً من أوسع أبواب عطايا السماء.

إنها الرياضة الخامسة التي أجلّنا الحديث عنها في فقرة المعادلة المُتكاملة، التي ناقشناها في الباب الرابع.

هذا السر سيختصر عليك قطع بيداء واسعة في رحلة اقتحامك لعقبة نفسك.

-ولماذا يكون فعَّالاً بهذه الدرجة؟

=لأنه أحد أهم رياضات اقتحام العقبة. من يقدِر عليه يكون قوياً على غيره من القيود.

فهو يعطيك درجة عالية من التَحَرُّر من سيطرة إبليس والنفس عليك.

بالتالي تشعُر أنك قد أزحت حملاً ثقيلاً من على صدرك، عند نجاحِك في هذا التمرين.

-يارجُل.. لقد أثرت فضولي!

ماهذا السر؟

=هذا السر وجدناه فالقرءان الكريم.

تحديداً في سورة البقرة. وطبَّقَهُ الكثير مِن الناس، ووجدوا عطاء الله ورزقه الواسع فالدنيا قبل الآخرة.

وتَذَكَّر أنّ الرزق ليس مقتصراً على المال فقط.

الرياضة الخامِسَة

هذه الرياضة تفتح لك باب العطاء الواسع..

هذا العطاء يأتيك عندما تقوم بالإنفاق مما رزقك الله.

لاحظ أنّ الإنفاق هُنا يأتي ليكون أشبه بقناة نهرية جارية. فكلما استمر جريان الماء فيها، كلما استمر تدفقه من المنبع. وكلما ازدادت التشعيبات الفرعية لهذه القناة، يزاد الماء المُتدفق بشكلٍ تلقائي كي يصل لتلك القنوات الفرعية التي تم شقَّها.

وفي نفس الوقت، هذا المنبع يتميز بخاصية ضبط التدفق بناء على احتياجك.
فإذا قمت بسد القنوات الفرعية، سيؤدي ذلك إلى نقض تدفق الماء إلى قناتك من قِبَل المنبع. وهذا أفضل لك، كي تُدرك أنك بخلت، وهذه النتيجة.
لأنه في بعض الأحوال لايتم تقليص حصة الماء المُتدفقة إليك بالرغم من غلقك للقنوات الفرعية.
وهذا يعني أنك تُستدرج، لأنك قد فشلت في اختبار توزيع الحصص المُتفق عليها. وسيتحول هذا التدفق الذي يأتيك إلى بلاء يُجهِدك فالدنيا، وتحاسب عليه بعد وفاتك.

والجميل فالأمر أنّ هذا الإنفاق مأمور به الجميع. فلايستطيع أحد التهرُّب منه بزعم أنه ليس لديه مايُنفِقه.
فهو يشمل المال والطعام ونشر العلم ومساعدة الناس وتقديم العون فيما تُحسِن وغيرها من ميادين الإنفاق العديدة.

ولكي يقطع القرءان على من سيتعلل بنقص الإمكانات والتي تُصعِّب عليه الإنفاق..
فجاء هذا السؤال وجوابه في سورة الطلاق

لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (7)

تُوجِهْ الآية رسالة لمن ضُيّقَ عليه الرزق أنه باستطاعته الإنفاق مما آتاه الله، وأنَّ الله لايطلُب من الناس فوق طاقاتهم.

ثُم يعطيك الأمل بتبديل العسر لليُسر بإذن الله لطالما أنك مُلتزم بالإنفاق كما أمرك الله.

حسناً..

هيا نتعمق أكثر لنكتشف أسرار الإنفاق هذه..

نجد في أواخر سورة البقرة ماهو مُثير للإنتباه بشأن الإنفاق.

فنجد مايلي على الترتيب..

جائت أول آية تتكلم بشكلٍ صريح عن الإنفاق. وهي الآية التي تسبق أشهر آية في سورة البقرة "آية الكرسي".

تأمرنا الآية بالإنفاق الآن..

دون تأجيل أو تسويف. وذلك من قبل أن يأتي يوم نندم فيه على تكاسُلنا أو بُخلنا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (254) – البقرة

ثُم نمضي قليلاً..

وتعود السورة لتُحدِّثنا عن الإنفاق من جديد

لكن هذه المرة من جانبٍ آخر.. فهي تُظهر لك عظيم أجر الإنفاق.

فيتم تشبيهه بالحبة التي بها سبع سنابل، في كل سُنبُلة منها، مِئة حبة.

والله يضاعف ماتحويه تلك السنابل لمن يشاء كيفما شاء.

مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261) – البقرة

وهذا تحفيز غير مسبوق وتجارة رابحة مع الله.

فمن ياترى يبخل بعد هذا؟

ثُم تسترسل الآيات لتُوضح لنا بعض الشروط التي يجب علينا مراعاتها في نفقاتنا.

والتي تضمن لنا الأجر العظيم الذي وعدنا الله به.

لنُلقِ نظرة عليها..

الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262) – البقرة

تُخبرنا الآية السابقة أن نراعي شعور من أنفقنا عليهم، ففي النهاية، لا يجب أن ننسى أننا مُجرَّد قنوات ولسنا منبع الرزق.

فكيف نَمُن على من نُنفِق عليهم!، فهذا المن هو فالأصل من صاحب الخزائن الحقيقية، وهو الله تعالى.

فوصفت الآية حال من يُنفِق، ثُمّ لا يمُنْ ولا يُؤذي من يُنفِق عليهم، بأنه لاخوفٌ عليه ولايحزن.

فالخوف يكون من شيءٍ فالُمستقبل، كالخوف من فقدان باب الرزق.

والحزن هو على مايفوت المرئ فالدنيا،

فالله يعوضه بما هوخيرٌ من متاع الدنيا، فلا يحزن على مايفوته منها.

حسناً..

لننتقل للآية التي تليها..

قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263) – البقرة

تؤكد الآية من جديد على نفس الأمر، الُمتعلق بعدم إتْباع النفقة أو الصدقة أي نوع من الأذى.

لكن هذه المرة تزيد من حِدَّة الخطاب، فتُنبهك أنّ الكلام الطيب والتراحم أو المغفرة، هُو خيرٌ من إنفاقك المال إذا أتبَعتهُ بأذى.

بمعنى آخر..

إن كُنت ستؤذي من تنوي الإنفاق عليه بكلمةٍ تجرح شعوره، فاكتفائك بكلمة طيبة هو خير من نفقتك عليه إن كنت ستؤذيه بها. فعلى الأقل سنضمن بقاء الوُد بينكم بالقول المعروف.

ثُم تأتي الآية التي تليها لتتحدث أيضاً في نفس الموضوع، وترفع وتيرة الخطاب أكثر من الآية التي تسبقها..

تأمل معي:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (264) – البقرة

تُخبِرنا الآية هذه المرة بشكلٍ صريح أنّ أنواع الصدقات المتبوعة بالمن والأذى، هي في الأغلب غير مقبولة.

فانتبه كي لا تُبطل صدقاتك بهذا التصرُّف.

ولكي يؤكد على هذا الأمر، يضرب لك مَثَل يصف لك المقصِد.

فيقول لك أن الذي يُلحق ما أنفقه مناً وأذى هو فالأصل يُنفق ليقال عنه أنه مِعطاء. وكأن الآية تفضح صاحب هذا الفعل على حقيقته.

وتُكمِل بأنّ مَثَلهُ كمَثَل صفوان عليه تراب.

-ماهذا الصفوان؟

=إنه نوع من الأحجار ناعم الملمس، بالتالي لايستقر فوقه شيء. فإنك إن وضعت عليه شيء فسينزلق بسرعة لنعومة سطح هذا النوع من الأحجار.

يريد الله أن يُجسِّد لك الأمر، فكأنك أمام أرض ترابية، فتظن أنها ستُثمر إذا ماسقط عليها المطر.

ثُمّ يسقط المطر وبقوة "أصابها وابل".

لكنك تُفاجئ بنتيجة صادمة. فبدلاً من خروج النبات من هذه الأرض جرّاء هطول الأمطار.

تتطاير وتنزلق هذه الطبقة الرملية تاركة ما هو أسفل منها، حِجارة ملساء.

وهذا بالضبط ماسيراه هذا المُرائِي بنفقته يوم القيامة. فبدلاً من أن يرى جناتٍ خضراء، سيرى حجارة ملساء لاحياة فيها.

-هل رأيت أفضل وأدق من أمثال القرءان الكريم؟

=لا.. إنها حقاً رائعة ودقيقة

-جيّد.. لنُكمِل الآيات.

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (265)

كما ترى فهؤلاء الذين تحققوا من شروط الإنفاق وهي ابتغاء رضا الله، هُم أصحاب التربة التي تُثمر بِحَق، بل وزيادةً فالفضل، يُبارك الله في المحصول ويجعله مُضاعفاً للإنتاج الطبيعي المُتوقع.

ثُم يُعيد الحديث مرة أخرى عن أصحاب النفقات والصدقات المشبوهة. ليُثبت الفكرة في نفوسنا.
فتأمل:

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (266) – البقرة

هُنا ضرب مثلاً لذات الموضوع، وهو الصدقات التي يضيع ثوابها.

ثُم ينتقل لفكرة أكثر دقة، بعد أن تأكد أننا فهِمنا شروط إخراج النفقات وعدم إتباعها بالأذى.

فيأتي ليوضح لك رُتبة هذه النفقات أو الصدقات كمايلي:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (267) – البقرة

لاحظ كيف أنه خبير بالنفس البشرية..

فالنفس تميل لإخراج الشيء القديم أو البالي.

بينما تستأثر وتحتفظ بما هو قيّم وثمين.

فيُنبهك ألا تقع في هذا الفخ، فَتَظُن بذلك أنكَ مِن السبَّاقين في هذا المِضمار.

ويلفت انتباهك لضرورة إنفاقك ما هو جيّد أو من أوسط مما ترضاه لنفسك ولأهلك.

فجاء الأمر بألا تتيمم الخبيث لتجعله فالصدقات. فما لا ترضاه لنفسك، لاتدفع به لغيرك.

ويختم بتذكريك بأنّ الله غنيٌّ حميد.

فالله تعالى بنفسه يُخبِرُك أنه غنيٌّ عن أخذ هذه الصدقة الرديئة أو التي تترَفَّع أنت عن اقتنائها.

لأنّ الصدقات تسقط في يد الله كما نعلم.

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (104) – النساء

وأخيراً يلفت انتباهك لتحدٍ مُهم،

وهو تزيين وخداع الشيطان لك.

فهو يأتيك يوهمك، أنه بإخراجك هذه الصدقة، أو بإنفاقك هذا المال، فانتَ تُعرِّض استقرارك للخطر..

فمايُدريك؟ لعلك تحتاج هذا المال يوماً ما، ويبدأ بفتح أبواب الحاجة أمامك. فتبخل ولا تُنفِق خشية الفَقر.

تأمل الآية:

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (268) – البقرة

وهكذا، يُطلِعُك على مَدْخَل الشيطان، وهو تخويفك بالفقر ونقصان مالك ومتاعك.

ثُم يُعقِّب بأن الله سيجزيك بنفقتك خلفاً وفضلاً ومغفرة.

وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272) – البقرة

جاء هذا الوعد في موضع آخر، في سورة سبأ بأنّ الله يُخلِف هذه النفقة كما يلي:

وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39) – سبأ

هذا الخَلَف هو البَدَل فالدنيا، والأجر والمغفرة فالآخرة.

كما رأينا.. آياتٍ كثيرة في سورة البقرة، تمَّ تخصيصها عن الإنفاق وأهميته، ممايعني أنه أمر جديّ، يضع النفوس أمام اختبار إثبات حقيقة إيمانهم بأنّ الله هو الرزَّاق، و أنهُ يُخلِف الخير فالدنيا، والآخرة.

فإن بخلوا بعدها، فقد عرفوا حقيقة أنفُسهم.

وإن أنفقوا في سبيل الله، فقد فازوا واقتحموا العقبة.. عقبة شُح النفس.

ولعل هذه الآية تصف مانقصده:

هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم – مُحمّد

أنظر كيف يُخبرنا الله أننا إن تولينا ولم نقم بما يجب علينا القيام به تجاه مُجتمعاتنا، فإن الله يسحب منا هذا الدور والشرف الذي قد وهبنا إياه، ويعطي هذه الراية لأقوام آخرين، فيؤدونه أفضل منا ونُحرم نحن هذا الخير وهذا الإصطفاء بتخاذُلِنا.

هذا المضمار.. مضمار الإنفاق في سبيل الله، يرفع شأنك بقوة بين أهل السماء.
وتنزِل عليك رحمات ربك، وتُرْزَق من حيث لاتحتسب.

ها قد وجدت أحد أهم كنوز اقتحام عقبتك..
فَهَل سَتَعمَل بِهِ؟

حسناً.. لنأخُذ بعض التشجيع..
نختِم بموقفٍ، يحكيه أحد أولياء الله الصالحين، وهو إبراهيم بن الأدهم.
هذا الموقف يُظهِر لنا مدى قوة النفس التي تُنفق بِثِقة وتَحرُّرٍ من قيود الخوف من الفقر وغواية الشيطان.

رُوُيَ أنّ إبراهيم بن الأدهم كان عند مُزيِّناً أو حلاَّقاً، فَمَرَّ به أحد أصحابه،

-فقال له الشيخ: هل معك شيء؟

=قال نعم. ووضع عنده كيساً من الذهب.

فلما فَرِغَ المُزيِّن، أعطاه الشيخ كيس الذهب.

فجاء إلى المُزيِّنِ سائلٌ.. وأراد المُزيِّن أن يُعطيهُ الكيسَ بِتمامِهِ.

فقال إبراهيم للمُزيِّن: فيه ذهب!

فقال المُزيِّن: عَلِمْتُ يا بَخيل!، الغِنى غِنى القَلبْ.. لا غِنى المال.

فقال إبراهيم وهو يروي ذلك الموقف..

ما استحييت قط مِثل ذلك اليوم. ومارأيتُ نفسي بمُرادي، إلا في ذلك اليوم.

لِنَقُم بِتَحليل تَصَرُّف هذا المُزيِّن..

يبدو أنه، كان يتوقع ديناراً نظير حلاقته للشيخ.

لكنه أُعْطِيَ كيساً من الذهب!

وجائه السائل ليكون امتحان هذا المُزيِّن..

فأعطاه المُزيِّن الكيس كاملاً، وهذا يدل على أنه افْتَرَضَ أنّ هذا الكيس قد جاءه من عند الله دون جهد منه، فأنفقه كله في سبيل الله لينال الأجر كاملاً.

ومن يعلم! ربما أبدله الله بما هو أفضل من هذا الكيس فالدنيا قبل الآخرة.

نُحب أن نُهنئك!

لقد وصلت معنا إلى نهاية هذا الكتاب.

هذا إنجازٌ كبير!

خُذ قسطاً من الراحة..

وفكِّر فيما قرأت.

ثُم ضع خُطتك،

واقتحم العقبة.

فإذا ما اقتحمتها..

ستجد الوَفرَة الحقيقية التي تحلُم بها.

وسَتَلمَس تَغَيُّراً حَقيقياً وجَذْرياً في أَهَم جَوانِب حياتك.

وستشعُر بقوتك.

فأنتَ عبدٌ لله وحده، سيِّدٌ لكل شيء بعده..

وحينها..

ستنتصر ▼

..تحياتي..

أحمد المَشَدْ

True.Estinara@gmail.com